بسم الله الرحمن الرحيم

الأدب الجاهلي وبلاغة الخطاب

(الأدبية وتحليل النص)

الدكتور عبد الإله الصائغ

الأدب الجاهلي وبلاغة الخطاب

(الأدبية وتحليل النص)

دار الفكر المعاصر - صنعاء
١٩٩٩ - ٢٠٠٠ م

الرقم الاصطلاحي: ٠٥٣,٠١١

الرقم الموضوعي: ٤٤٠

الموضوع: البلاغة

العنوان: الأدب الجاهلي وبلاغة الخطاب

التأليف: د. عبد الإله الصائغ

الإشراف والتنفيذ الطباعي: دار الفكر - دمشق

عدد الصفحات: ٥٨٤ ص

قياس الصفحة: ١٧×٢٥سم

جميع الحقوق محفوظة للمؤلّف

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطَّبع والتَّصوير والنَّقل والتَّرجمة والتَّسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي.

دار الفكر المعاصر

اليمن - صنعاء - جولة الجامعة الجديدة

ص.ب: ٧٣٢٧، هاتف ٢٢٤٣٣٢

الطبعة الأولى

١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م

ـ أ ـ

أوّل الغيث

خطابنا في هذا الكتاب قائم على مُسَلّمة منطقية ، نعرفها ولا نعترف بها !! نستسيغها نظرياً ولا نسوّغها تطبيقياً !! والمسلمة التي نعنيها هي : أن الأدب الجاهلي حالة إبداعية منفلتة ، تتشكّل بالتماهي مع الموهبة الفائقة ، والتجربة الحادة ، والعاطفة الحارة ، واللغة الانفعالية ، والحساسية المرهفة والتقاليد القارّة إزاء فضاءي الزمان والمكان ! وأيّ ضير في ذلك ؟!

أما دراسة (أدبية الأدب) فهي حالة مختبرية ، ميدانها الحقل العلمي ؛ وينبغي بقاء الفجوة عميقة وواسعة بين انفلات النص الأدبي وانضباط ديباجة الدراسة ، بين المبدع منتج نصٍّ انفعالي ، ومحلل النص منتج هامش علمي !!

وإذا كان الأمر كذلك ، فإن كوّة الاختصاص الفقهي ينبغي لها أن تضيق (بـ) و (عن) زحف الأقلام الشمولية ، التي تكتب في كل علم وفن ، فتؤلّف الكتب في النحو والعروض والبلاغة والفن التشكيلي ، والأدب الجاهلي وأدب صدر الإسلام والأدب الأموي والأدب العباسي والأدب الأندلسي وأدب الفترة المظلومة (المظلمة) ، والأدب الإحيائي والأدب الحديث و .. وو .. إلخ !!

إن دراسة الأدب الجاهلي القائمة على آليات تحليل النص حقل علمي معملي صعب ، يتطلّب اختصاصاً بحتاً ، وتجربة ميدانية كافية ، ووعياً مناسباً ، كما تتطلّب الدراسة تفرّغاً وصبراً تامّين ، مع متابعة يقظة للمستجدات في فقه الأدب ، فضلاً عن

التراكم الإبستمولوجي المتاح . إن حلم هذا الكتاب يتمحور حول النص ليضع ثماره في سلة واحدة تكون بمتناول أيدي ثلاثة أنماط من المستهلكين : هم عشّاق الأدب الجاهلي ، ومحلّلوه ، وطلبة الجامعة .

وكتابنا المنهج لم يتدن ولم يتعال ، جرياً وراء الانسجام مع مرجعية كل نمط وذائقته ومبتغاه ، لأن الذهنية والمنهج العلميين قمينان بإرضاء الكافة دون استثناء ، والتواصل معهم بحميمية ويسر . وعليه فقد توفّر مشروعنا على مفاصل الأدب الجاهلي ، التي شغلت وما زالت وستظل القارئ والدارس والمحلل ، متلبثاً عند الموضوعات والظواهر والأغراض والخصائص ، مستنداً إلى مساحة شاسعة وساطعة من النصوص الموثّقة ، منتفعاً بالتوصلات المبهجة ، التي نعم بها هذا الأدب الثمين ، من جهة المكتشفات الإيركولوجية الجديدة ، والدراسات التطبيقية الجادة ، والنظريات المعرفية الهامة .

ونسأل الله التوفيق .

عبد الإله الصائغ

أستاذ تحليل النص والأدب الجاهلي في الجامعة المستنصرية (العراق) وجامعة صنعاء (اليمن)

- ب -

الكشّاف المفصّل ، الأدب الجاهلي و بلاغة الخطاب

+ أوّل الغيث

+ سنابل بين يدي الكتاب (مقدّمة في المسوّغات) .

• الأطروحة الأولى (مهاد وإضاءات)

+ الفصل الأول (الأدب الجاهلي بين الكيف والكم) :

جدل الأجيال الأدبية والسابق واللاحق ـ جدل الأزمنة الثلاثة : المستقبل والحاضر والماضي ـ لماذا الأدب الجاهلي ـ عشر إجابات مقترحة : الجدل الحادّ بين أقاليم العصور الأدبية/الثروة اللغوية والصوتية/المعرفة التاريخية والجغرافية والنوئية والحضارية والتقاليد المبهظة بالعنجهية : الوأد والعصبية والغزو والعتوّ ومطاردة حريّات الآخرين !! ـ إضاءات متصلة بتحليل نصوص القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ـ الوهلات الإيقاعية الأولى ـ التلبيات الجاهلية ـ أفانين الخيال والمجاز ـ مفهوم الجمال ـ مناهل الرؤية العروبية والقيمية ـ رؤيوية النص الإبداعي ـ الصورة .

+ الفصل الثاني (عصور الأدب) :

حدود الجغرافية التاريخية لزمنية الأدب ـ تمييز الزمنية عن الفنية ـ العصور الأدبية كافة !! ابتداء من العصر الجاهلي وانتهاءً بالعصر الحديث ـ مقترحات لدراسة الأدب : الترتيب الزمني ـ الأغراض والغايات ـ القبائل ـ الأمكنة ـ الوضع السياسي والاجتماعي ـ منازل الشعراء ونجومياتهم ـ المصنوع والمطبوع ـ طبقات الشعراء الوبر والمدر ـ الولاءات

الدينية ـ مناهج مقترحة لدراسة الأدب الجاهلي ـ المنهج الفني ـ اللغوي ـ التاريخي ـ الجغرافي ـ النفسي ـ الاجتماعي ـ البنيوي (الوصفي) ـ الإيديولوجي ـ الدلالي ـ التكاملي .

+ الفصل الثالث (تفكيك المصطلحات) :

مستويات التفكيك (لغوية ـ تواضعية ـ تأسيسية)

ـ الأول يمتح من المعجمات اللغوية

ـ الثاني يمتح من كتب المصطلحات

ـ الثالث يمثّل وجهة نظر الكتاب أو الباحث ومستوى فهمه للمصطلح أو منهجه ـ أدب ـ أدبية ـ عشر دلالات لغوية تتصل بالأدب ـ مكونات الأديب ـ الموهبة ـ الخيال ـ التجربة ـ الثقافة ـ الانحياز إلى الحياة والخير ـ احترام المتلقي ـ الدربة ـ الأسلوب ـ الأدبية والشعرية . عربي ـ أعرابي ـ جاهلي ـ قبسلامي ـ نقد ـ نقد جاهلي ـ كينونة النقد الجاهلي ـ تسويغ وجود نقد جاهلي : المعلقات والمنتقيات ـ حكومة النابغة ـ ذائقة الجمهور ـ نعوت الشعراء ـ الفرسان ـ الصعاليك ـ الآراء ـ الوبريون ـ المدريون ـ السرقات الشعرية ـ مطابقة الصفة للموصوف ـ تفريعات الشعراء ـ قدرة الوليد بن المغيرة في صناعة النص ـ طرائق الشعر في ضبط إيقاع شعرهم ووزن قصائدهم ـ طريقة النصب ـ طريقة التنعيم ـ طريقة الركباني ـ رغبة امرئ القيس في تنويع القوافي ـ بنية السموط .

+ الفصل الرابع (الأدب الجاهلي في حاضنة البيئة) :

تحديد جغرافية الجزيرة العربية ـ التوزيع الديموغرافي ـ تهامة ـ الحجاز ـ نجد ـ العروض ـ اليمن ـ مصادر دراسة جغرافية الجزيرة ـ خوارط متعددة تاريخية وقبيلية ومائية وتجارية ، يمكن ملاحظة الحدود عليها والجبال والأسواق .

+ الفصل الخامس (جاهلية المجتمع العربي) :

الزمن العربي ـ مفهوم الزمن ـ رقي الحضارة عند العربي وتخلّفها عند الأعرابي ـ دلالة الأمية بين الكتابة والوعي الديني والقيم العربية ـ معرفة العرب أسماء عدد من الأنبياء وأخبارهم ؛ آدم ، نوح ، موسى ـ التصاوير التي ازدانت بها جدران الكعبة ـ الحنيفية ملّة الفطرة ـ التطرّف الديني عند الحمس والطلس والحلة .

• الأطروحة الثانية (الشعر الجاهلي)

+ الفصل الأول (نشأة الشعر وأوليته) :

تأصيل مصطلح الشعر ـ دلالات شاعر ونبي وساحر وكاهن ومجنون ـ ابن رشيق القيرواني يرى أن الشعر بدء نثراً !! (ثم توهّموا أعاريض جعلوها موازين للكلام) الصلة بين السجع في النثر والرجز في الشعر ـ العرب تميّز جنسين هما : الرجز وتضعه خارج الشعر ، والقصيد وتجعله مدار الشعر ـ جرجي زيدان رأى أن الشعر والغناء كانا جنساً واحداً ـ اختلال موازين عدد من القصائد الجاهلية يطرح إشكالية (الشعر/النثر) ـ عبيد بن الأبرص يلقي خطبة فتستقيم معلقة (أقفر من أهله ملحوب) !! ـ الشعر والطقس الديني ـ الهجاء والسحر ـ لبيد يغرّب وجهه وهيئته عند الهجاء ـ البابليون يستقبلون أول السنة وأول الربيع بالبكاء !! ـ قداسة الثور عند القدماء (ثور ـ ثورة ـ أشيرة ـ عشتار) ـ الرثاء معادل رغبة الموت ـ رثاء الخنساء محاكاة اللاوعي لتقليد دفن المرأة مع ولي أمرها ـ الهامة والصّفر والثأر ـ طقوس سحرية : إمساك العرب عن البكاء حتى تدرك ثأرها ـ كي الجمل السليم بدلاً من المريض بالعِرّ ـ الحبيب يشق برقع حبيبته ليستمر الحب ـ تعليق الحلي والجلاجل على الملسوع أو اللديغ ليفيق وينجو ـ فقء عين الفحل إذا بلغت الإبل مئة عدداً طرداً للحسد والنكد ، وإذا ازداد العدد فقئت العين الثانية للفحل !! ـ خرزة السلوان تشفي العاشق من فتك

الحب ـ إيقاد النار بعد خروج الضيف الثقيل حتى لا يكرر الزيارة ـ ضرب الثور إذا امتنعت الإبل عن شرب الماء ـ عبور المرأة المقلات (العقيم) على جثة الشريف المقتول لترزق طفلاً شريفاً ـ إذا خدرت الرجل فتذكّر الخدير حبيبته ذهب عنه الخدر ـ الصبي يرمي سنه المخلوع إلى عين الشمس لينال منها سناً أجمل ـ معرفة خيانة الزوجة بقراءة عقد خيط الرتم ، وعرق الفرس المهقوع ـ عقد السعف المشتعل في أذناب الثيران حتى ترمي بنفسها إلى أسفل الوادي كطقس من طقوس الاستسقاء ـ تعشير الغريب (النهيق عشر مرات) إذا دخل مدينة أول مرة حتى لا يصيبه وباؤها ـ تعليق كعب الأرنب على الصدر درءاً لأذى الجن (كذا) ـ تطور اللغة من الإشارة والرقص إلى الشعر ـ ترنيمة الشمس (قراءة في نقش يمني بخط المسند) طقوس الكهوف ورهباتها ورغباتها يرثها الشعر ـ مَن سبق من : الشعر أم النثر ؟ ـ وأي الشعر نعني وأي النثر ؟؟ ـ اللغة العربية لغة إيقاع ومجاز ومعان .

+ الفصل الثاني (الشعر الجاهلي وطبقات الرواة بين الرواية والتدوين) :

كثرة الشعر وقلة النثر ـ ضياع أدب عشرين قرناً سبقت العصر الجاهلي ـ رأي د . ناصر الدين الأسد في انصراف دلالة الأمية إلى سوى القراءة والكتابة ـ علم الرواية وآلياته في العصر الجاهلي ـ دور المخضرمين والمعمرين في حفظ النصوص الجاهلية ـ تأويل نضج الشعر الجاهلي ـ وسائل الجاهليين في الاستذكار والكتابة ـ الشعر الجاهلي يورد إشارات تؤكد معرب العرب للقراءة والكتابة ـ العباديون يحترفون التعليم ـ الشعر الجاهلي جنوب الجزيرة بانتظار قراءة آلاف النقوش المكتشفة حديثاً في اليمن ـ الدكتور عبد العزيز المقالح يتحدث عمّا أثبته الباحثون بشأن سفر أيوب عليه السلام وكتابته في اليمن ـ الوليد يعجب بقدرات حماد الراوية الخارقة على الحفظ والاستذكار ـ الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يحرق عدداً من الكتب الجاهلية مخافة أن تضلل الناس ـ رواة الشعر وحفظة نصوصه ـ دغفل الذهلي ـ عبيد بن شرية ـ عبد الله بن

عباس رضي الله عنهما ـ الفرزدق ـ أبو عمرو بن العلاء ـ حماد الراوية ـ المفضل الضبي ـ خلف الأحمر ـ ابن الكلبي ـ أبو عبيدة ـ أبو عمرو الشيباني ـ الأصمعي ـ ابن الأعرابي ـ ابن سلاّم الجمحي ـ مقولتا القديم والمحدث ـ طبقات الرواة ـ خلف يستخف ممن يستخف بعمل الناقد ـ الشعراء الرواة ـ الرواة من غير الشعراء ـ رواة القبيلة ـ الرواة العلماء ـ الوضّاعون ـ العوائل الشعرية .

+ الفصل الثالث (نظرية الشك) :

آراء القدامى والمحدثين وآراء المستشرقين بقضية النحل ـ سبعة عشر دليلاً بين يدي نظرية الشك ـ اثنا عشر دليلاً لنقض نظرية الشك ـ محمد بن إسحاق ودوره في تهجين الشعر ـ نظرية رينيه ديكارت وأثرها في رواد نظرية الشك ـ تطرّف طه حسين وإعدامه للشعر الجاهلي ـ تشجيع الشعراء من قبل النبي ﷺ والخلفاء الراشدين والصحابة رضي الله عنهم ـ شارحو القرآن الكريم يستعينون بالشعر لتفسير القرآن الكريم ـ حسان بن ثابت الشاعر الملتزم ـ إعجاب النبي ﷺ ببعض أشعار عنترة وطرفة وقس والأعشى ـ أسباب ضياع المدونات .

+ الفصل الرابع (شياطين الشعراء) :

التفسير الميتافيزيقي للظواهر والأفعال المجهولة ـ الجانب السحري في طقوس هجاء لبيد للربيع بن زياد ـ الصلاة على الموتى ـ طبقة المشعوذين ـ نفي صفات الشاعر والكاهن والشاعر والمجنون عن النبي ﷺ ـ اثنا عشر رأياً تأويلياً ـ جغرافية عبقر وعجائبيته ـ أسماء شياطين الشعراء ـ هبيد/ابن واغم/هاذر/مدرك/مسحل السكران/الهوبر/الهوجل/السعلاة/المعلاة ـ أفلاطون يرى الإلهام مصدر الفنون ـ كبير الآلهة (زوس) قابع في جبل الأولمب ـ تسع ربات يقتسمن الفنون كما يزعم قدماء اليونان ـ مدرسة زهير مع صناعة الشعر وإلغاء فكرة الإلهام ـ رأي الجاحظ : (الشعر

صناعة وضرب من الصياغة وجنس من التصوير) حكايات شعرية ينتجها تأبط شراً يزعم فيها أنّه تزوّج أنثى الغول .

+ الفصل الخامس (المعلقات العشر وشعراؤها) :

تأصيل مصطلح (معلقة) ـ عددها ـ شعراؤها ـ آراء علماء الشعر المختلفة في سبب تسميتها وعددها وشعرائها ومقولة تعليقها على أستار الكعبة .. المعلقات الست والسبع والثماني والتسع والعشر ـ معلقة عبيد بن الأبرص لا تستحق الشهرة فهي بعيدة عن جماليات شعر المعلقات ـ تقويم المعلقات ـ رأي ابن خلدون في المعلقات ـ عشرة مقترحات تسوّغ أهمية المعلقات وانتقاء الجاهليين لها ـ جدولان إحصائيان في تراتبية بحور المعلقات وقوافيها ـ اختلاف علماء الأدب الجاهلي حول تعليق المعلقات على جدران الكعبة ، فريق يرى التعليق وآخر لا يراه ـ نجيب محمد البهبيتي : ملحمة جلجامش أوّل عمل شعري يعلّق على جدران المعبد ـ رأي الدكتور يحي الجبوري ـ نحن مع فكرة تعليق المعلقات ـ تراجم الشعراء ـ جدولان الأول مصادر المعلقات العشر ـ ابن سلاّم الجمحي ـ ابن قتيبة ـ الأصبهاني ـ التبريزي ـ الشنقيطي ـ زيدان ـ البستاني . الجدول الآخر تضمّن وفيات الشعراء وفق التاريخين الهجري والإفرنجي ـ عملنا في المعلقات العشر ـ ترجمة الشعراء العشرة ـ نصوص المعلقات العشر ـ بحور المعلقات وقوافيها ـ شروح المفردات والصياغات الغامضة أو الشاردة ـ الحديث الشريف : ما وصف لي أعرابيّ وأحببت أن أراه إلا عنترة ـ النابغة شاعراً ـ النابغة ناقداً ـ عبد الملك بن مروان يعلل جاذبية شعر النابغة ـ الاعتذاريات ـ عبيد بن الأبرص شهد مقتل حجر والد امرئ القيس ـ النعمان يقتل عبيداً في يوم البؤس .

+ الفصل السادس (الفروسية وشعراؤها) :

تأصيل دلالتي (فارس/فتىً) ـ الفروسية معادل أخلاقي للمروءة ـ الفروسية رتبة وليست حرفة ـ لبيد يرثي أخاه ـ اقتران صورة الفرس بصورة المرأة ـ عنترة يفضّل فرسه

على زوجه ـ التماهي بين الفارس والفتى ـ جدولان في أوجه الافتراق والاتفاق بين الفروسية والفتوة ـ فروسية طرفة من خلال معلقته ـ الفتى الفارس في مرثاة دريد بن الصمة لأخيه عبد الله ـ الفارس الفتى ربيعة الكناني حمى الظعن حياً وميتاً ـ صورة الفتى الفارس في مراثي الخنساء ـ الفروسية وأغراض الشعر الأخرى ... ـ قواسم مشتركة بين صورتي الممدوح والمرثي ـ مرثية أوس بن حجر (أيتها النفس أجملي جزعاً) ـ عمرو بن معد يكرب يقرن الجمال بالفروسية ـ خصائص شعر الفروسية .

+ الفصل السابع (الصعلكة وشعراؤها) :

تأصيل المصطلح ـ تأويل الصعلكة ـ صعلكة الزعيمين حاتم الطائي وعروة بن الورد . صعلكة الفقراء ـ الشّنفرى ـ عمرو بن براق ـ نفيل بن براقة ـ تأبط شراً ـ السليك ـ مفهومات الصعلكة ـ ظاهرة الصعلكة من التحليل فالتأويل إلى التلوين ـ الصعلكة لصوصية أم قضية ؟ ـ طبقات الصعاليك وانحداراتهم ـ تأويل الحوار المصطنع بين الصعلوك والمرأة الحبيبة أو العاذلة ـ قصائد ومقطعات صعلوكية ـ الأعشى ابن الثمانين يتشبه بفتيان الصعاليك !! ـ مرثاة السلكة لولدها السليك ـ أثمة قرائن بين : صعلوك وفتى وفارس ؟ ـ الخصائص الفنية لشعر الصعاليك ـ التخفف من المقدمات الطللية ـ استثمار جماليات الإيقاع ـ الصورة العجائبية .

+ الفصل الثامن (موضوعات الشعر الجاهلي) :

ـ الغزل والنسيب ـ المديح ـ الارتزاق ـ الرثاء ـ الاعتذار ـ الهجاء ـ الفخر ـ التوثيب ـ السلام ـ الحكمة ـ الدين !! ـ أوجه الائتلاف والاختلاف بين غرض وثان ـ ضغوط البيئة والطبقة على الغرض الشعري باتجاه المعنى والمبنى ـ المعلقات والمجمهرات والمنتقيات والمذهبات والمراثي والمشوبات والملحمات والمنصفات ـ مدرستا الشعر المصنوع والشعر المطبوع ـ اقتران ألقاب الشهرة عند الشعراء بفنونهم الشعرية التي تميّزوا بها ـ مهلهل ـ المرقش ـ الفحل ـ المحبر ـ الصناجة ـ مقترحات لدراسة الأغراض ـ إشكاليات

منهجية ـ قصائد ومقطعات تثبت شواهد للأغراض الشعرية ـ المثقب العبدي ـ ذو الإصبع العدواني ـ انعكاس ظلال المرأة على موضوعات الشعر ـ المديح فن مختلف عن الارتزاق ـ أوس بن حجر وبشر بن أبي خازم بين المديح والرثاء ـ يائية عبد يغوث الحارثي ـ علقمة الحيري ـ يغري ابنته (أجتني) برثائه حياً ـ رثاء القصور والممالك ـ اعتذاريات النابغة تاريخاً وفناً ـ اعتذاريات زهير لزوجه أم أوفى ـ الهجاء والسّحر واللعنة ـ أثر الكلمة إرث سحري قديم ـ سجن المهجو في أقبية القصيدة ـ أربعة موضوعات تقتسم همزية زهير ـ الهجاء وجه ثان للفخر ـ الفخر وجه ثان للهجاء ـ صيفي بن الأسلت تنكر مرآه ابنته غب عودته من قيادة الأوس في حربها الطويلة ـ الحزن سمة قصيدة صيفي ـ فخر السموءل ـ ظاهرتا التوثيب والإنصاف الشعريتان ـ عروبة لقيط والتزامه ـ صورة القائد والجند والعدو في عينية لقيط ـ الفند الزماني يعتد الحرب ظلماً والرحم مجناً ـ بكائيته (صفحنا عن بني ذهل) التي يسوّغ فيها محاربة قومه ـ مفهوم السلام في الذهنية الجاهلية ـ تبشيع صور الحرب ـ وتجميل صور السلام ـ زهير شاعر السلام ـ الحكمة فن يمتلك جمهوراً عريضاً ـ مقطعات وقصائد لزهير وهند ابنة النعمان ـ وأحيحة بن الجلاح ـ والمثقب العبدي ـ بين (لا) و (نعم) ـ نماذج شعرية في الحكمة لعمرو بن معد يكرب ولبيد وتميم وأبي ذؤيب ـ والمرقّش ـ والنابغة ـ والأعشى ـ الشعر الديني ـ التجمعات الدينية في الجزيرة ـ التاجر عمرو بن لحي المستورد الوحيد للأصنام ـ صورة اليهودي وصورة المسيحي في الشعر الجاهلي بين الحانة والمضاربة التجارية ـ والمعبد ـ والدير ـ الهاجس الديني في شعر أمية بن أبي الصلت ـ قس والتأمل ـ زهير والتألّه ـ عينية لبيد والعاطفة الدينية ـ دائرة الوصف تضمّنت موضوعات الشعر الجاهلي كافة ـ الوصف والصورة ـ الصور الأكثر انتشاراً في الشعر الجاهلي : المرأة ـ الأطلال ـ الأنواء ـ الناقة ـ الفرس ـ السلاح ـ الحرب ـ الحيوانات ـ الصحراء ـ الينابيع ـ النبات ـ الرحلة ـ الفارس ـ القصور والقلاع ـ الفصول ـ الأسواق ـ الملابس ـ سيناريو القصيدة الجاهلية ـ من أول بيت حتى آخر بيت ـ الوقفة على الطلل ـ البكاء ـ

كليشهات (فدع ذا) ـ السفر بديل عن الحزن ـ تشبيه الناقة بثور الوحش (أو أي حيوان آخر) ـ ظاهرة الصراع الدموي بين الحيوان المشبه به للناقة من جهة والصياد وكلابه من جهة أخرى ، الصراع بين الحيوان والأنواء ، ـ بين الحيوان والمجهول ـ رأي الجاحظ في لوحة الصيد وحذق مقولته : أن الثور يموت حين تكون القصيدة في الرثاء ـ وينتصر حين تكون القصيدة في المديح ـ الثور والدم والشمس ـ قداسة الثور عند الجاهليين ـ كافية زهير صورة أخرى للصراع . أبطالها قطاة وصقر ـ صورة المرأة الجميلة ـ هل طرد عمرو بن كلثوم المرأة من معلقته ؟ ـ أم أنه أولاها عناية فائقة ؟.

+ الفصل التاسع (خصائص الشعر الجاهلي) :

الشعرية والجاذبية ـ نظرية عمود الشعر : شرف المعنى وصحته وجزالة اللفظ واستقامته والإصابة في الوصف والمقاربة في التشبيه والتحام أجزاء النظم والتئامها على تخيّر من لذيذ الوزن ومناسبة المستعار منه للمستعار له ، ومشاكلة اللفظ للمعنى ، وشدة اقتضائها للقافية حتى لا منافرة بينهما . ا . هـ ـ مرجعيات الشعر ـ الخصائص مبدأ منهجي ـ وحدة الإيقاع ـ دلالات الإيقاع والوزن ـ الركباني مقام جاهلي منقرض ـ جدول الحركات والسكنات التي تقابل التفعيلات الثماني المعتمدة في البحور ـ وحدة البيت ـ مخطط خيمة (بيت الشعر) ـ ترسيم الصلة بين بيت الشَّعر (فتح الشين) وبيت الشِّعر (كسر الشين) . دلالات عمود ـ سبب ـ وتد ـ فاصلة ـ محاولات جاهلية لاختراق وحدة البيت نهض بها النابغة وامرؤ القيس ـ صيغة أفعل في أحكام الذائقة الشعبية !! أغزل بيت ، وأمدح بيت ، وأخنث بيت ـ التقديم والتأخير الدلاليان وصلتهما بتجليات النص أو انطفاءاته ـ وحدة الموضوع حبكة أخرى تشدّ أجزاء الموضوعات الصغيرة إلى الموضوع الرئيس ـ إشراك الطبيعة والجمهور في اللغة الانفعالية للقصيدة ـ ظاهرة الاقتران بين المرأة والمطر والقصيدة عند المنخّل اليشكري وطرفة ـ ليل امرئ القيس والزمن النّسبي ـ الصورة الفنية ـ ثمانية عشر نمطاً للصورة : الصورة الواقعية ـ المجازية ـ الحسيّة ـ الذهنية ـ الجزئية ـ الكلية ـ المتحرّكة ـ الساكنة ـ الحية ـ

الميتة ـ البسيطة ـ المركبة ـ الصورة بين الثنائيات والأضداد ـ النقد الجاهلي قائم على معيار الصورة ـ طرفة ينقد خاله المتلمس (استنوق خالي الجمل) ـ ميمية الحطيئة (وطاوي ثلاث) بانوراما جديدة ـ أسلوب الحكاية ضرب آخر من ضروب شعر الصورة ـ الواقعية ـ الشعر ثمرة الواقع ـ اتهام الشعر الجاهلي بسلطة الحواس (الحسيّة) ـ قصيدتان نادرتان لأوس بن حجر ـ قصيدة تصف الطبيعة قبيل هطول المطر ـ قصيدة أخرى تصف فرار أوس أمام العدو ـ الزمكانية ـ آليات القصة ـ عينية سويد اليشكري (مخضرم) ـ لامية امرئ القيس ـ الأعشى رائد فن الحكاية الشعرية ـ الحكاية من خلال : أيام العرب والرحلة والوصل والبيئة ـ وضوح المعاني ودقة التعبير ـ جدل الذاتية والغيرية (أنا ـ هم) .

• الأطروحة الثالثة (النثر الفنّي)

+ مقدمة (مأزق الخطاب النثري الفني القبسلامي) :

المبدع الشامل ـ الفجوة بين الشعر والنثر ـ الارتجال يضيّق الفجوة بين الجنسين ـ الشعر والنثر توأمان ـ الشعر أبصر النور قبل النثر ـ فن السيرة يخلط بين جنسي الشعر والنثر ـ سيرات : الزير سالم ـ عنتر وعبلة ـ ليلى العفيفة ـ القصة بين الشعر والنثر ـ النظرية الشفاهية أسهمت في تضييق الفجوة بين جنسي النثر والشعر ـ نظرية مونرو في شفاهية الإبداع الجاهلي ـ قراءة في قراءة مونرو ـ مفهوم د . عبد الله الغذامي للشفاهية ـ عصا الشاعر وعصا المايسترو كلاهما تعملان على ضبط الإيقاع ـ الشعر يموسق العواطف ـ غربة النثر الفني الجاهلي في الجامعات العربية ـ تسلّط الشعر ـ استبيانات وزّعها الباحث على دارسي الأدب الجاهلي في عدد من جامعات الوطن العربي ـ الاستبيانات هتكت نظرة اللامبالاة عند المدرّسين والمختصين للنثر الفني ـ العرب أمة الشعر وأمة النثر أيضاً ـ العرب أمة البيان ـ الشعر ديوان العرب والنثر ديوان

العرب أيضاً . جمهور النثر في الجاهلية فاق جمهور الشعر كماً ونوعاً ـ ستة عناصر أسهمت في تخلّف النثر عن الشعر .

+ تمهيد (أوراق النثر الفني) :

نقّاد النثر ـ الجمهور والحكّام ـ الشعراء نقّاداً ـ تجنيس الشعر والنثر ـ تفريع الأجناس ـ حدود التجنيس عند د . حاتم الصكر ـ حساسية النقّاد من الأجناس ثمرة مرة للذكرى القاتمة حين وظف النازيون والفاشيون علم الأجناس لأغراضهم المهلكة ـ أنماط السرد عند العرب .

+ أنماط النثر الفني : ـ الخطابة ـ الأمثال ـ سجع الكهان ـ المنافرة ـ الحكاية ـ الوصايا ـ المعاهدات والأحلاف ـ الرسائل ـ الوصف .

أولاً : الخطابة : مساحة الخطابة ـ سبع مزايا ينبغي توفرها في الخطيب ـ أبرز خطباء العرب ـ قس بن ساعدة ـ علقمة بن علاثة ـ عامر بن الطفيل ـ أكثم بن صيفي ـ حاجب بن زرارة ـ الحارث بن عباد ـ الحارث بن ظالم ـ قيس بن مسعود ـ عمرو بن الشريد ـ عمرو بن معد يكرب ـ عامر بن الظّرب العدواني ـ قبيصة الأسدي ـ كعب بن لؤي ـ هاشم بن عبد مناف ـ عبيد بن الأبرص ـ الحارث اليشكري ـ عمرو بن كلثوم ـ عمرو بن عمار الطائي ـ ضمرة بن ضمرة ـ ربيعة بن حذار ـ خويلد بن عمرو ـ وعبيد بن شرية الجرهمي ـ خطبة قس الإيادي ـ نصّها ـ أجواؤها ـ ترجمة قس ـ خطبة النعمان في بلاط كسرى ـ خطبة أبي طالب لرسول الله ﷺ ـ في تزويجه خديجة بنت خويلد ـ أغراض الخطبة الجاهلية : التحريض ـ السلام ـ الوئام ـ التبشير الديني ـ محاربة الفوضى والوثنية والقهر ـ التعزية ـ الوفادة ـ الصلح ـ المفاخرة ـ المباهاة ـ مساحة الخطبة بوصفها نصاً ـ مساحة الخطبة بوصفها أدباً جماهيرياً ـ صورة الخطيب في اشتراطات قدامة بن جعفر .

ثانياً : الأمثال : ـ تأصيل المصطلح ـ أعلام دونوا الأمثال ـ ورود بعض الأمثال على ألسنة الحيوانات والهوام ـ تشريح الاستعارة التمثيلية ـ بنية المثل ـ مخططان لبيان أنساق المثل ـ منهج الميداني في مجمع الأمثال ـ تشريح ستة أمثلة بآليات المغزى ـ نصوص مختارة لأمثلة جاهلية .

ثالثاً : سجع الكهّان : ـ تفكيك المصطلح ـ الاستضاءة بالوثائق الأدبية ـ تغريب هيئات الكهّان ومقولاتهم ـ ستة نصوص من سجع الكهّان ـ عوف بن ربيعة ـ الزرقاء ابنة زهير ـ الزبراء الرئامية ـ عزى سلمة ـ سطيح الذئبي ـ شق بن صعب .

رابعاً : المنافرة : مفهومها ـ حرب سلاحها الكلمات ـ بروتوكولاتها ـ دور الجمهور والقاضي ـ أسباب التنافر ـ التنافر على حق يدعيه كل طرف لنفسه وينفيه عن غيره ـ زعامة القبيلة ـ ملكية الأرض ـ ملكية الماء ـ خطبة فتاة ـ حيادية مكان المنافرة ـ التقاليد المسكوت عنها ـ التقاليد المتبعة ـ شغب الجمهور ـ مروءة الجمهور ـ دور المنادي ـ الرؤية العروبية منعت قضاة المنافرة عن تشجيع المنافرة لأنها تبدد الجهد ، وتفرّق الجمع ، وتزرع الضغائن ـ مقطع طويل من كتاب الأغاني حول منافرة عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة ـ اختلاط إيماءات الشعر بإيماءات النثر في المنافرة ـ وقوف لبيد والأعشى مع عامر بن الطفيل ـ وقوف الحطيئة والسندري مع علقمة بن علاثة ـ قضاة المنافرة ورؤيتهم العروبية ـ مروءة القضاة ـ منافرة العجفاء ضد صديقاتها الثلاث ـ الاحتكام إلى الكاهنة ـ الكاهنة أعادت المحبة إلى أفئدة الصديقات الأربع ـ الفخر والهجاء قبالة الإيذاء ـ تقويم المنافرة ـ سبعة قضاة اعتذروا عن التحكيم في منافرة عامر وعلقمة لأسباب عروبية وهم : هرم الفزاري ، وعامر بن مالك ، وأبو سفيان بن حرب ، وأبو جهل بن هشام ، وعيينة بن حصن ، وغيلان بن سلمة الثقفي ، وحرملة بن الأشعر المرّي ـ أيها المعوّل عليه في المنافرة : جمال الأسلوب أم مكر المعنى ؟؟ـ

خامساً : الحكاية : الدلالات والحدود ـ تداخل دوائر الحكاية الثلاث ـ الراوي ـ النص ـ المتلقي ـ أنماط الحكاية ـ الحكّاء (تشديد الكاف) راوية الحكاية استناداً إلى الزمخشري ت (538 هـ) ـ جدل الحكاية والمثل ـ إذا قصر نفس الشعر طال نفس الحكاية ـ التداخل بين الحكايات الشعرية والنثرية ـ قيادة النص الحكائي وتأويلاته ـ الشفاهية والحكاية ـ نصوص ست حكايات جاهلية : الحية والكنز ـ الغريّان ـ زكانة أولاد نزار ـ شن وطبقة ـ جزاء النضيرة ـ بنت الضَّيزن ـ طرفة التكاذب .

سادساً : الوصايا : ـ فن شائع ـ لماذا الوصايا ؟ـ خمس وصايا ـ وصية النعمان الشني ـ أم البنت ـ عامر بن الظّرب ـ المنذر ـ أكثم بن صيفي ـ مجلة لقمان مجموعة وصايا كانت بحوزة سويد بن صامت ـ تداخل الوصية والحكمة والخطبة ـ وظائف الوصية .

سابعاً : المعاهدات والأحلاف .

ثامناً : الرسائل .

جهود ابن الكلبي ، وأبي عبيدة ، وابن هشام ، وابن حبيب ، والسجستاني ، والجاحظ في الحفاظ على إرث المعاهدات والأحلاف والرسائل ـ إشكالية منهجية تعتور الباحث ـ المعاهدات والأحلاف والرسائل وصلتنا بمعانيها ولم يلتزم المدونون بنصيّتها ـ ثمة أكثر من ستة وعشرين موئل .

تاسعاً : الوصف : فن نثري راق ـ يتصل بجماليات الصورة الفنية ـ عشرة نصوص في الوصف ـ أعرابي يصف رجلاً ـ جليلة تصف محنتها ـ وصف جمال ابنة عوف ـ وصف البرد ـ وصف الحر ـ وصف حاجب بن زرارة للعرب ـ المنذر يصف الجمال ـ مهلهل يصف الحرب ـ وصف الشيخوخة ـ وصف النساء .

+ خصائص النثر الفني : وحدة الموضوع ـ قصر النص ـ قصر الجملة ـ الاعتبار بالأولين ـ المبالغة في الوصف ـ نظرية النثر بالشعر ـ جاذبية الصورة ـ الإدهاش والإبهار ـ ورود تفعيلات بتلقائية تامة (فاعلاتن/مستفعلن/مفاعيلن) .

+ **مصادر الأدب الجاهلي ومراجعة (تأصيل وإضاءات)** : الحدود بين المصدر والمرجع ـ حذر علماء اللغة والمصطلح من الخوض في الحدود بسبب التداخل ـ مقولات مهمة للدكتور عز الدين إسماعيل ـ والأستاذ محمد عجاج الخطيب ، ود . الطاهر أحمد مكي ـ مقترحات لترسيم الحدود بين مصدر ومرجع .

+ **جريدة المصادر والمراجع** : وقد تضمّنت أمات المصادر والمراجع التي استثمرها كتابنا ، ولم نغفل الكتب المساعدة والمظان التي تبدو في الظاهر بعيدة عن دائرة الأدب الجاهلي بيد أننا اقتبسنا منها إرشادات أضاءت لنا فكرة ما ، أو عززت رأياً ما .. مثل كتب الإيقاع والعروض ، والشعر الحديث ، والفلسفة فاقتضت الإشارة .

مقدمة الكتاب

« سنابل بين يدي الكتاب »

1 ـ فاز الأدب الجاهلي (PRE- ISLAMIC LITERATURE) باهتمام الدارسين ، قدامى ومحدثين ، عرباً وأجانب ، ناعماً بذائقة جمهور واسع موال لأدبيته ، يشكّل أغلبية الشارع الثقافي ، فإذا اختلف القرّاء المختصون في أدبية أي عصر من عصور الأدب ، فهم متفقون على أدبية النص الإبداعي الجاهلي وقيمتها الفائقة ، ولسوف يظل السؤال عن سرّ تجدد جمرة هذا الأدب رغم الفجوتين الشاسعتين العميقتين (الزمن والحساسية) اللتين تفصلان منظوماتنا المعرفية والجمالية ومنظوماته . يظل هذا السؤال مفتقراً إلى إجابات علمية مقنعة مستندة إلى آليات علم تحليل النص (TEXT ANALYSIS) ، وعلم الجمال (AESTHETICS) وفق مرجعيات متعددة ومناهج مختلفة واجتهادات متباينة . ثم يواجهنا جمهور الأدب العريض بهذا السؤال البسيط والمركّب معاً :

لماذا تستفز ذائقتنا معلقة طرفة بن العبد ـ مثلاً ـ ولا نستشعر الحالة ذاتها ـ أحياناً ـ مع قصيدة معاصرة ؟!

أين مكمن الخلل : في الذائقة ؟ أم في العصر ؟ أم في النص ؟

إن الجواب بسيط ومرّكب معاً .. حاولنا أن يكون بهيئة كتاب .. فكان لنا ماأردنا . وسنجد في مفاصل الكتاب أن النص الإبداعي الجاهلي عبّر دون حذلقة عن هموم عصره المتشعّبة : الهموم الاجتماعية والوجودية والجمالية مستنداً إلى حالات فائقة

من الصدق الفني ، فهو (النص الإبداعي) دائرة مغلقة ، مركزها القراءات المتعددة ، ولعل أوّل القراءات وأجداها تمثّل في قراءة الجدل الموضوعي والذاتي بين النص الإبداعي ومعطيات المكان ، والمكان وحده قيمة كبرى تضمن إن أُحسن الحوار معها النص الإبداعي بأسرار النمو والبقاء داخل مركزية الضمير الإبداعي الجمعي ..

2 ـ لقد جرّب كتابنا هذا فكرة المزاوجة الموضوعية بين نصوصية النص وخصوصية التأويل ، متجنباً التنطّع والتحّل اللذين يعزلان العلّة عن المعلول ؛ والنص عن حاضنته الطبيعية ، فشغلت أطروحاته الثلاث بتحليل مستويات النص الجاهلي (الشعر ، النثر ، الإشارة ، الحادثة ، الظاهرة ..) ودأبها تعددية القراءة الممهّدة لمسوغات التحليل والتأويل والتلوين ، ولم تشأ هذه الأطروحات الارتياز إلى التلوين إلا في حالات (نادرة) لم تتعد أصابع اليد الواحدة !! حين تضطرنا المعضلة العلمية إلى ترميم نص مشروخ ، أو مخروم ، أو مكسور ؛ يعاني خللاً في حَرْفيته ، أو نسبته ، أو جنسه ، أو فرعه ، أو مناسبته !!

3 ـ تظل (ولزمن طويل) قارة الأدب الجاهلي بكراً شديدة الخصوبة وفيرة الكنوز ؛ مع تنامي البحوث والدراسات والترجمات التي ما انفكّت تحرث وتنقّب وتستكشف .. ثمة الكثير الذي لم يدرس بعد ، أو لم يكتشف بعد ، أو لم يقل بعد !! زد على ذلك الاحتمالات المبهجة المفتوحة على الحفريات الهميمة الدؤوبة التي تشهدها جزيرة العرب شمالاً وجنوباً ، وهذه الحفريات الميمونة تنهي إلى انتظارنا نبأ خطيراً كل شهر تقريباً ، وكشفاً كبيراً ! لقد تجمعت في اليمن وحدها آلاف الرُّقُم والنقوش وهي قمينة ـ يقيناً ـ بإضاءة العتمات وتصويب المعلومات ، بما يغني الباحث الرصين عن (التلوين) الذي يرمّم النص بمحمولاته ومتونه وهوامشه ، ولسوف تشهد السنوات القادمة زلزالاً في القناعات البحثية القائمة على الأدب الجاهلي ، حين تصل هذه المكتشفات إلى أوراق الباحثين ، وحين تضحي آليات علم تحليل النص متداولة وقد نهد (مركز الدراسات والبحوث اليمني) لإصدار بعض الكتب المهمة المتضمّنة نقوشاً مسندية

مع ترجماتها وتعليقات علمية حولها ؛ ونحن ننتظر المزيد والمزيد من إسهامات مراكز الدراسات والبحوث في الوطن العربي وفق خطة مركزية للتنسيق والتعجيل وتبادل الخبر والمعلومات لتظهير معطيات المكتشفات الجديدة .

4 ـ يجهد كتابنا ويجتهد ابتغاء ردم الفجوة المعرفية التي حفرتها الكتب المنهجية الشائعة في جامعاتنا العربية مع الأسف ، (نستثني عدداً قليلاً من الكتب الجامعية المنهجية الرصينة) تلك التي يسوّدها نمطان من صُنّاع الكتاب المنهجي !!

الأول .. هم التجار والحريّفون من حملة الماجستير أو الدكتوراة أو الدرجة العلمية الرفيعة ، مستثمرين رغبة الطلبة في الاستناد إلى كتاب أو ملزمة لغرض التعويض عن الغياب والتهيؤ للامتحان !! وحسابات الإدارة المالية ، وسخاء دور النشر المتمرّسة في ابتزاز الطالب والجامعة !! وللواحد من هؤلاء سبعة رؤوس وعشرات الأيدي فإذا أغضبته وقوّمت فِعاله (حَسِبْتَ الناسَ كلَّهمُ غضابا) !!

والآخر .. هم الهارفون بما لا يعرفون ، مستثمرين غياب رقابة الضمير الجمعي والعلمي والإداري ، وحاجة الطلبة الجامعيين إلى كتاب يعتمدون عليه ، حين يستعدون للامتحان ، وقد زرع الهارفون في روع طلابهم أن الكتاب كفيل بتيسير مشاكلهم العلمية وسبيل لاحب يوصل إلى النجاح !! نحن إذن بإزاء كتب منهجية مطبوخة على نار حادة ، كتب تنسخ عن غيرها دون إحالة ، وتمسخ النص بالتحليل الساذج ، والتشكيل (ضبط الحركات) الخاطئ ، وهي إلى هذا تعاني من خروق فادحة الضرر في المنهج والمرجعية والعرض والتأويل ! فضلاً عن وجود كتب (مزمنة) في الأدب الجاهلي مضى عليها العقد والعقدان والثلاثة وصلت طباعاتها إلى العشرين والثلاثين دون تعديل بإضافة أو حذف بما ينسجم مع مستجدات البحث العلمي ؛ فكأن الزمن لابث حيث يلبثون ، أو كما قال أرشيبالد مكليش (لا شيء يحدث ، لا أحد يجيء ، يا للهول) .. فهذا الكتاب (...) قرأناه ونحن طلبة بكالوريوس ، وحين حصلنا على

الإجازة العالية قررناه لطلبتنا ، وحين حصل طلبتنا على الإجازة العالية قرروه لطلبتهم !! وأي كتاب منهجي يفتقد شرعية استمراره إذا لم يكن وكده في مراقبة المتغيرات العلمية والتوصلات البحثية ، وتشكّل أجيال جديدة من الأساتذة والطلبة ، لكي يحذف ويضيف ويعدّل ، فالحقيقة العلمية في تطوّر ونموّ مستمرين ، وما أكثر ما فاجأنا العلم بالكثير بين ليلة وضحاها ، والأدب الجاهلي ليس ديباجة إنشائية وإنما هو علم تامّ العلمية .

5 ـ عيّنت عضو هيئة تدريس في جامعة الموصل العتيدة عام (1984 م) ، وكلّفت بإلقاء محاضرات في الأدب الجاهلي على طلبة قسم اللغة العربية (كلية الآداب) ، وحرصت على أن تكون محاضراتي وفق منهج جديد في قراءة النص الجاهلي أسميته (المنهج الصوفي) ؛ ونالت المحاضرات ترحيباً مناسباً من طلبة البكالوريوس ، وطلبة الدراسات العليا ، مثلما نالت الترحيب نفسه من زملائي وأساتذتي ، فعرض عليّ الدكتور صلاح الدين أمين عميد الكلية فكرة صناعة كتاب في الأدب الجاهلي متوفر على مفردات المنهج المقرر ، وذكّرني بكتاباتي في الصحف والمجلات .. التي تعرّضت فيها ـ بكل صراحة ـ لمحنة الكتاب المنهجي وبخاصة الأدب الجاهلي ، فسعدت بعرض الأخ العميد ، بيد أنني اعتذرت له عن تأليف كتاب منهجي ، فالوقت بالنسبة لي لم يحن بعد لصناعة كتاب مقرر للطلبة !! وحاول الأخ العميد مرات ومرات كسر قراري وقد انضمّ إليه الدكتور عبد الوهاب العدواني رئيس قسم اللغة العربية (وهو شاعر وباحث مجتهد) ولم تفضِ محاولة الصديقين معي إلى نتيجة واضحة ، إلا أنني أرجأت فكرة صناعة كتاب جامعي إلى وقت آخر فبدأت بجمع الجذاذات والتوفّر على المظان التي أحتاج إليها في شغلي .. ثم قادتني حياتي المضطربة إلى تدريس هذا الأدب الجميل في جامعات الموصل والكوفة والمستنصرية (في العراق) وجامعة الفاتح (في ليبيا) وجامعة صنعاء (في اليمن) فتجمّعت لديّ غبّ هذه الملاوة (1984 ـ 1999) جذاذات مهمة كمّاً ونوعاً وخبرة ميدانية أضافت إلى منهجي الكثير ، فحذفت وعدّلت ،

والتدريس مرجعية مهمة لأيّ مشروع جامعي يمتلكه حلم الطبع والانتشار ، زد على ذلك السوانح العلمية التي هيأتني للإشراف على عدد غير قليل من الأطاريح العلمية (الماجستير والدكتوراة) فضلاً عن المناقشات والسمنارات وتقويم الكتب والبحوث .. ويمكن الاعتراف بأننا عوّلنا على هذه الخبرات الميدانية في تحليل وتأويل كثير من النصوص والظواهر .. وكأنني غبٌّ هذه الملاوة أُحقّق رغبة صديقي عميد كلية الآداب ورئيس قسم اللغة العربية ، بل أحقّق رغبة مكبوتة قمعتها كل هذه الفترة وها إنني أضع كتابي الجامعي الأول في الأدب الجاهلي ، ليعود إليه الأعزاء من القراء والطلبة والزملاء ، فقد حرصت على أن يتوفّر على مفردات المنهج المقرر للأدب الجاهلي بأقسام اللغة العربية في جامعات وطننا العربي الكبير . ولن ندّعي أن كتابنا هذا مرشّح لسدّ كلّ الثغرات المزمنة ؛ فمثل هذا الادعاء لا يزعمه الباحث المحترم لمروءته العلمية ، وجهد فرد ـ مهما علم أو تعالم ـ لن يكون بديلاً عن جهد الفريق ، وينبغي أن يكون أي كتاب جامعي ثمرة فريق من العلماء وذوي التجربة ! لكن مثلنا في هذا المنعطف الحاد هو : « ما لا يدرك كلّه لا يُترك جُلّه » ؛ هذا الكتاب (الأدب الجاهلي وبلاغة الخطاب ـ الأدبية وتحليل النص) محاولة مخلصة ويقظة لصناعة كتاب منهجي متوفّر على مسوّغات تداوله وقراءته مستفيداً من كتبنا التي أنجزناها في تحليل النص الجاهلي وهي :

1 ـ الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام (1982 م)

2 ـ الصورة الفنية معياراً نقدياً (1987)

3 ـ الإبداع الأدبي الجاهلي بين الواقع والتوقّع (1988 م)

4 ـ الخطاب الإبداعي الجاهلي والصورة الفنية (القدامة وتحليل النص) (1997)

6 ـ الأدب الجاهلي (أدب شعبي) وفق الحدود العلمية لهذا المصطلح ، فهو ثمرة

الذاكرة الجمعية لمنتجي النصوص الجميلة ومستهلكيها ، ولم يستشعر المبدع عهد ذاك غربة مع جمهوره ، كذلك الجمهور ، فهو لم يستشعر غربة مع مبدعه ، والنصوص المتاحة مبهجة ومفهومة بسبب انتشار اللغة الأدبية (الثالثة) قبيل الإسلام ، وإذا كانت لقريش لغة رسمية ، وللعرب الآخرين لغاتهم التي تشبه اللهجات في زماننا ، فقد ابتكر المبدعون لغة ثالثة ، وهي لغة أدبية متطورة عن لغة قريش مستثمرة شحنات الشائع من اللغات الأخرى ، ملاحظة التماهي بين (المبدع ، النص ، المكان ، المتلقي) ، والذائقة مهيأة تماماً لتلقي النصوص في زمان لم يشغل الناس فيه شاغل عن الأدب ، فالحرب تتطلب الأدب ، والسلم يتطلب الأدب أيضاً !! والرغبات والرهبات والطقوس ، وحتى الحرف كانت تطالب المبدع بقول شيء يناسب المقام ! فكانت لغة الأدب مفهومة من قبل العرب والأعراب شمال الجزيرة العربية وجنوبها ، ومرغوبة ، الشاعر في سوق عكاظ مثلاً يكلّم خاصته بلغة جغرافيته لكنه ينشد الشعر باللغة الثالثة وقد يجد من تُشْكل عليه لغته ، ولكنه لن يجد أحداً تنغلق عليه لغة النص الإبداعي ، وسواء في ذلك الشاعر والخطيب والواعظ والحكّاء باستثناء الرهبان الذين يغرّبون سجْعهم ، ويشحنونه بغرائبية اللفظ ، وعجائبية المعنى .

7 ـ صنع الأدب الشعبي (الأدب الجاهلي) نصوصاً عذبة وفق قوالب و (كليشهات) وجاهزيات متداولة بين المبدعين وجمهورهم العريض ، بما يجعل الكتابة الأدبية فعلاً يسيراً إلى حدّ ارتجال القصيدة ، أو الخطبة ، أو الحكاية دون عناء ، ولنا أن نتذكر ارتجال الحارث بن حلّزة معلقته الجميلة :

(آذنتنا ببينها أسماء) .

في بلاط المناذرة ، ونتذكّر أيضاً ارتجال عبيد بن الأبرص لمعلقته :

(أقفر من أهله ملحوب) .

وقد بدأها خطبة وألقاها قصيدة ! وارتجال قس بن ساعدة لخطبته التاريخية

الشهيرة في سوق عكاظ ، وهذه القراءة تقربنا من نظرية الأدب الشفاهي الجاهلي (ORAL COMPOSITION IN PRE ISLAMIC LITERATURE) التي استضأنا بها في القراءة والتحليل والتأويل ! وتطلس هذه النظرية بوجاهتها العلمية المقولات التي (تشنق) الشعر والنثر الجاهليين ، تلك المقولات التي قادها رواد نظرية النحل من العرب والأجانب ابتداء من ابن سلاّم وانتهاءً بطه حسين ومارجليوث .

8 ـ وقد اخترنا المنهج الفني ARTISTIC METHOD سبيلاً لاستنطاق النص والغوص في الطبقات الغاطسة فيه لتحليل إشاراته وظواهره وأحداثه ، واختيارنا المنهج الفني لم يحبسنا عن الاستفادة المحسوبة من مزايا المناهج الأخرى ، فاستفدنا تارات من معطيات المناهج : التاريخي ، والنفسي ، واللغوي ، والاجتماعي ، وإن هذا المنهج متوفر على طاقات ممتازة تقوى على مقاربة الهَمَيْنِ المركزيين في النص الإبداعي : الدلالي والجمالي حين يتماهى الهمّان في النص ، إن استثمارنا لعدسات المناهج الأخرى يعزّز المسار الوصفي لكتابنا ، ولا ينقل الهم من دائرة النص إلى منتجه ، ولا يقربنا من المعيارية ، فالأدب الجاهلي أدب مستحيل على نظرية قتل المؤلف التي نادى بها رولان بارت فثمة معان لا يمكن هتكها دون الاستضاءة بالتاريخ والجغرافية والمسار الإيقاعي للغة !! للمثال حسب .. قارن قول عنترة :

إذْ تَسْتَبِيْكَ بذِي غروب واضحٍ ... عذْبٍ مقبّلُهُ لذيذِ المطْعم
وكأنّ فأرة تاجر بقسيمة ... سبقت عوارضَها إليك من الفم
أو روضة أُنُفاً تضمّن بنتها ... غيثٌ قليل الدّمن ليس بمعلم
جادت عليه كل بكر حرة ... فتركن كلّ قرارة كالدرهم
سحّاً وتسكاباً فكلّ عشية ... يجري عليها الماءُ لم يتصرّم
وخلا الذباب بها فليس ببارح ... غِرداً كفعل الشارب المترنّم
هزجاً يحكّ ذراعَه بذراعِهِ ... قدْحَ المكبّ على الزناد الأجذم

فعنترة يشبّه ثغر حبيبته بروضة خضراء ممطرة نظيفة برّاقة لا يهتدي إلى خصوبتها الآخرون ، وكلها أوصاف ليست بعيدة عن صورة الثغر لأيّ فتاة جميلة عذراء ! ثم يسلّط النص عاصفة من الذباب على الروضة (المشبه به) لثغر عبلة (المشبه) !! ولن نستطيع حلّ هذه الإشكالية بالقراءة أو التحليل أو التأويل إذا غيبنا صورة الذباب في ذهنية الجاهلي ، وقد وسم الدارسون عنترة بفساد الذوق ، واتهام عبلة بخيانته (كذا) ولم يكن فعل هؤلاء الدارسين سوى تلوين يحجب حيرتهم ؛ فإذا استعنا بالجغرافية النوئية للجزيرة أدركنا أن الذباب غير قادر على الظهور في لهيب الصيف ، وثلوج الشتاء ، وعواصف الخريف ، فالذباب مغيّب تماماً في الفصول الثلاثة (الصيف ، الشتاء ، الخريف) والفصل الوحيد الذي تراه فيه عين الجاهلي هو الربيع !! عهد امتلاء الغدران والآبار بالمياه ، واكتساء الأرض بالخضرة المتوهّجة ، وسمنة الأنعام ، وغزارة الألبان ، وانهمار الأرباح ، فضلاً عن الدفء والاستقرار حتى لتقام في هذا الفصل العلاقات بين العوائل ، والمصالحات بين الأسر ، تثمر صداقات بريئة بين الفتيان والفتيات .. في هذا الفصل فقط يظهر الذباب ، فهو مقترن (وفق نظرية الاقتران الشرطي لبافلوف) بالخير والجمال والنظافة خلافاً للذباب في زماننا المقترن بالقذارة والجراثيم المهلكة !! إن الاستعانة بالجغرافية النوئية ونظرية بافلوف أضاءت لنا عتمات هذا النص ، ويسّرت تحليله وتأويله ، وأغنتنا عن تلوينه ، والأمثلة كثيرة لا تكاد تحصى ..

9 ـ لم تتهيأ لنا القناعة بوضع خاتمة لكتابنا هذا ، والسبب بسيط ونحسبه وجيهاً ، وهو أن الأطروحة الثانية (الشعر الجاهلي) ختمت بخصائص الشعر الجاهلي ، والأطروحة الثالثة ختمت بخصائص النثر الفني ، والخصائص كما هو معلوم هي مركزية الخاتمة ونتائج البحث معاً ، وقد نهدت المقدمة التي جاءت استهلالاً للكتاب لنشر الأفكار التي توضع عادة في خواتيم الكتاب ، وإذا عوّلت الخاتمة على تلخيص أبواب

الكتاب وفصوله ومباحثه فإن الكشاف التفصيلي ناهض بهذه المهمة العلمية فقد فصّل القول فيها بحيث يتراءى الكتاب بجملته وتفصيله من خلال هذا الكشاف .

10 ـ لم يستطع كتابنا لأسباب قوامها المنهج والوقت المقرر لمفرداته خوضاً في ظواهر فنية مهمة ، فرأينا إهداء هذه الظواهر بهيئة مقترحات إلى زملائنا الباحثين بآليات المنهج الفني :

1 ـ قصائد الرؤيا في الشعر الجاهلي
2 ـ الرؤيا في النثر الفني ..
3 ـ إيقاعات النثر الفني
4 ـ تأويلات ظاهرة الصراع في الشعر الجاهلي
5 ـ أسطورة الثور في الشعر الجاهلي
6 ـ جدل البداية والنهاية في النص الأدبي الجاهلي
7 ـ القناع في النثر الفني
8 ـ جماليات المثل الجاهلي
9 ـ إشكالية التداخل بين الشعر والنثر في الأدب الجاهلي .

11 ـ أما خطة الكتاب فقد أردناها ثمرة لمنهجنا الفني المنحاز بكليته إلى الوصفية لقناعتنا أن المعيارية قد ألحقت جوراً كبيراً بالنص الجاهلي ، فحمّل النص دلالات لم تكن ضمن نسيجه ، فانحرف عن سياقاته وأنساقه . فالخطة إذن مكلّفة بتحقيق حلم الكتاب ، وقد تكفّل الكشافان : الموجز والمفصل بإعطاء مشهدين عمودي وأفقي ؛ فما عادت الحاجة ماثلة لتكرار الحديث عن مفاصل الخطة الأم وما تفرّع عنها من خطيطات ، وكان ابتداؤنا بكتابة فصول هذا الكتاب بعد وصولنا إلى صنعاء المحروسة بشهر ، وقد أنجزنا الكتاب بفضل الله ومنّه في اليوم الأول من الشهر الأول من السنة الهجرية الجديدة المباركة (1420 هـ) ، وقد صادف السبت (17 ـ 4 ـ 1999 م) ،

وهذا فأل حسن . وإذ أضع هذا الجهد الجديد بين يدي أصدقائي القراء والزملاء فإنني أعدهم بالإصغاء التام المستمر لأي ملاحظة علمية تهدي إليّ عيوبي وتسهم في ترصين صناعة الكتاب الجامعي .

عبد الإله الصائغ

اليمن ـ صنعاء ـ بريد معين ص ب 14733

الأطروحة الأولى

مهاد وإضاءات

تتكفل هذه الأطروحة بمعالجة ثلاث عنوانات هي أولاً : الأدب الجاهلي بين الكيف والكم ، وثانياً : عصور الأدب ، وثالثاً : تفكيك مصطلحات الأدب ... وقد رأينا هذه العنوانات سبيلاً لاحباً يفضي إلى التمهيد الذي انصرف إلى مقاربة همّين كبيرين هما :

أولاً : الأدب في حاضنة البيئة مستعيناً بمظانّ التاريخ والجغرافية والدين والاجتماع فضلاً عن خوارط (الجيوهيستري) و (الجيوبولتيك) .

ثانياً : جاهلية المجتمع العربي قبل الإسلام ، وقد نهد هذا الجزء من التمهيد لإزالة الغبار عن طبيعة المجتمع العربي .. هذا الغبار الذي شوّش الرؤية ، وخلط الأوراق ، فما عادت بعض الدراسات قادرة على التميز بين الجاهلية الحضارية والجاهلية الدينية ، وبين أُمّية القراءة والكتابة والأُمّية الدينية ، بين متحوّل الأعراب وثابت العرب !! وهذه أمور تتصل بشغل الباحث الجادّ في الأدب الجاهلي ، لا يمكن إغفالها مهما زوّقت المسوغات وتكاثرت ..

الفصل الأول

الأدب الجاهلي بين الكيف والكم

ثبت الأدب الجاهلي أمام المحاولات الماكرة التي داهمته بغية التهوين من شأنه ، وإقصاء الذائقة القرائية عن مشاغله ومباهجه !! وقد التمس المكر أسباباً كثيرة لتحقيق مآربه ، بينها التشكيك بصحة الإبداع الجاهلي ، وصبغ روّاده بالعمه والوثنية ، ووشم حاضناته وحوامله بالتخلف والانحطاط !! ولم يكن ثبات الأدب القبسلامي بوجه الزلازل والصواعق مقترناً بدفاع محبّيه قرّاء وباحثين فحسب ، والدفاع حالة موقوتة تذوب في جريان الزمن ؛ وإنما اتّصل الثبات بسبب من أصالة المعطى الذي قدّمه الخطاب الإبداعي وفق أنساق علوم الجمال واللغة والتاريخ والجغرافية والاجتماع .

إن دراستنا هذه غير معنية بإهدار الجهد لإيضاح الفروق بين أُطروحات الرأي والرأي الآخر ، لأسباب منهجية مقترنة بمفردات الخطة ، وحلم البحث ، وحاجة القرّاء المعنيين بالأدب الجاهلي من الزملاء الأجلاء والطلبة الأعزاء ، وقد أوكلنا أمر الأُطروحات التي أثبتت الأدب الجاهلي والأُطروحات التي نقضتها إلى كتبنا الصادرة بين عامي : (1982 ـ 1997 م) محيلين المستزيد إليها إذا اقتضى الأمر[1] .

إن كثيراً من الدارسين يمضون شطراً نفيساً من أعمارهم البحثية دون أن يؤسسوا ـ

---

(1) الصائغ . د . عبد الإله :

أ ـ الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام . طب التايمس . كويت 1982 .

ب ـ الصورة الفنّية معياراً نقدياً . طب . الشؤون الثقافية بغداد 1987 .

جـ ـ الإبداع العربي الجاهلي بين الواقع والتوقّع . طب الموسوعة الصغيرة . بغداد 1988 .

د ـ الخطاب الإبداعي الجاهلي والصورة الفنّية (القدامة وتحليل النّص) . طب المركز الثقافي العربي . بيروت 1997 .

في مستوى الوعي ـ مسوغات ثبات الأدب القبسلامي واستمراريته وأهميته !! بعبارة ثانية إن أولئك الدارسين لم يمنحوا مسوغات قراءة الأدب الجاهلي مقدارها من الأهمية ، وربما اتضحت أضرار إهمال المسوغات في مواكب الطلبة بشكل جلي ، فنحن قبالة أجيال من الطلبة (في كل مكان من معاهد وطننا العربي وجامعاته) تستثقل دم هذا الأدب وتعده عبئاً ثقيلاً ومقرفاً ، قدّر عليها حمله فوق أكتافها الواهية ! ولم نلتفت نحن مدرسي هذا الأدب إلى خطورة الشرخ في الجدار المعرفي فأمعنا ويا للأسى في إتلاف ذائقة التلقي من خلال عرض النصوص في أطباق من المعاظلة أو التفيهق ، أو التكرار الناعوري ، أو النظرة الهامشية ، أو الهرف النظري ! إن مدّ الجسور بين الأدبين الجاهلي والحديث مسألة علمية لا علاقة لها بمقولات المعاصرة والتراث والحداثة والقدامة ، فالأدب واحد ينتج تراكاته النوعية والكمية وفق منطق جدلي ، فكأنه جدارية كونية تستحم في زرقة البحر وتعتم بزرقة السماء .. وفيها سعةٌ ومحبة لأحلام كل المبدعين : السابق واللاحق منهم ، وما عليهم سوى تدوين نصوصهم على تلك الجدارية .. إ ن حيفاً لحق الإبداع حين سلطنا القديم على الحديث ، وسلطنا الحديث على القديم .. غافلين عن فلسفة الزمن الذي يتشكل في بنيته الأساسية من نسيج واحد ، فليس ثمة ماض وحاضر ومستقبل في الزمن الأزلي ؛ لأنه جارٍ ومتصل ، وكل ضلع من مثلث الزمن الذي تعلمه الدراسات لأسباب مدرسية إنما يمثل حاله كما يمثل الضلعين الآخرين معاً ! الماضي كان حاضراً وكان مستقبلاً أيضاً ؛ والحاضر كان مستقبلاً وسيكون ماضياً ؛ والمستقبل سيكون حاضراً ويكون ماضياً أيضاً ، أما الحاضر فهو مزيج من مستقبل آت وماض متصرّم ، والجدل والتماهي قائمان إلى يوم الدين ضمن (كان ، كائن ، يكون) ...

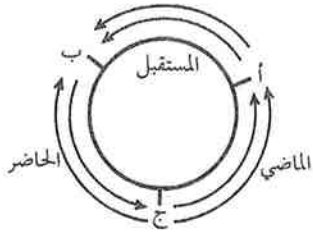

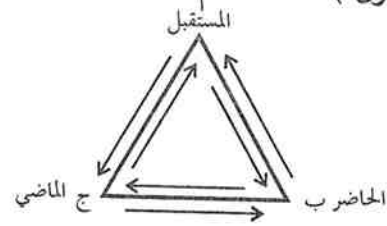

وسنلاحظ من جهة التدقيق في ثلاثية أ ب جـ ودائريته مقولة الجريان والتردد بين أمس/اليوم/غد !! قال حاتم الطائي :

هلِ الدهرُ إلاّ اليومُ أوأمسِ أوغدُ ؟ كذاك الزمانُ بيننا يتردّدُ ![2]

وما يقال عن ترددية الزمان ودائريته يمكن أن يقال أيضاً مع احتراز بسيط عن الأدب ؛ لأن الأدب قائم الجدل على التماهي ، والأدب الحديث سيكون في قابل الأيام أدباً قديماً ، والأدب المستقبلي سيكون أدب الحاضر يوماً ما !! فالأدب القديم كان جديداً في بواكير معطاه !! وما التقسيمات التي تحيق بالزمن أو الأدب إلا محاولات مدرسية لترسيم الحدود بين أشياء عصية على التحديد ! نعم وبالتأكيد : ثمة ملامح للأدب القديم وأخرى للحديث وثالثة للمقبل ؛ ولكن هذه الملامح هي نتائج تراكمات إبداعية ومعرفية وزمنية ، أي إن تميّز ملامح أدب كل عصر شكيل بتميز ملامح الإنسان ابتداء من الطفولة ، مروراً بالشباب ، انتهاء بالشيخوخة .. فالملامح المختلفة الثلاثة هي تراكمات لم تخرج عن واحدية النموذج ، وهكذا هو شأن الأدب ، وإن اختلفت الأزمنة والخصائص !! وإذا كان الحال كذلك ـ كما نزعم ـ فإن إجابتنا عن سؤال : (لماذا نقرأ الأدب الجاهلي ؟) مسألة تكتسب شرعيتها من أهميتي السؤال والإجابة ! حقاً لماذا نعنى بالأدب الجاهلي ؟ أيمكننا مثلاً الاستغناء عن قراءته دون أن ينال معرفيتنا خلل ما ؟! وها نحن أولاء نضع بين يدي القارئ إجاباتنا المقترحة :

لماذا الأدب الجاهلي ؟

1 ـ ثمة جدل بين عصور الأدب يسهم في انسيابية الإبداع واغتنائه بشحنات التواصل والوعي ، والشعوب اللاتينية ـ مثلاً ـ تشعر بأهمية قراءة الآداب اليونانية

---

(2) حاتم الطائي . ديوانه ق 4 ب 1 ص 262 . تح د . عادل سليمان مط . المدني . القاهرة (د : ت) الصائغ . د . عبد الإله . الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام ص 62 (م . س) .

والرومانية الغابرة لمعرفة الخطوط البيانية لآدابها المعاصرة والقديمة وأوجه الائتلاف والاختلاف فضلاً عن البهجة في اكتشاف حساسيات أسلافهم الذين سادوا وبادوا[3] .

وقارئ (الأرض الخراب) للشاعر ت . س إليوت واجد لا محالة الأثر الكبير لقراءات الشاعر في مظان التراث[4] !

إن أدبنا العربي الحديث ليس أدباً أبتر منقطع الجذور ، إنه حيّ نام بثماره وأغصانه فوق الأرض ، فأما الجذور فهي لابثة في مكانها الأبدي تحت الأرض ، وقراءة الأدب الجاهلي ليست دعوة لمحاكاته والانبهار به ، فمثل هذه الدعوة تلغي معامل العقل بله الزمن ! وإنما هي دعوة لتشريحه ومعرفة أسرار شعريته ، فهو مرجعية واحدة من عشرات المرجعيات لحضارة الإبداع الأدبي الحديث .

2 ـ يكتنز الأدب الجاهلي ثروة لغوية هي حصيلة المزج بين مفردات تعكس نشاط اللغة العربية .. والاطلاع عليها يمنح الباحث تراكماً معرفياً باتجاه تطور الدلالات للكلمات العربية ، وقدرة اللغة على الاختزال والتخلص من المفردات الكزة والتعبيرات الغثة التي ناءت بها زمناً ، مثل (التكأكؤ ـ الاحرنجام ـ التشبرق ـ الاستشزار) و (النقاخ ـ البعاع ـ العيطل ـ العشنطط ـ العطبول ـ السجنجل) !! اللغة العربية مشرقة نابهة ميالة للتكثيف وهي إلى ذلك تطور مفرداتها باستمرار دون أن يمس ذلك قواعدها الثابتة وبنيتها الأساس ، وهي دعوة لأولئك الذين هيأ لهم انغلاقهم أنهم سدنة اللغة ، فاعتسفوا منطق اللغة وأبهظوها بالحدود الحمراء والقيود السوداء بزعم حمايتها من رياح التجديد والتغيير .

---

(3) عثمان . د . أحمد . الأدب اللاتيني ودوره الحضاري ص 7 وبعدها . طب عالم المعرفة . الكويت (أيلول = سبتمبر 1989)

البقاعي . د . شفيق . الأنواع الأدبية مذاهب ومدارس ص 118ـ256 . طب مؤسسة عز الدين . بيروت 1985 .

(4) LODGE. DAVID. 20 th Century Literary Criticism « LONGMANgroup LIMITED. london 1972 » see. p: 71: t.s.eliot: Tradifion and individual - talent (1919) . =

3 ـ حافظ الأدب الجاهلي على المعلومات التاريخية المهمة التي ترسم بانوراما لمسيرة التاريخ ، فقد رصد أيام العرب (الحروب والمغازي) ذاكراً أسماء الملوك ، والأمراء ، والفرسان ، وسفراء السلام ، وخطابات الحرب ، وعلل الكثير من الحوادث الكبرى التي وقعت عهد ذاك فضلاً عن إضاءة عتمات كثيرة بأضواء كاشفة ، فقد عرفنا من خلله أسراراً تشكل عدد من الدويلات العربية والإمارات والمحميات من نحو دويلات الشمال والوسط والجنوب : الغساسنة والمناذرة ودومة الجندل والندوة وكندة واليمن : وقراءة الخطاب السياسي والعلاقات المعلنة والغاطسة بين تلك الدويلات من جهة والدولتين العظميين (الأكاسرة والقياصرة) وقتذاك . كما وثق الأدب الجاهلي بجدارة الأحلاف القومية والمعاهدات القبيلية من نحو أحلاف : الفضول والدم والأحلاف والإيلاف ..

4 ـ والأدب الجاهلي يمنح سانحة ثمينة لمعرفة الجغرافية العربية عصر ذاك ، إذ حافظ الشعر والنثر على مواقع وأسماء وحدود كثير من البلدان العربية التي طمست وغيبت معالمها ؛ وما أكثر الأمثلة والشهادات على ذلك فنحن في المعلقات العشر قبالة مئات المواضع نحو (برقة ـ ثهمد ـ الحزن ـ الصمّان ـ المتثلم ـ سقط اللوى ـ الدخول ـ حومل ـ المقراة ـ حومانة الدراج ـ الرقة ـ منى ـ الأندرين ـ بعلبك ـ دمشق ـ المحياة ـ قاصرين ـ عنيزتين ـ الغيلم ـ برقة شماء ـ الخلصاء ـ الصفاح ـ أعناق فتاق ـ عاذب ـ الوفاء ـ رياض القطا ـ وادي الشربب ـ الشعبتين ـ الإبلاء ....) وقد اعتمدت موسوعات المصادر البلدانية كثيراً من المعلومات التي حافظ عليها الأدب الجاهلي في معرفة أسماء البلدان والمواضع .. وخير مثال المصادر البلدانية التالية :

1 ـ الدارات للأصمعي ت (216 هـ)

2 ـ أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار للأزرقي ت (250 هـ)

3 ـ صفة جزيرة العرب للهمداني ت (344 هـ)

= إليوت . ت.ه س . الأرض اليباب (الشاعر والقصيدة) ترجمة ودراسة د . عبد الواحد لؤلؤة ص 15 وبعدها . طب المؤسسة العربية للدراسات والنشر . بيروت . الطبعة الثالثة 1995 .

4 ـ أخبار الزمان ومن أباده الحدثان وعجائب البلدان للمسعودي ت (346 هـ)

5 ـ الأزمنة والأمكنة للمرزوقي ت (421 هـ)

6 ـ الآثار الباقية عن القرون الخالية للبيروني ت (440 هـ)

7 ـ معجم البلدان للحموي ت (626 هـ)

8 ـ آثار البلاد وأخبار العباد للقزويني ت (682 هـ) .

5 ـ أما مفردات الأنواء فهي ماثلة في الشعر والنثر حضوراً متميزاً ، فما أكثر ما تصف النصوص الشمس والقمر والليل والنهار والصيف والشتاء والخريف والربيع والرياح والأمطار والعواصف والبرق والصواعق والزلازل ! قارن :

ـ تأبط شراً :

(وقلة كسنان الرمح بارزة ضحيانة في شهور الصيف محراق)

ـ جابر بن حني :

(وقيظ العراق من أفاع وغدة ورعي إذا ما أكلؤوا متوخم)

ـ الأعشى :

(قد لعبنا بذا الشباب زمانا ولهونا في مربع ومصيف)

ـ عدي بن زيد :

(عن خريف سقاه نوء الدلو تدلى ولم توار العراقي)

ـ علقمة :

(وقد أغتدي والطير في وكناتها وماء الندى يجري على كل مذنب)

ـ عمرو بن معد يكرب :

(ألم تأرق لذي البرق اليماني يلوح كأنه مصباح باني)

ـ النابغة :

(وأنت ربيع ينعش الناسَ سيبه وسيف أعيرته المنيـة قـاطـع)

وقد قوّم صانعو كتب الأزمنة والأنواء معلوماتهم استناداً إلى نصوص الأدب الجاهلي مثل (كتاب المطر) لأبي زيد الأنصاري (ت 215 هـ) ، وكتاب (الرحل والمنزل) لأبي عبيدة (ت 224 هـ) و (الأنواء في مواسم العرب) لابن قتيبة (ت 276 هـ) ، و (الأزمنة والأنواء) لابن الأجدابي (ت 650 هـ) فضلاً عن أن النثر الجاهلي قد نقل إلينا تجارب الجاهليين التي استقامت أمثالاً ، فـالعرب تقول في شهور الربيع : شهر ثرى وشهر ترى وشهر مرعى ، أي المطر ثم النبات ثم الرعي . وعام مهيع أي خصب وتقول أيضاً : أحسن من الغش وأضيع من قمر الشتاء وأبعد من منـاط النجوم وأنحس من زحل وأريها السهـا وتريني القمر ولأرينـك الكواكب في الظهيرة وانحـط فلان من الثريـا إلى الثرى وسحابـة صيف وفلان برق بلا مطر وأهول من سيل وربمـا عـاق المطر عن الوطر وفلان ساكن ريح وماء ولا صداء[5] .

6 ـ واعتمد علماء المعجمات اللغوية في كشف دلالات المفردات والأصوات والأصيل والـدخيل والمولـد والمعرب على نصوص الأدب الجـاهلي ، بـل إن علمـاء النحـو الأوائـل والمحدثين جعلوا الشعر الجاهلي وكدهم في تقصي قواعد اللغـة وأصولهـا ومرجعيـاتهـا ، زد على ذلـك العـلاقـات الظـاهرة والمستترة بين اللهجـات العربيـة من نحـو الكشكشـة والكسكسة والعنعنـة والفحفحـة والوكم والوتم والوهم والعجعجـة والاستنطـاء والشنشنـة والغمغمـة والطمطمانيـة واللخلخـانيـة والتلتلـة والقطـع ، ولـك أن تطـالـع (العين) للفراهيـدي (ت 175 هـ) و (الكتـاب) لسيبـويـه (ت 180 هـ) و (النـوادر لأبي زيد الأنصاري (ت 215 هـ) و (إصلاح المنطق) لابن السكيت (ت 244 هـ)

(5) الثعـالبي . أبو منصور عبـد الملـك بن محمـد ت 429 . التمثيل والمحـاضرة ص 226ـ252 تح عبـد الفتـاح الحلو . طب دار إحياء الكتب . القاهرة 1961 . وانظر الصائغ . د . عبـد الإلـه : الصورة النوئيـة في الخطاب الجاهلي ص 199 ضمن كتاب : الخطاب الإبداعي الجاهلي والصورة الفنية (م . س) .

و (الجمهرة) لابن دريد (ت 321 هـ) ، و (الخصائص) لابن جني (ت 392 هـ) ، و (مقاييس اللغة) ثم (المجمل) لابن فارس (ت 395 هـ) و (الصحاح) للجوهري (ت 398 هـ) ، و (المحكم) لابن سيده (ت 458 هـ) ، و (العباب) للصاغاني (ت 650 هـ) ، و (لسان العرب) لابن منظور (ت 711 هـ) ، و (القاموس المحيط) للفيروزآبادي (ت 817 هـ) .

7 ـ وجد مفسّرو القرآن الكريم الأوائل ، وشراح الأحاديث النبوية الشريفة في الأدب الجاهلي معيناً على معين في تحليل دلالات المفردات حين يبهم الأمر عليهم ، ولنا أن نقرأ سؤالات نافع بن الأزرق لعبد الله بن عباس فقد كان ابن عباس (رضي الله عنه) يحيل كثيراً على الشعر الجاهلي في إيضاح دلالات المفردات القرآنية ، وهو القائل : إذا أعياكم تفسير آية من كتاب الله فاطلبوه في الشعر الجاهلي فإنّه ديوان العرب . ا . هـ[6] ، وكان عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) حريصاً على الاستشهاد بالشعر كلما عرض له أمر[7] وذكر عبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ) (العلماء في استشهادهم بشعر امرئ القيس وأشعار أهل الجاهلية في تفسير القرآن وفي غريبه وغريب الحديث)[7] .

8 ـ استقرأ علماء الإيقاع وموسيقى الشعر[8] القصائد الجاهلية ونصوص السجع واستنبطوا من الكم الذي حللوه قوانين الإيقاع ، والشعراء الجاهليون كانوا يضبطون

(6) التبريزي . أبو زكرياء يحيى بن علي (ت 502 هـ) وشرح ديوان الحماسة 3/1/ طب بولاق 1296 هـ .

(7) الجاحظ . أبو عثمان عمرو بن بحر (ت 255 هـ) البيان والتبيين 45/1 تح حسن السندوبي . طب المكتبة التجارية (د : ت) .

(7) الجرجاني . عبد القاهر (ت 471) . دلائل الإعجاز ص 79 تح محمد رضوان الداية وصاحبه طب مكتبة سعد الدين . دمشق 1987 .

(8) فخر الدين . جودت . الإيقاع والزمان طب دار المناهل/دار الحرف العربي . بيروت 1995 جاء في صفحة وح وبعدها (الإيقاع أعم من الوزن والأحرى أن تقول : إن الوزن هو أحد عناصر الإيقاع أو إن الأوزان هي قوالب عروضية يستعان بها في تنظيم الإيقاع وتوجيهه . إيقاع الشعر هو علاقات خاصة بين مستويات كثيرة أهمها : المستوى النحوي ، والمستوى البلاغي ، والمستوى العروضي وما استعمالنا كلمة ـ خاصة ـ صفة لتلك العلاقات إلا تأكيدٌ على تفرّد كل قصيدة بإيقاعها ، نظراً إلى أنها =

موسيقى شعرهم وأوزانها على طريقة التنعيم التي أشار إليها الخليل (ت 175 هـ) وأقرّ بأنه استثمرها في تقعيد موسيقى الشعر قال : « رأيت شيخاً يضع ظهره على جدار الكعبة ويعلم الصبيان التنعيم » إ . هـ والتنعيم طريقة في تحليل موسيقى الشعر تعتمد (نعم لا) قارن :

أ		ب	
فعولن	← نعم لا	مستفعلن	← لا لا نعم
مفاعلين	← نعم لا لا	متفاعلن	← نعمن نعم
مفاعلن	← نعم نعم	فعلن	← لا لا
فاعلاتن	← لا نعم لا	مفاعلتن	← نعم نعمن

وعناية العرب بالإيقاع كبيرة تتصل بصفاء فطرتهم وشدة حساسيتهم ، حتى إن حركات الإعراب وحروفه بنيت (كما نرجّح) وفق مسوغات إيقاعية ودلالية معاً ، وقد أجرى ابن جني (ت 392 هـ) (كتابه الخصائص) تجارب علمية (مهمة) ليثبت العلاقات النغمية داخل الحروف وكشف لنا أثر الإيقاعات في بنية الجملة العربية من نحو ، حروف كلمة (ب ح ث) ، وركز على إضاءات تأويل الخليل على سؤال (لماذا تصغر العرب (واصل) على (أويصل) والقياس (وويصل ؟) فقال : (حتى لا يشبه كلامها نبيح الكلاب) ! وركز ابن جني على محاورة ذات قيمة عالية في نظرية (المحاكاة ، الإيقاع) :

= لن تكون تكراراً لغيرها في المستويين النحوي والبلاغي وإن كانت كذلك في المستوى العروضي ، وهذا يعني أن البحر نفسه يحظى بتغييرات من قصيدة إلى أخرى وإن حافظ على ما تقتضيه قواعد العروض فالبحر الطويل عند امرئ القيس هو نفسه عند المتنبي من وجهة عروضية ، ولكنه ليس كذلك من وجهة إيقاعية .. الإيقاع في أي لغة من اللغات هو تجل لخصوصيات هذه اللغة لأنه في مؤالفته بين عناصر متعددة مستمدة من حقول مختلفة إنما يكشف عن أهم الخصائص لتلك العناصر وعن إمكاناتها التعبيرية التي لا يمكنها أن تنفد ، إذا ما تعلق الأمر بالأدب شعراً كان أم نثراً فالإيقاع لا يقتصر على الشعر وإنما للنثر إيقاعاته ...) .

النحوي : ما معنى ازقانح ؟ (ومعناه الحجر في الفارسية)
الأعرابي : إن في الكلمة يبساً وأظنه الحجر[9] .

ويرى د . عبد الرضا علي أن نظرية الخليل في موسيقى الشعر ما كانت لتكون على ما هي عليه لو لم يعززها باستقراء الشعر الجاهلي وحصر أوزان الشعر ، وضبط أحوال قوافيه . (ومعنى هذا أن الخليل قد توصل إلى قوانين هذا العلم بتقطيع الشعر إيقاعياً ، وعن طريق هذا الإيقاع وضع قواعده وقوانينه ، وليس قبل ذلك ، أي إن مرحلة التحليل هي التي قادت إلى مرحلة التنظير)[10] .

9 ـ ولم يتخلف علماء الحضارة عن زملائهم علماء البلدان واللغة والتاريخ والإيقاع في استثمار عينات الأدب الجاهلي لتحليلها في مختبراتهم وكشف العتمات التي غيبت أو كادت حضارة ذلك العهد ، فإذا كانت الحضارة (كل شيء) فإن الشعر كان بالنسبة للعرب كل شيء فهو (ديوان العرب) الذي قيد كل شاردة وواردة في الحياة الجاهلية ، يقول إدوارد تايلر في حدود مصطلح الحضارة (هي الكل المعقد من الرهبات والرغبات والطقوس والعقائد والحرف والفنون ، وكل الوسائل التي حذقها الإنسان لحماية حياته من التلف)[11] .

وقال الجاحظ (ت 255 هـ) « كل أمة تعتمد على استيفاء مآثرها وتحصين مناقبها على ضرب من الضروب وبشكل من الأشكال ، وكانت العرب في جاهليتها تحتال في تخليدها بأن تعتمد في ذلك على الشعر الموزون والكلام المقفى ، وكان ذلك هو ديوانها)[12] والعرب لا يعرض لهم أمر دون أن يستحضروا الشعر والنبيُّ الأمين ﷺ

---

(9) الصائغ . د . عبد الإله . الصورة الفنية معياراً نقدياً ص 57 ثم 88 . طبعة القاهرة 1997 .
(10) علي . د . عبد الرضا . موسيقى الشعر العربي قديمه وحديثه ص 15 طب دار الشروق ـ عمان 1997 .
(11) الصائغ . د . عبد الإله . الإبداع الأدبي العربي قبل الإسلام بين الواقع والتوقع ص 9 طبعة الموسوعة الصغيرة رقم 314 بغداد و 198 .
(12) الجاحظ . أبو عثمان ت 255 . الحيوان 88/1 تح فوزي عطوي طب بيروت 1968 .

يقول : « لا يدع العربي الشعر حتى تدع الإبل الحنين » وكان عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) كما مرّ بنا ، لا يكاد يعرض له أمر إلا أنشد فيه بيت شعر[13] ، لقد هيأ الأدب الجاهلي معلومات ثمينة ونادرة عن الحضارة العربية مثل الزواج والطلاق والخصام والصلح والعقود وطقوس البيع والمعاملة داخل الأسواق ، والولاء والخلع والفقر والثراء والأعياد والمآتم والاحتفالات وأفانين الملابس والهدايا[14] .

10 ـ ويعطي الأدب الجاهلي فكرة مكتملة عن أديان العرب القديمة ، وحصة اليهودية والمسيحية والمجوسية والصابئية من القبائل ، ويفيدنا أن العرب لم يكونوا ميالين لسوى الحنيفية ملة إبراهيم ، وقد حدد الأدب الجاهلي طقوس المتشددين من العرب ومفهومات فرق الحلة والحمس والطلس للدين والعبادة والحج إلى الكعبة وعدد من دور العبادة عندهم ، وكثيراً ما كان الكهنة يقسمون بالله ، وكذلك الخطباء والشعراء وقد عمّ الضلال عبادات العرب (قبيل) إشراقة الدين الإسلامي ، وأطبقت العتمة على الطقوس ، فاصطنع عمرو بن لحي الأصنام التي اشتراها من أسواق بلاد الشام ، وكان الذي كان ، وثمة الكثير من آليات المعتقد الديني وردت في الشعر الجاهلي والنثر الفني من نحو : الكهانة والنُّبوءة ، والشياطين ، والأغوال ، والطب الغيبي ، والاستسقاء ، والهجاء ، والقلمس ، والحازي ، والناسيء .

ويورد قطرب ت 206 تلبيات الجاهلية التي يتقاسمها الشعر والنثر معاً ... مثلاً .

أ ـ تلبية قريش : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إلا شريك هو لك ، تملكه وما ملك ، أبو بنات من فدك .

---

(13) الجاحظ . البيان والتبيين 241/1 (م . س) .
ابن عبد ربه . أحمد بن محمد ت 328 . العقد الفريد 78/1 تح محمد سعيد العريان . طب دار الفكر (د : ت) .

(14) الصائغ . د . عبد الإله . الصورة الفنية معياراً نقدياً ص 337 وبعدها : الجداول الحضارية .

ب ـ تلبية قيس عيلان : لبيك اللهم لبيك ، أنت الرحمن ، أتتك قيس عيلان ، رجالها والركبان ، بشيخها والولدان ، مذلة للديان .

جـ ـ تلبية تميم : (وكان نسكها للشمس) : تالله لولا أن بكراً دونكا ، ما زال منا عشج يأتونكا ، بنو غفار وهم يلونكا ، يبرّك الناس ويُعجرونكا .

د ـ تلبية اليمن (لنسر وذريح) المحبر 317 وبعدها) : عكّ إليك عانيهْ ، عبادك اليمانيه ، كيما نحج ثانيه ، على قلاص ناجية ، أتيناك للنصاحة ، لم نأت للرقاحة .

هـ ـ تلبية جرهم وهم أول سكان البيت الحرام : والله لولا أنت ما حججنا مكة والبيت ولا عججنا ، ولا تصدقنا ولا تحجنا ، ولا تمطينا ولا رجعنا ، ولا انتجعنا في قرى وصحنا ، على قلاص مزحفات هجنا ، يقطعن سهلاً تارة وحزنا ، أشرق كيما ننثنى في الدهنا ، لكي نحج قابلاً ونعنا ، نحن بنو قحطان حيث كنا ، ننحر عند المشعرين البُدْنا[15] .

11 ـ يقدم الأدب الجاهلي بين يدي القارئ والباحث وثائق مهمة تعزّز القول بأن العرب أمة خير ، وتدحض مزاعم الحاقدين على العرب من (بعض) المستشرقين والمستغربين وذوي النظرة العوراء من أدعياء التحديث أو سدنة القدامة !! ثمة كتب صورت العرب أمة من الحفاة العراة الجفاة البداة القتلة ، اللصوص السفاحين المحترفين (كذا) ، ولونت الصور الباطلة بوثائق مزعومة من العصر الجاهلي . وقد جعلوه مثالاً للتخلف الحضاري والمديني ، لقد خلط المفترون على أمتنا ورقتي العرب (سكان المدن والأرياف) ، والأعراب (سكان البادية) ؛ لغاية أضمروها فخفيت على (الكتبة) من الدارسين !! الأدب الجاهلي عتيد حين يستدعى لتقديم وثائقه الواضحة التي تعزز القول

(15) قطرب . محمد بن المستنير 206 هـ كتاب الأزمنة وتلبية الجاهلية ص 116ـ126 تح د . حنا جميل حداد . طب مكتبة المنار ـ الزرقاء الأردن 1985 .
شيخو . الأب لويس اليسوعي . ت 1927 م . النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية . ص 18ـ52 . طب المكتبة السوعية بيروت 1933 .

في رقي حضارات العرب وقتذاك من نحو أوسان ومعين وقتبان وحضرموت وسبأ وذو ريدان ويمنت[16] فضلاً عن حضارات بابل والحيرة وبصرى ودومة الجندل واليمامة ومكة وكندة والنجف وعمائر الأكيدر (الأخيضر) والخورنق والنخيلة والمصلى والمشتى والسدير وطزناباذ وسلحون وغمدان ومأرب والجنائن المعلقة وتسقيف الفرات وطلاسم الحضر زد على ذلك حذق العرب الجاهليين لعلوم الأنساب والتواريخ والأديان والقيافة وتعبير الرؤيا والبيطرة والأنواء[17] .

12 ـ والأدب الجاهلي كنز لا يقدر بثمن لدارسي الخيال والمجاز في اللغة العربية ، فإذا كان هناك من يقذف الإبداع العربي أجانب وعرباً بمحدودية الخيال ، ويزعم أن المبدع العربي لا يحسن التصرّف بالمجازات المرموقة ، وأن خياله بوصفه سامياً محدودٌ !![18] فإن الأدب الجاهلي زعيم بدمغ الحجة بالحجة وإتباع القول بالشاهد ، والباحث المتأني قادر على كشف دعامتين كبيرتين هما الخيال والمجاز ، أما حسية الخيالات والمجازات فهي ذوات دلالات مختلفة كل الاختلاف عن فهم أولئك الذين وشموا الذهنية العربية بالعقم ، الحسية هنا تعني استلهام الخيالات والمجازات من مرجعيات الحواس الخمس ، وهذا أمر يعزز مباهج الصور الفنية والدلالية ! والحسية لا تنفي استثمار آليات الذهن ، وذلك أمر معروف في الآداب العالمية أما حصر (الحسية) بالشبق الجنسي والهتك الماجن لفتنة الجسد فهو أمر غير صحيح ، ومبالغ في مساحة أدلته قارن امرأ القيس :

أيقتلني والمشرفيُّ مضـــــاجعي ومسنونةٌ زرقٌ كأنياب أغوال

---

(16) بافقيه . محمد عبد القادر . تاريخ اليمن القديم ص 21ـ164 . طب المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت 1985 .

(17) الشهرستاني . أبو الفتح محمد بن عبد الكريم ت 548 الملل والنحل 2/238ـ241 تح محمد سيد كيلاني طب دار المعرفة بيروت 1975 .

(18) GIFFEN. LOIS ANITA. THEORY OF PROFANE LOVE- AMONG THE ARABS. THE DE VELOPMENT OF THE GENRE. NEW YORK UNIVERSITY PRESS . D .

وقارن طرفة بن العبد :

خـذول تراعي ربربـاً بخميلـة ... تنـاول أطراف البرير وترتـدي
وتبسم عن ألمى كأن منـــوّراً ... تخلّل حُرّ الرمل دعص لـه نـدي
سقتـه إيـاهُ الشمس إلا لثـاتـه ... أسفّ ولم تكـدم عليـه بـأثمـد
ووجه كأن الشمس ألقت رداءها ... عليـــه نقّي اللـون لم يتخـدد

والعينتـان اللتـان مرّتـا بنـا تقدمـان فكرة جليـة عن تلقائيـة المجـاز في الشعر الجاهلي ، فامرؤ القيس (أَنْسَنَ) السيف وجعله إنساناً يشـاطره فراشـه : أمـا المسنونـة فهي الجزء الظاهر من الغول !!

وفي عيّنة طرفة وصف لشبيه الحبيبة ، إذ هي ظبية نال منها الـذعر والهلع خشيـة على صغيرها ! فإذا ابتسمت أرتك أسناناً أهدتها الشمس لها بعد أن غطت الوجه بأنوارها حتى لا يتخدّد .

13 ـ ويكشف الأدب الجاهلي للباحث مفهومات الجمال في الـذهنيـة الجـاهليـة ، وهي مفهومات عميقة تفاجئ الباحث ، لأنها تصاقب بحميمية مفهومات عصرنـا ، جمـال الروح الذي يحاكي جمال المعدن والمنقبة الخيرة قارن عمر بن معد يكرب :

ليس الجمـــــــــالُ بمئزرٍ ... فـــــاخترْ وإنْ ردّيت بُردا
إنّ الجمـــــالَ معـــــادنٌ ... ومنـــــاقبٌ أورثْنَ مجـــــدا
.. لمـــا رأيتُ نســـاءَنـــا ... يفحَصن بـــالمِعْـزاء شـــدّا
وبَـــــدَتْ لميسُ كأنّهـــــا ... بـــدرُ الـزمـــان إذا تبـــدّا
وبـــدت محـــاسنُهـــا التي ... تخفى وبـــاتَ الأمرُ جـــدّا

وقارن الأعشى :

فقد كملت حسناً فلا شيءَ فوقهـا ... وإني لـذو قـول بهـا متنخّـل

وقد علمت بالغيب أني أحبها وأني لنفسي مالك في تجمّل
تَهالكُ حتى تبطر المرءَ عقله وتصبي الحليم ذا الحجى بالتقتُّل
إذا لبست شيدارة ثم أبرقت بمعصمها والشمس لمّا ترجل

وقارن تلبية هذيل :

لبيك اللهم لبيك ، لبيك عن هذيل أدلجت بليل ، تعدو بها ركائب إبل وخيل ، وخلفت أوثانها في عرض الجبيل ، وخلفوا من يحفظ الأصنام والطفيل ، في جبل كأنه في عارض مُخيل ، تهوى إلى رب كريم ماجد جميل .

الأمثلة وفيرة ، وهي كفيلة بتقديم الوثائق العلمية التي تساعد الدارس على قراءة الذّهن الجاهلي ومفهومات الجمال عنده ، وإذا ابتعدنا عن مقولة الدمج بين الجمالين : الظاهري والباطني فنحن سنكون بإزاء الموقف .. موقف المبدع الجاهلي من النموذج .. فالجميل معادل محايد لا يشترط المحبة رباطاً بينه وبين الواصف ، أما المليح فهو معادل منحاز مقترن والواصف بعلاقتي الإعجاب والميل ؛ وعادة ما تكون المرأة الجميلة مقترنة بالشكل والمليحة مقترنة بالشكل والمضمون :

« الجسد × الروح ← الخِلقة × الخُلق »

إذ تتساوى الجميلات والمليحات في المستوى الخارجي للبنية ، فالجميلة وفق المنظور الجاهلي هي السمينة مثل كثيب رمل ، فتراها قاعدة إذا نهضت ، وناهضة إذا قعدت ومدبرة إذا أقبلت ، ومقبلة إذا أدبرت وهي الكسلى مثل ظبي في الكناس لم ير شمساً ولا زمهريراً ، أو مثل بيضة خدر لا تُرام ، تفتر قوتها لأدنى حركة ، فهي منعّمَة مخدومة لا تعرف أعمال البيت ! زد عليها بشرة زهراء ووجهاً وضيئاً وخصراً دقيقاً ينخزل إذا تأتت ، والمشية التي تحاكي مشية ظبي صغير علق الطين أقدامه !! (مشية عارضة الأزياء ـ المانيكان ـ في زماننا !!) قارن الأعشى :

أ ـ الجمال :

غراءُ فرعاءُ مصقولٌ عوارضُها ... تمشي الهوينى كما يمشي الوَجِي الوحلُ
كأنّ مشيتَها من بيت جارتها ... مرُّ السحابة لا ريثٌ ولا عجلُ
يكادُ يصرعها لولا تشدّدها ... إذا تقومُ إلى جاراتها الكسلُ
إذا تعالج قرناً ساعة فترت ... واهتزَّ منها ذنوبُ المتن والكفل
صفر الوشاح وملءُ الدرع بهْكَنَةٌ ... إذا تأتى يكادُ الخصرُ ينخزل
هركولةٌ فنقٌ درمٌ مرافقُها ... كأن أخمصها بالشوكِ منتعل

ب ـ الملاحة :

ليست كمن يكرَهُ الجيرانُ طلعتها ... ولا تراهَا لسرِّ الجار تختتل
صدّت هريرةُ عنا ما تكلّمنا ... جهلاً بأم خُليد حبلَ من تصل
إذا تقوم يضوعُ المسكُ أصورةً ... والزَّنبق الوردُ من أردانها شمل
ما روضةٌ من رياض الحَزْنِ مُعْشبةٌ ... خضراءُ جادَ عليها مسبلٌ هطلُ
يوماً بأطيبَ منها نشرَ رائحةٍ ... ولا بأحسنَ منها إذْ دَنَا الأُصُلُ
فكلّنا مغرمٌ يهذي بصاحبه ... ناءٍ ودان ومحبولٌ ومحتبلُ

14 ـ طرأت على الفطرة العربية (قبيل الإسلام) عادات عقيمة ، وتقاليد سقيمة نحو :

أ ـ غزو الأرحام
ب ـ وأد البنات
جـ ـ سبي النساء وإذلالهن
د ـ الغزل السياسي (إساءة الشاعر إلى القبيلة الأخرى بنظم شعر غزلي يشبب فيه بفتاة من تلك القبيلة لا يعرفها ولا تعرفه وإنما حصل على اسمها بوسيلة ماكرة) .

هـ ـ الفخر الكاذب بالنفس والقبيلة وترويج قيم الغزو والعتوّ والاستعلاء والحسب والنسب .

و ـ الهجاء المقذع والانتقاص من كرامة الآخرين وحريتهم وقدرهم ، واستشراء المعارك الكلامية التي وجدت لها قواعد وأصولاً !! وجمهوراً عريضاً يحضرها ويشجع عليها تزجية للوقت ، وربما نكاية بالخصمين معاً وقد سميت المعارك الكلامية (منافرة) ! نظير المنافرة التي شب حريقها بين علقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل (وهما أولاد عم) !! ولنقارن عتو عمرو بن كلثوم وطغيانه وهو يؤسس قيماً تجافي القيم العربية :

ملأنا البرّ حتى ضاقَ عنا ... وظهرَ البحر نملؤُهُ سفينا
إذا بلغَ الرضيعُ لنا فطاماً ... تخرّ له الجبابر ساجدينا
ونشربُ إنْ وردْنَا الماءَ صَفْواً ... ويشربُ غيرنا كدَراً وطينا

ز ـ الحروب المدمرة التي نشأت بين أبناء العم لأسباب تافهة وسيادة الغطرسة والاستهتار بدماء الناس !! وربما أسهم الأعراب في إذكاء نار البغضاء والغزو ، واستسهال الموت فحياتهم الضّنكة والفراغ الكبير مما يزيّن لهم العبث بالزمان والمكان .

ح ـ طمع الدولتين الكبريين بالعرب نتيجة انشغالهم بالحروب الداخلية وسيادة الغوغاء وانحسار سيادة الحكماء .. ونذكر باعتداءات الجيوش الفارسية على عرب الشرق (العراق وما تاخم) والجيوش الرومية على عرب الغرب (الشام وما تاخمت) ! ومع كل التدهور الداخلي الذي أصاب البنية الحضارية العربية فقد كبح العرب شرقاً وغرباً كثيراً من الغزوات وهددوا عروش فارس والروم .. فماذا حدث ؟! اضطرت فارس إلى اصطناع دويلة المناذرة لتكون شريطاً حدودياً عازلاً بين المقاومة العربية والفرس !! كما اضطرت الروم إلى اصطناع دويلة الغساسنة للأسباب ذاتها !! وقد التفت عدد من الجاهليين ذوي الرؤية العروبية إلى مخاطر الواقع العربي المجرّح الذي نخرته العادات اللئيمة والمطامع الزنيمة !! لقيط الإيادي كتب رسالة إلى قومه ليوقظهم من الغفلة

والانهيار ! وحين يئس أرسل أخرى يوبخهم فيها ويستثير فيهم جانب (الغيرة على العرض) إن لم تستثرهم (الغيرة على الأرض) !!

يا قوم لا تأمنوا إن كنتُمُ غيُراً على نسائكم كسرى وما جمعا

وقد بدأ رسالته الأولى بقوله :

كتاب في الصحيفة من لقيط إلى من بالجزيرة من إياد
بأنّ الليثَ كسرى قد أتاكم فلا يشغلكم سوق النقاد

أما كتابه الثاني فختمه بقوله :

هذا كتابي إليكم والنذير لكم لمن رأى الرأي بالإبرام قد نصعا
وقد بذلت لكم نصحي بلا دَخَلٍ فاستيقظوا إنّ خيرَ العلم ما نفعا[19]

أما الأعشى البكري فقد وثب قومه بكتابات كثيرة ، ففي واحدة مما كتب قرن بين دلالتي (الشرف) و (الأرض) :

لو أن كلَّ مَعَدٍّ كان شاركنا في يومِ ذي قار ما أخطاهم الشرف

وقد وبّخ الأعشى زعيم شيبان ؛ لأنه وفد على جيش كسرى بعد معركة ذي قار ناسياً (القرابين) العربية التي تركت في العراء لتأكلها الضباع ، وتمنى الأعشى لو أن هذا الزعيم المتواطئ قد مات جنينا بأيدي القوابل :

أقيس بن مسعود بن قيس بن خالد وأنت امرؤ ترجو شبابك وائل
أطورين في عام غزاةٍ ورحلة ألا ليت قيساً غرّقته القوابل
كأنك لم تشهدْ قرابينَ جمّة تعيثُ ضباعٌ فيهم وعواسِلُ
تركْتَهُمْ صَرْعى لدى كلّ مَنهلٍ وأقبلتَ تبغي الصُّلح أُمُّك هابل[20]

(19) الأصبهاني . أبو الفرج . الأغاني 24/20 (نسخة الكتبخانة) طب مؤسسة عز الدين ـ بيروت .
(20) انظر هامش 11 ص 53 .

وقد جهد الزعماء والمخلصون وأعياهم الجهد ، وهم يسعون إلى رأب الصدع بين القبائل العربية التي مزقتها الفرقة ، وهتكتها العصبية ، ونخرتها فكرة التسلّط وامتلاك الحقيقة !! ثم تلبدت غيوم العتمة في السماء العربية ، وقد جرّحت الأنصاب والأصنام والاستقسام بالأزلام الكينونة العربية ، وبدأ الغيارى يتطلعون إلى منقذ من الضلال وموحّد من التفرقة ومطمئن من الخوف والقلق ، فكان الإسلام المنقذ والوحدة والسلام ! وكان قس الإيادي قد تنبأ بزمان جديد يبعث محل الزمان القديم الميّت ، وقد رآه النبي الأمين ﷺ بسوق عكاظ : « كأني أنظر إليه بسوق عكاظ على جمل له أورق وهو يتكلم بكلام عليه حلاوة » ا . هـ . وقد جاء في خطبة قس المشار إليها : أيها الناس هلموا إليّ ، أيها الناس اسمعوا وعوا ، وإذا سمعتم فانتفعوا ، إنه من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت ، ليل داج وسماء ذات أبراج ... إني أرى عليكم خبراً قد آن أوانه وأظلكم زمانه[21] .

15 ـ الأدب الجاهلي ذو مرجعية مركبة تعمق اللغوي والجمالي والفني والقيمي ، وبعض ما يحصل عليه دارس هذا الأدب هو إغناء أسلوبه الأدبي جزالة وسلاسة وإشارة لماحة ، وقد وكّدت الدراسات الأسلوبية الآثار المهمة التي تتركها قراءة التراث الأدبي في جسم النص الحديث والأهمية لا تعني ـ بأي حال ـ فكرة خضوع الخلف للسلف وإنما تعني قبل كل شيء وبعد كل شيء فكرة التجاوز والاغتناء والإضافة ، فالأمة التي تعيش الماضي وتهمل الحاضر أمة فارغة المضمون عمياء الإرادة لأن اجترار الماضي وباء مهلك ، يسهم في انتشاره عبدة السلف ، والعرب أمة عبقرية تدرك بفطرتها خطورة الماضي حين يستشري ويزدرد الحاضر !! وخطورة الحاضر حين يستغني عن الخبرة المتراكمة للماضي ! وقد وجد أرنولد توينبي أن العرب أمة تقابل التحديات بما يناسبها من الاستجابات ..

---

(21) البيان والتبيين 116/1 (م . س)

بلاشير . نع . ريجس . تاريخ الأدب العربي ص 870 تر . د . إبراهيم الكيلاني طب دار الفكر دمشق 1984 . الصائغ . د . عبد الإله . الإبداع الأدبي العربي الجاهلي بين الواقع والتوقّع ص 53 وبعدها .

أما الجزء الآخر الذي يناله دارس الأدب الجاهلي من المرجعية المركبة التي أشرنا إليها فهو المعرفية الشاسعة التي تهيئ له صورة واضحة عن الأدب وعصوره وثقافاته وأحلامه والتي تمنحه القدرة على الموازنة (أو المقارنة) بين أدب وأدب ، وقصيدة وأخرى .. فضلاً عن إقامة دراسات ذات قيمة في مباحث التناص ..

أ ـ الموازنة : تقوم بين أدبين أو نصين ضمن محيط مقاربات تسهم فيها اللغة الواحدة ، والتجربة والرؤية .

ب ـ المقارنة : حالة من الموازنة إلا أنها بين أدب أمة وأخرى .

جـ ـ التناص : ملاحظة أثر مقصود أو غير مقصود لنص سابق في نص لاحق .

16 ـ الأدب الجاهلي أدب صورة ، فهو مولع بوصف ما يراه المبدع ويسمعه ويشمه ويذوقه ويلمسه .. مولع أيضاً بوصف ما يستشعره الأديب ، ومساحة اهتمامه الحيوات العربية بتمامها ، ولعل أبرز سمة أضاءتها النصوص الأدبية هي الالتفات إلى الطبيعتين الحيّة والميتة ، الأعشى مثلاً يرسم الصحراء كأنها ظهر ترس يخبّئ زجل الأشباح والجن ، كما يرسم البرق والمطر والرعد والناقة التي لبثت ضخمة سهلة السير رغم السفر الذي يهزل الناقة ويحفّى راكبها

يا من يرى عارضاً قد بتّ أرقبه ... كأنما البرقُ في حافاته الشّعلُ
له رداف وجوز مفأم عمل ... منطّق بسجال الماء متصل
لم يلهني اللهوُ عنه حينَ أرقَبُه ... ولا اللّذاذة من كأس ولا الكسل
وبلدة مثل ظهر الترس موحشة ... للجن بالليل في حافاتها زجل
لا يتنّمى لها بالقيظ يركبها ... إلا الذين لهم فيها أتَوْا مهل
جاوزتها بطليح جسرة سُرُح ... في مرفقيها إذا استعرضتها فتل
أما ترينا حفاةً لا نعال لنا ... إنا كذلك ما نحفى وننتعل

وعنترة .. يجترح صورة للروضة والذباب الغرد فيها حتى لكأننا نرى الاثنين معاً .. ثم يصف حصانه ويسبغ عليه من المشاهد ما يستدر عواطفنا :

أ ـ أو روضة أنفاً تضمن نبتها ... غيث قليل الدمن ليس بمعلم
جاد عليه كل بكر حرة ... فتركن كل قرارة كالدرهم
سحاً وتسكابا فكل عشية ... يجري عليها الماء لم يتصرّم
وخلا الذُّبابُ بها فليس ببارح ... غِرداً كفعل الشارب المترنم
هزجاً يحك ذراعه بذراعه ... قدح المكب على الزناد الأجذم

ب ـ يدعونَ عنترَ والرماحُ كأنها ... أشطان بئر في لبان الأدهم
مازلت أرميهم بثغرة نحره ... ولَبانه حتى تسربل بالدم
فازورّ من وقع القنا بلَبانه ... وشكا إليّ بعبرة ويحمحم
لو كان يدري ما المحاورة اشتكى ... ولكان لو علم الكلام مكلّمي

ـ وطرفة بن العبد يصف لنا احتواءه النقيضين فهو زعيم في حلقة القوم نهاراً ، وصعلوك بين الندامى ليلاً .. ولكنه لا ينادم إلا الفتيان الذين يحاكون النجوم علواً .. ولم تفته صورة المغنية : البصرية واللمسية والسمعية :

فإن تبغني في حلقة القوم تلقني ... وإن تلتمسني في الحوانيت تَصْطَد
ندماي بيضٌ كالنجوم وقَيْنَة ... تروح إلينا بين برد ومجسد
رحيب قطاب الجيب منها رفيقة ... بجسّ الندامى بضة المتجرّد
إذا نحن قلنا أسمعينا انبرت لنا ... على رسلها مطروفة لم تشدد
إذا رجّعت في صوتها خلت صوتها ... تجاوبُ أظآر على رُبع ردِ

ويضع النابغة بين أيدينا صورة متكاملة لصراع دام نشأ بين ثور الوحش (مشبه به للناقة) الذي يشبه الإنسان المكابد ، وبين الصيد وكلابه اللذين يشبهون السُّلطة .. فالصياد درّب كلابه وجوّعهن كي يفتكن بالثور الباحث عن الماء ، وهذا الصراع تقليد

دأب عليه جل الشعراء الجاهليين ، واللوحة ترينا ثور الوحش المسكين مهزولاً من الجوع والإعياء في صحراء مهلكة ، فكأنه ميت لا محالة من الظمأ .. وفجأة يهطل عليه المطر .. ويكاد يستبشر بالماء حتى (يرتاع) من أصوات الكلاب ومن شدّة البرد التي سرت في قوائمه ، وكان (ضمران) أفتك الكلاب .. فركّز عليه الثور حتى أدخل قرنه من جهة بطنه وأخرجه من الأخرى فكأن قرنه مبضع طبيب بيطري ، أو سفود نسيه السُكارى فوق النار ، فظل ضمران يعضّ القرن وهو يعالج موته ، أما الكلب (واشق) فقد اعتبر بمصير صاحبه .. ففرّ هارباً .: فينتصر الثور على تلك رموز الموت !

كأن رحلي وقد زالَ النهارُ بنا ... يومَ الجليل على مستأنسٍ وحدِ
من وحشِ وَجْرة موشيٌّ أكارعه ... طاوي المصير كسيف الصيقل الفرد
سرت عليه من الجوزاء سارية ... تُزْجي الشمال عليه جامد البرد
فارتاع من صوت كلاّب فبات له ... طوعَ الشَّوامت من خوف ومن صرد
فبثهن عليه واستمر به ... صمعُ الكعوب بريئات من الحرد
وكان (ضمران) منه حيث يوزعه ... طعن المعارك عند المحجر النجد
شك الفريصة بالمدرى فأنفذها ... طعن المبيطر إذ يشفي من العضد
كأنه خارجاً من جنب صفحته ... سفودُ شَرْب نسوه عند مفتأد
فظل يعجم أعلى الروق منقبضاً ... في حالك اللون صدق غير ذي أود
لما رأى (واشق) إقعاص صاحبه ... ولا سبيل إلى عقل ولا قود
قالت له النفس : إني لا أرى طمعا ... ولا سبيلَ إلى عقل ولا قود[22]

17 ـ شغف الأدب الجاهلي بالقيم العربية العليا ، والأخلاق النبيلة ، فالنصوص الشعرية والنثرية تعلي من شأن المروءة والنجدة والوفاء والأمانة والنقاء ، وقد تداخلت معاني العربي والفتى والفارس فباتت إشارة واضحة إلى الإنسان الرحيم

(22) الذبياني . النابغة . ديوانه ص 15 تح عباس عبد الساتر . طب دار الكتب العلمية . بيروت 1984 .

بالضعيف ، الباطش باللئيم .. قال النبي ﷺ : « لا يدعُ العربيُّ الشعر حتى تدعَ الإبلُ الحنينَ » وقال أيضاً : « إنّ من البيانِ لحكمةً ومن الشّعر لسحراً » .

وقال في موضع آخر : « ما وُصف لي أعرابيٌّ في الجاهلية وأحببت أن أراه إلا عنترة » . ويتمثّل ﷺ ببيتين من شعر عنترة .

وأغضُّ طرفي ما بدَتْ لي جارتي ... حتى يواري جارتي مثواها
ولقد أبيتُ على الطَّوى وأظلّه ... حتى أنالَ به كريمَ المأكلِ

وقد تمثل صلوات الله عليه مرات بقول الأعشى :

قلّدتُك الشعرَ يا سلامة ذا التفضال والشّيءُ حيثُما جُعِلا

أما بيت طرفة الآتي فقد اعتده النبي ﷺ من مخايل النبوة

ستُبدي لكَ الأيّامُ ما كنتَ جاهلاً ... ويأتيكَ بالأخبارِ من لم تُزَوّد

وغير بعيدة عنا مقولة النبي ﷺ : « أصدقُ كلمةٍ قالها لبيدٌ » مشيراً إلى بيت ورد في نص استعباري للبيد نضعه بين قوسين :

ألا تسألان المرءَ ماذا يُحاول ... أنحبٌ فيُقضى أم ضلالٌ وباطلُ
إذا المرءُ أسرى ليلةً ظنَّ أنه ... قضى عملاً والمرءُ ما عاشَ عاملُ
فقولا لهُ إنْ كانَ يقسمُ أمره ... أَلَمّا يعظْك الدهرُ أُمَّكَ هابلُ
فتعلم أن لا أنتَ مدركُ ما مضى ... ولا أنتَ مما تَحْذَرُ النّاسُ وائلُ
فإنْ أنت لم تصدقك نفسُك فانتسب ... لعلّك تهديك القرون الأوائل
(ألا كُلُّ شيءٍ ما خلا اللهُ باطلُ ... وكلُّ نعيمٍ لا محالةَ زائلُ)
وكلُّ أُناس سوف تدخلُ بينهم ... دويهيةٌ تصفرُّ منها الأنامل[23]

(23) العامري . لبيد بن ربيعة . ديوانه ص/3/ق 44 طب دار صادر بيروت (د : ت) والقشيري . أبو الحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري ت 261 . صحيح مسلم 768/4 تح محمد فؤاد عبد الباقي طب دار إحياء التراث العربي بيروت .

وكان الحارث بن حلّزة مغتبطاً بالازدواجية التي يباهي بها الفارس العربي ، فهو قيظ على العدو وربيع للمحتاج .

لا يقيمُ العزيز بالبلد السهـ ـل ولا ينفعُ الذليلَ النجاءُ
وفعلنا بهم كما علمَ اللّـ ـه وما إنْ للخائنين دماء
أسدٌ في اللقاء ورد هموس وربيع إن شمّرت غبراءُ

ولن يكون الرجل زعيم قومه بالوراثة وإنما يتزعمها بالمروءة والبذل : قال عامر بن الطفيل :

فإني وإن كنت ابنَ فارس عامر وفي السرّ منها والصريح المهذب
فما سوّدتني عامر عن وراثة أبى الله أن أسمو بأم ولا أب
ولكنني أحمي حماها وأتقي أذاها وأرمي من رماها بمقنب[24]

وقال الأفوه الأودي :

تلفى الأمور بأهل الرشد ما صلحت فإن تولوا فبالأشرار تنقاد
والبيت لا يُبْتنى إلا لـه عمد ولا عماد إذا لم تبن أوتاد
وإن تجمع أقوام ذوو حسب اصطاد أمرهم بالرشد مصطاد[25]

وقال بشامة بن الغدير :

وجدت أبي فيهم وجدي كلاهما يُطاع ويؤتى أمره وهو محتبي
فلم أتعمّل للسيادة بينهم ولكن أتتني طائعاً غير متعب[26]

(24) ابن الطفيل . عامر . ديوانه ص 28 تح كرم البستاني . طب دار صادر بيروت 1963 .

(25) الأودي . الأفوه . ديوانه ضمن (الطرائف الأدبية) ق زب 9 وبعده ص 10 الميني . عبد العزيز . الطرائف الأدبية . القسم الأول (ديوان الأفوه الأودي . ديوان الشنفرى وتسع قصائد نادرة) طب دار الكتب العلمية . بيروت (د : ت) !

(26) ابن الغدير . بشامة . شعره ص 219 وانظر : الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام ، مبحث السلطان ص 184 الهامش 40 (م . س) .

والعربي يرفض الظلم رفضه للغدر والكذب ، قارن الفند الزماني :

1ـ أقيـــــدوا القـــــوم إن الظلم ... لا يرضـــــــاه ديّـــــــانُ
2ـ وإنّ النـــــارَ قـــــد تصبّـ ... ـــــح يـــومـــــاً وهي نيران
3ـ صفحنـــــا عن بني ذهـــــل ... وقلنـــــا القـــوم إخـــوان
4ـ فلمـــــا أبى الصلـــــح ... وفي ذلـــــك خـــــذلان
5ـ شـــــددنـــــا شـــــدة الليث ... غـــــدا والليث غضبـــــان[27]

وتنشأ الزعامة الشريفة في حاضنة (الفتوة ، الفروسية) ، فالقائد لا يستبد ولا يستأثر بالسلطة ، القائد أول من يضحي ، وآخر من يستفيد ، فلا يسلّط أولاده وأشقاءه وأبناء عمومته وأصدقاءه على أموال الناس وأعراضهم ورقابهم ، القائد الزعيم سيف بين السيوف ، وليس السيف الأوحد ، وليس الفحل الوحيد ، والمفكر الوحيد ، والمالك الوحيد للحقيقة .. وقد وصف الأعشى هذا الزعيم القائد ..

غيثُ الأرامـل والأيتـام كلّهم ... لم تطلُع الشمس إلا ضرّ أو نفعا
لم ينقص الشيب منه ما يقال لـه ... وقد تجاوز عنـه الجهل فـانقشعا
لا يرقع الناس ماأوهى وإن جهدوا ... طول الحياة ولا يوهون ما رقعا
قـد حملوه فتي السن مـا حملت ... ساداتهم فأطـاق الحمل واضطلعا
تلقى لـه سادة الأقـوام تـابعـة ... كلّ سيرضى بـأن يرعى لـه تبعا

وهذه الهيئة ليست بعيدة عن هيئة الزعيم القائد في ذهنية لقيط

فسـاوروه فـألفوه أخـا علـل ... في الحرب يحتبل الرئبال والسَّبُعا
لا مترفاً إن رخاءُ العيش ساعـده ... ولا إذا عضى مكروه بـه خشعـا
وليس يشغلـــه مـــال يثمّره ... عنكم ولا ولـدٌ يبغي لـه الرّفعـا
متى استمرت على شزر مريرتُـــه ... مستحكم السنّ لا قحماً ولا ضرعا

(27) الفند الزماني . شعره ص 294 . مجلة المورد العراقية . مجلد 8 عدد 3 سنة 1979 .

عبلُ الذراع أبيـاً ذا مـزابنـة ... في الحرب لا عاجزاً نكساً ولا ورعا
ما انفك يحلب درّ الدهر أشطره ... يكـون متبعـاً طـوراً ومتبعـا

ويمكن القول : إن قصائد الرثاء مرآة صافية ، تعكس فضائل الفقيد وحين سئل أحد الشعراء : ما بال المراثي أجود أشعاركم ؟ فأجاب « لأننا نقولها وأكبادنا تحترق » !!

يقول الدكتور جبار عباس اللامي : الرثاء تعبير عن مشاعر الأسى والحزن فضلاً عن ذكر محاسنه والإشادة بمآثره وخصاله الحميدة ، ومعظم المراثي التي وصلت إلينا تميزت بصدق اللوعة ، وحرارة العاطفة ، وخاصة المراثي التي كانت تقوم على رابطة الرحم والقربى التي تجمع بين الراثي والمرثي . ا . هـ[28] .

قالت الخنساء :

يا صخر من لطراد الخيل إذ وزعت ... وللمطايا إذا يشددن بالكور
ولليتامى وللأضياف إن طرقوا ... أبياتنا لفعال منك مخبور
ومن لكربة عان في الوثاق ومن ... يُعطي الجزيل على عسر وميسور
ومن لطعنة خلسٍ أو لهاتفة ... يوم الصياح بفرسان مغاوير
يا صخر كنت لنا عيشاً نعيش به ... لو أمهلتك ملمات المقادير
يا فارس القوم إن شدوا فلم يهنوا ... وفارس القوم إن هموا بتقصير
يا صخر ماذا يواري القبرُ من كرم ... ومن خلائق عفاتٍ مطاهير[29]

وقال محمد بن كعب الغنوي :

لقد كان أما حلمه فمروّح ... عليه وأما جهلُه فعزيب
أخي مَن أخي، لا فاحشٌ عند بيته ... ولا ورعٌ عند اللقاء هيوب

(28) اللامي . د . جبار عباس . شعر المرأة في العصر الجاهلي ص 27 . طب مركز عبادي للدراسات والنشر . صنعاء 1998 .

(29) الخنساء . ديوانها ص 50 تح عبد السلام الحوفي . طب دار الكتب العلمية بيروت (د : ت) .

أخي كان يكفيني وكان يعينني ... على نـائبـات الـدهر حين تنـوب
حليم إذا مـا سـورة الجهـل أطلقت ... حُبى الشيب للنفس اللجوج غلـوب
هـو العسـل المـاذيّ ليناً ونـائـلاً ... وليث إذا يلقى العـداة غضـوب
هـوت أمـه مـاذا تضمّن قبره ... من المجـد والمعروف حين يثيب
أخـو سنـوات يعلم الضيف أنـه ... سيكثر مـا في قـدره ويطيب
حبيب إلى الـزوار غشيـان بيتـه ... جميـل المحيـا، شبٌّ وهـو أديب
كأن بيـوت الحي مـا لم يكن بهـا ... بسـابسُ قفر مـا بهن عريب
فتى أريحي، كان يهتز للنـدى ... كما اهتز من مـاء الحـديـد قضيب
فتى مـا يبـالي أن يكـون بجسمـه ... إذا نـال خـلاتِ الكرام شحـوب
فتى الحرب إن جـارت تراه سمامهـا ... وفي السلم مفضـال اليـدين وهـوب
إذا مـا تراءاه الرجـالُ تهيبـوا ... فلم ينطقـوا العـوراء وهـو قريب
حليف الندى يـدعو النـدى فيجيبـه ... سريعـاً ويـدعوه النـدى فيجيب
فلـو كانت الـدنيـا تبـاع اشتريتـه ... بمـا لم تكن عنـه النفوس تطيب[30]

واستحثت برة ابنة عبد المطلب دموع عينيها ، حتى تبكي :

على مـا جـد الجـدّ واري الـزنـاد ... جميـل المحيـا عظيم الخطر
على شيبـة الحمـد ذي المكرمـات ... وذي المجـد والعـز والمفتخر[21]

ولن يغفل البـاحث في القيم العربيـة كتب الأمثـال التي متحت مـادتهـا من الشعر والنثر ونشرت أمامنا باقات لا تعد ولا تحصى من الأمثال العربية الجاهليـة ، التي تـذكي

---

(30) القرشي . أبو زيد محمد بن الخطاب (من القرن الثالث) . جمهرة أشعار العرب ص 249 وبعـدهـا طب دار صادر بيروت (د : ت) .

(31) الـلامي . د . جبـار عبـاس . شعر المرأة في العصر الجـاهلي ص 98 وقـد عـوّلنـا على هـامش 12 (م . س) .

روح المروءة والنجدة . من نحو كتاب (الأمثال) لأبي فَيْد مؤرّج السدوسي ، و (المستقصى في الأمثال) للزمخشري ، و (مجمع الأمثال) للميداني .

18 ـ الأدب الجاهلي أدب رؤية .. كثر قراء الأسرار لاحتياج الناس إلى كشوفاتهم ومزاعمهم فالناس يسألون ويحتكمون وقراء الأسرار يلبّون ، وقد يصعب الفصل بين وظائف دلالي ذلك العصر وهم كثر من نحو المنبئ والكاهن والعراف والطبيب والساحر والممسوس والمتوسم والقلمس والحازي والقائف والمتفرّس والرائد والدال . ويسعى الأديب إلى أن يكون كل هؤلاء الذين يمتلكون موهبة الخيال التشاكلي القائم على مبدأ التشبيه للتأثير في الطرف الآخر ، فتمادى الكهنة في تطويع علومهم الحدسية القائمة على المزاعم والاستنتاج والاستدلال ، وأوهموا الناس أنهم يأخذون علومهم من الرئي والنجمة ، فافترقوا درجات عن الشعراء الذين ينهلون معطاهم من شعب بوادي عبقر ، بل وافترقوا درجات عن ذوي الحدس الصافي القائم على الذكاء والتوسّم ، من نحو قس بن ساعدة ، وورقة بن نوفل .. النص الرؤيوي مالك لريادة محسوبة دلالياً عهدئذ ، وإن شابت رؤية النص الباذخة أشياء من الوهم والإيهام بما يستدعيه المجاز وآليات صناعة النص قارن 1 ـ قس بن ساعدة :

لما رأيت مواردا ... للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها ... يمضي الأصاغر والأكابر
أيقنت أني لا محا ... لة حيث صار القوم صائر

2 ـ زهير بن أبي سلمى :

ـ ألا ليت شعري هل يرى الناس ما أرى ... من الأمر أو يبدو لهم ما بدا ليا
ـ وأعلم ما في اليوم والأمس قبله ... ولكنني عن علم ما في غد عمي

3 ـ أمية بن أبي الصلت :

شمـــطٌ بهـــا ليـــل مغـــاوير وحـــاوح
ألا ترون لمـــــا أرى ولقـــد أبـــان لكل لامـح

4 ـ قراد بن الأجدع :

فإن يـك صدر هـذا اليوم ولّى فـإن غـداً لنـاظره قريب

5 ـ طرفة بن العبد :

ستبدي لك الأيـام مـا كنت جـاهلاً ويـأتيـك بـالأخبـار من لم تـزود

6 ـ الأعشى :

إذ نظرت نظرة ليست بكاذبـــة إذ يرفع الآل رأس الكلب فـارتفعا

7 ـ لقيط بن يعمر الإيادي :

هـذا كتـابي إليكم والنـذير لكم لمن رأى الرأي بـالإبرام قـد نصعـا
وقـد بـذلت لكم نصحي بـلا دخـل فـاستيقظـوا إن خير العلم مـا نفعـا

الفصل الثاني

عصور الأدب

أ- ذهبنا في الفصل الأول إلى أن الأدب كالزمن فكلاهما دائري ومتّصل ومن الصعب الفصل بين الأجزاء دون اعتساف طبيعة كل منهما ، فإذا قسّم الكاتب الأدب فإنما يفعل ذلك لكي يقرّب الفكرة من الذهن ، ويسلّط الضوء على كل جزء ابتغاء تشريحه ورؤية خصائصه ، والأدب العربي أدب معمّر ، وقد غاب عن ذاكرته عهد طويل سبق العصر الجاهلي المحدد !! فالأدب الجاهلي الذي وصلنا محصور بفترة القرن والنصف إلى القرنين ، وهي فترة ضئيلة تماماً ! فأين ذهب الأدب الجاهلي (الغائب) الذي سبق العصر الجاهلي الماثل ؟ أين نصوص ذلك العهد ؟ ومن هم شعراؤهُ ؟ إن خسارة فادحة لحقت الإبداع العربي حين خسر أدب حقبة طويلة نسبياً تتجاوز العشرين قرناً ؛ تمتد من عام 1500 ق . م إلى 610 م ، لقد أسهمت أسباب كثيرة في ضياع كنوز الأدب الغائب ؛ منها أن معظم الوثائق والنقوش التي احتفظت ببعض هذا الأدب ما زال مطموراً تحت الأرض ، ولم يوحّد الآثاريون العرب جهودهم للتنقيب والبحث علماً بأن التأخر في تنظيم هذه الحملات أتلف الكثير منها - كما نفترض - وترك الباب موارباً لسرّاق الآثار وتجارها ... ولم تجدِ الجهود الضيقة نفعاً أكيداً قياساً إلى طموح المختصين في الأدب الجاهلي المتمثل في العثور على نصوص الأدب الغائب ! زد على ذلك جهل البعض لقيمة الرُّقُم والمكتشفات ، فالرُّقم الطينية ربما تكون مادة لبناء البيوت ويكفي القول : إنني عشت في محافظة بابل أربع سنوات ، واكتشفت بنفسي أن كثيراً من البيوت في المدن والقرى المجاورة لبابل قد بنيت من آجر آثار بابل !! وجهل

البعض يغري الناس الذين يعثرون على الآثار بإخفائها واعتدادها مقتنيات خاصة أو بيعها على الأجانب ، وما زال الأمل واسعاً في أن تسفر الحفريات التي تنهض بها جهات آثارية كلاً على انفراد في اليمن والسعودية والبحرين والكويت والعراق والشام عن نتائج باهرة .. متمنين على فرق التنقيب توحيد جهودها والاستفادة بخبرات المختصين في حقول العصور الجاهلية .

ب ـ ومهما يكن من الأمر فنحن مضطرون إلى الشغل على المساحة المتوفرة لدينا وهي تمتد بين (150ـ200) سنة قبل الهجرة وهي فترة ضئيلة كما أشرنا ، ولكن البحث العلمي لا يؤسس نظرياته على الحدس والتخمين .. ولسوف نبدأ بتقسيم الأدب العربي وفق التسلسل الزمني لاعتبارات منهجية ، ولنا أن نقدم بين يدي هذا التقسيم احترازاً هاماً يتمحور حول التداخل بين العصور ، فلا يمكن القطع بأن ظهور الإسلام مثلاً أنهى (تماماً) إيماءات الأدب الجاهلي وشحناته ! ولا يمكن مثلاً التخيّل أنّ عام (132 هـ) عام سقوط النظام الأموي هو عام ابتداء الأدب العباسي .. ليس قبله وليس بعده !! فالأدب مخلوق عصي لا يلتزم مثل الناس الاعتياديين بمواقيت الأنظمة ، فثمة شعراء مخضرمون كتبوا في الجاهلية والإسلام مثل حسان بن ثابت ، والخنساء ، والحطيئة ، ولبيد . وثمة شعراء مخضرمون كتبوا في العصر الأموي والعباسي .. مثل بشار بن برد مثلاً .. ومرة أخرى فنحن نسلم بالتقسيم الزمني لأسباب منهجية كما أشرنا .

1 ـ أدب العصر الجاهلي : ويمتد من 200 عام قبل الهجرة حتى ابتداء الهجرة .

2 ـ أدب عصر صدر الإسلام ويبدأ من العام الأول للهجرة إلى عام 40 يوم اغتيال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

3 ـ أدب العصر الأموي .. من عام اغتيال الإمام علي إلى عام سقوط النظام الأموي (132 هـ) .

4 ـ أدب العصر العباسي الأول ويبدأ من (132 هـ) إلى عام (232 هـ) انتهاء خلافة الواثق .

5 ـ أدب العصر العباسي الثاني (232 هـ) إلى عام (334 هـ) عام استيلاء بني بويه على المقاليد الفعلية للخلافة الجريحة حين اكتفى خلفاء بني العباس عهد ذاك بالاسم فقط .

6 ـ أدب العصر العباسي الثالث من عام (334 هـ) حتى عام (447 هـ) عام استيلاء السلاجقة على بغداد .

7 ـ أدب العصر العباسي الرابع من عام (447 هـ) حتى عام (656 هـ) عام دخول جيش التتار بغداد والإجهاز على الخلافة العباسية ، فكان دخول التتار موعداً لسقوط الحكم العباسي .. الذي انطفأ منذ دبّت الفتن بين الأمين والمأمون وتسلط العناصر غير العربية على الحكم وشيوع روح الاستعلاء والعتو في الأسر الحاكمة باتجاه المحكومين وبخاصة المسلمين من غير العرب .

8 ـ أدب العصور المظلمة ويبدأ من عام الشؤم (656 هـ) حتى عام (1213 هـ) عام وصول الجيش الفرنسي الغاشم إلى التراب المصري بقيادة القائد الفرنسي المعتوه نابليون بونابرت ! والإنصاف يدعونا لتسمية هذه الفترة بالفترة المظلومة ، فقد استيقظت النخوة الأدبية والعلمية فصنع الأدباء والمثقفون العرب الموسوعات الكبيرة ، وبرز شعراء رافضون حذّروا من مغبة اليأس والتخاذل .

9 ـ أدب عصر النهضة من (1213 هـ) (1798 ميلادية) إلى (1950 م) . وقد ظهر فيه كثير من الاتجاهات التقليدية والتجديدية وكان الصوت الأقوى هو صوت محاكاة النماذج العليا من الأدبين الجاهلي والعباسي .. وإحياء الروح الأدبي .

10 ـ الأدب الحديث من عام (1950 م) حتى أيامنا هذه (1999 م) . وقد بدأ

برواد الأدب الحديث في الشعر والنثر الفني .. فعلى مستوى الشعر ظهر رواد الشعر الحر الذين اعتمدوا البحور الصافية والتفعيلة المكرورة ، ثم جاءت بعدهم أجيال حاولت تجاوز تجربة الرواد . وعلى مستوى النثر الفني ظهر رواد متميزون في القصة والرواية والمسرحية والمقالة وظهرت بعدهم أجيال حاولت تجاوز تجربتهم(☆) .

جـ ـ كثيرة ومتعددة هي زوايا النظر التي يمكن من خلالها رصد الأدب الجاهلي ، ومعلوم أن مسوّغ هذه الكثرة وتلك التعددية هو اختلاف الدارسين في المناهج المتبعة والأهداف المقصودة والثقافات والمرجعيات ودرجات الوعي ، وإذا كنا قد وضعنا الأدب الجاهلي في إطار الزمن فإنما فعلنا ذلك لأسباب منهجية تتصل بشغلنا وأهدافنا ، إلا أن للأدب الجاهلي قوة ضاغطة ، ما زال حتى اليوم بعض شعرائنا التقليديين ينؤون من أثرها ! فكيف يكون الأمر مع العصور القريبة من الجاهلية .. صدر الإسلام والأموي والعباسي !! لقد تعصب له علماء الشعر ، واعتدوه مقياساً لشعرية الإبداع العربي ، ولنا أن نستذكر مخضرمي العصرين الجاهلي والإسلامي وأثرهم في الاختلاط (الفني) بين هذا الشعر وذاك والدارسون احتاطوا للأمر فلقبوا قصائد العصر الجاهلي بالمنتقيات ، والجاهليات . وقصائد المرحلة الانتقالية بالمخضرمات والمشوبات ، ولسوف نعرض فيما يلي إلى عدد من المنطلقات التي يمكن اعتمادها في مباحث الأدب الجاهلي .

1 ـ دراسة الأدب من خلال الترتيب الزمني السياسي وقد شرحناه .

2 ـ قال بعض العلماء : بني الشعر على أربعة أركان وهي المديح والهجاء والنسيب والرثاء[1] وقد أوّل الدارسون هذا التقسيم الرباعي إلى أن أصول الشعر أربعة هي الرغبة والرهبة والطرب والغضب (فمع الرغبة يكون المدح والشكر ، ومع الرهبة يكون

(☆) إشارة : لا يمكن وضع الأدب الأندلسي في نظرنا ضمن العصر الأموي أو العباسي .. فهو أدب ذو ملامح مختلفة وإن له عصوره الخاصة به فاقتضت الإشارة .

(1) القيرواني . أبو علي الحسن بن رشيق ت 456 . العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده 100/1 تح محي الدين عبد الحميد طب دار الجيل بيروت 1972 .

الاعتذار والاستعطاف ، ومع الطرب يكون الشوق ورقة النسيب ، ومع الغضب يكون الهجاء والتوّعد الموجع والعتاب الشديد)[2] .

والنيـاقـدة العرب مـوقنـة أن أشعر العرب الأعشى إذا طرب ، وامرؤ القيس إذا شرب ، وعمرو بن كلثوم إذا غضب ، والنابغة إذا رهب ، ونرجّح عنصرين من العنـاصر الأربعة وهـا الرهبـة والرغبـة إذ يمكننـا وضع الطرب في الرغبـة والغضب في الرهبـة . وحين سئل الإمام علي كرم الله وجهه عن أشعر الشعر لم يشأ الإجـابـة لشـدة وعيـه بطبيعـة الشعر ، وحساسية المتلقي ، بيد أنه أجـاب حين ألحف السـائل في السؤال قـائلاً : امرؤ القيس وحين طلب إليه تعليل حكمه قـال : « لأن امرأ القيس لا يقول الشعر عن رغبـة ولا عن رهبة » .

إن تشريح الشعر من خلال أغراضه منطلق مهم ، لأنـه يبوّب الفنون الشعريـة ، ويحـدد إمكانـات وأهم هـذه الأغراض هي : الغـزل ، والفخر ، والمـديـح ، والرثـاء ، والهجاء ، والتوثيب ، والحكمة ، والوصف .

3 ـ دراسة الأدب من خلال شعراء القبـائل ، فـالقبـائل العربيـة تحتفي بشعرائهـا احتفاء كبيراً ، فإذا نبغ شاعر في القبيلـة فهـذا يعني أن القبيلـة ستحتفل رجـالاً ونسـاء شيبـاً وشبـانـاً ، وستنحر الإبـل للمـدعـوين ، ويستعرض الشبـاب فنـونهم في الرقص والغناء ، فالشاعر عهد ذاك مؤسسة إعلامية ، وكان النعمان بن المنـذر يجمع في خزائنـه الشعر الذي يمتدح به قومـه[3] (والشعراء المعروفون بـالشعر عنـد عشـائرهم وقبـائلهم في الجاهلية ... أكثر من أن يحيط بهم محيط ، أو يقف من وراء عددهم واقف)[4] .

(2) حسن . د . حسين الحاج . أدب العرب في عصر الجاهليـة ص 18/طب المؤسسـة الجـامعيـة للـدراسـات بيروت 1984 .

(3) الرازي . أبو حاتم أحمد بن حمدان ت (322 هـ) . كتـاب الزينـة ص 96 تح حسين الهمـداني الحرازي طب مركز الدراسات والبحوث اليمني . صنعاء 1994 .

(4) ابن قتيبـة . أبـو محمـد عبـد الله بن مسلم ت 276 هـ . الشعر والشعراء 22/1 طب دار إحيـاء العلـوم . بيروت 1987 .

وقد قال الشاعر :

ألهى بني تغلبٍ عن كلّ مكرمـــــةٍ قصيـدةٌ قـالهـا عمرو بنُ كلثـومِ

وقد صنع السكري ديواناً لقبيلة هذيل مثلاً ..

4 ـ الأمكنـة .. وهـذا منطلـق آخر لـدراسـة الأدب الجـاهلي ، فهنـاك الشعراء الشماليون والشعراء الجنوبيون أو شعراء اليمامة أو الثغور أو الريف ..

5 ـ الأدب في دائرة الأنظمـة السيـاسيـة .. من نحـو شعراء دولـة كنـدة ، وشعراء المناذرة ، والغساسنة ، ومكة ، ودومة الجندل .

6 ـ دراسة الشعر من خلال مقامـات الشعراء ونجوميتهم وانتماءاتهم ، فهنـاك شعراء ملوك وشعراء سـوقـة وشعراء عبيـد وهنـاك شعراء صعـاليـك ، وفرسـان ، ولصـوص ، وعشّـاق ، ومتـألهون ومتعهّرون ، وشعراء غربـان (ذوو بشرة سـوداء) . وخـلاسيـون (بشرتهم اعتيادية وأصولهم سوداء) ..

7 ـ دراسة الشعر وفق معيار المصنوع والمطبوع ، فقـد عرف العصر الجـاهلي شعراء يعنون بتصليح شعرهم ومراجعته ، وقد تستغرق القصيـدة حولاً كاملاً .. وهنـاك شعراء يكتبون على الفطرة بتلقائية محببة فزهير بن أبي سلمى ورهطه كانوا من عبيـد الشعر ـ كما زعم ـ فهم ينسبون إلى الشعر المصنوع وامرؤ القيس وطرفـة والأعشى وسواهم ينسبـون إلى الشعر المطبوع .

8 ـ دراسة الشعر وفق طبقات الشعراء ، فثمـة شعراء يـأتون في المقـام الأول ؛ وهم الشعراء الفحـول ، وشعراء يـأتـون في المقـام الثـاني ، وقـد جعـل الأصمعي امرأ القيس والنابغة على رأس الفحول بينما لم يعتدّ الأعشى وعمرو بن كلثوم من الفحول !!

وسأل أبو حاتم السجستاني الأصمعي عن دلالة الفحل فأجـابـه (يراد أن لـه مزيـة

على غيره كمزية الفحل على الحقاق[5] وقد شاعت فكرة الطبقات ، ولنا أن نستذكر (طبقات فحول الشعراء) لابن سلاّم الجمحي ، أما أبو زيد القرشي فقد بوّب الشعراء وفق شهرة قصائدهم فذكر (أصحاب) المعلقات والمجمهرات والمنتقيات والمذهبات والمشوبات والمراثي والملحمات[6] .

9 ـ ويمكن دراسة الشعر وفق معيار شعراء الوبر وهم الأعراب سكان البادية وشعراء المدر وهم سكان المدن والأرياف .. فشعراء البادية غليظو العبارة ، عنيفو المشاعر . وشعراء المدن رقيقو العبارة هادئو المشاعر ، والعرب تقول من بدا جفا ، وحين سئل الأصمعي عن شاعر أعرابي أجاب إنه لم يعد كذلك ؛ لأنه أكل البقول ! وكانت المنافسة على أشدها بين شعراء البادية وشعراء الحاضرة ولكل سنخ من هؤلاء جمهوره ومريدوه ..

10 ـ كما أن بإمكان الدارس النظر إلى الشعر الجاهلي من جهة الولاءات الدينية ، فالسموءل بن عادياء مثلاً شاعر يهودي وأمية بن أبي الصلت مسيحي وعمرو بن زيد بن نفيل حنفي ، وثمة شعراء صابئة ، ومجوس ، ووثنيون ..

د ـ أما مناهج دراسة الأدب الجاهلي فهي كثيرة أيضاً ومتعددة بتعدد مرامي الدارسين وثقافاتهم ومرجعياتهم وأهم المناهج التي رصدت الأدب الجاهلي وبخاصة الشعر هي المنهج اللغوي ، والمنهج التاريخي ، والمنهج الجغرافي ، والمنهج النفسي ، والمنهج الفني ، والمنهج الاجتماعي ، والمنهج البنيوي ، والمنهج الإيديولوجي ، والمنهج الدلالي ، والمنهج التكاملي . وجل هذه المناهج يعتسف الأدب الجاهلي ، ويلوي عنق النص لكي يتجاوب مع نهج الباحث . وهو أمر يبعد البحث عن مركزية الأدب الجاهلي ، فالمنهج اللغوي مثلاً معنيّ بتشقيق النص ، ومعرفة مديات تعامله مع الاسم والفعل والحرف ..

(5) السجستاني . أبو حاتم سهل بن محمد (ت 255 هـ) سؤالات أبي حاتم السجستاني للأصمعي ص 30 تح د . عودة أبو جري . طب مكتبة الثقافة الدينية . مصر 1994 .

(6) القرشي . جمهرة أشعار العرب ص 361 وبعدها (م . س) .

وكم مرة مثلاً اعتمد الجملة الاسمية أو الفعلية ، وأيهما المتغلب في الجملة المصدر أم الفعل .. وهكذا يكون النص الجاهلي أسير فرضيات ترهقه أما المنهج التاريخي فهو يجر النص الجاهلي إلى متاهات التاريخ ومغارات الزمن المعتمة ، فيدرس التاريخ من خلال النص الجاهلي ، أو يدرس النص الجاهلي من خلال التاريخ ، فيكون النص وثيقة بكماء ، تقول ولا تعي . أما المنهج الجغرافي فهو قريب الأرومة من التاريخي ، لأنه معني بإضاءة الفرضية الجغرافية بالنص الجاهلي أو إضاءة النص الجاهلي بالمعلومة الجغرافية ، ويلاحظ هذا المنهج الأثر الطوبوغرافي (التضاريسي) والديموغرافي (السكاني) والنوئي في النص الجاهلي ، وربما لاحظ كيفيات تعبير النص الجاهلي عن التضاريس والسكان والأنواء .. إلخ .

وربما كان المنهج النفسي في بعض ميادينه قريباً من روح النص الجاهلي ، إلا أن الاعتساف سمة هذه الدراسات فالشاعر في رؤية هذا المنهج مريض مصاب بالعصاب أو السيتزوفرينيا ، والنص الشعري وثيقة تضيء لنا أسباب عناءات الشاعر .. ولا يمكن الظن أن هذا المنهج صالح مع كل الشعراء .. فقد يفيدنا هذا المنهج في دراسة أثر اللون في شعر عنترة ، وضعف البصر في شعر الأعشى ، واليفاعة في شعر طرفة ، والشيخوخة في شعر زهير ، وفرك النساء في شعر امرئ القيس .

أما المنهج الفني فهو أقرب المناهج إلى روح النص الأدبي ، لأنه مشغول بجماليات النص وشعرياته من خلال تشريح المبنى والمعنى للنص .

والمنهج الاجتماعي يدرس الأدب الجاهلي من خلال أثر الحياة الاجتماعية في شعر الشاعر ونثر الناثر .. ثم أثر معطى الشعر أو النثر في الحياة الاجتماعية ، ولا بد والحالة هذه من الإلمام التام بتقنيات علم الاجتماع ، لكي يحسن الباحث استخدامها .. وهذا المنهج يخدم علم الاجتماع قبل أن يخدم الأدب الجاهلي .. فما الأدب هنا سوى عينة تستخدم ، ثم تهمل .. ويمكن القول : إن المنهج البنيوي قريب جداً من روح النص

الجاهلي لأسباب كثيرة ، منها أنه منهج وصفي ، لا يعبأ بالمناهج المعيارية ، فهو يحلل ويستكشف ويستنبط ولا يقاضي أو يصدر أحكاماً ... وسبيله في ذلك إدراك العلاقات العميقة والظاهرة في النص ، وفق الأنساق التي تتحكم بالنص ، ويهمل هذا المنهج دراسة الشاعر ؛ لأن الغاية كامنة في الشعر وليس الشاعر استناداً إلى دعوة رولان بارت إلى موت المؤلف .

وكما اقترب المنهج البنيوي من النص الجاهلي فقد ابتعد المنهج الإيديولوجي عنه ، لأن هذا المنهج يحمّل النص الجاهلي فوق ما يحتمله ، ويلجأ إلى التأويل والتقويل والتلوين لإثبات أمور يصعب إثباتها في حيز الأدب الجاهلي .. كيف يفكر منتج النص ؟ وما النتائج العقدية المستخلصة من نص الشاعر ؟ وهل هو ثابت الرأي أم متحوّله ؟ وما أثر الجوانب الاقتصادية والطبقية في تجربته الشعرية ؟

ويظل المنهج الدلالي أميناً في مباحثه العلمية مع النصوص الأدبية الجاهلية ، فهو مشغول بالمعاني ودلالاتها ، وقد ينتقل من المعاني الظاهرة إلى المعاني المستترة وملاحظة استثمار النص لآليات المجاز ، وقد يلاحظ الدارس وفق هذا المنهج مدى نجاح الشاعر في استخدام آليات البيان (تشبيه ـ استعارة مكنية ـ استعارة تصريحية ـ كناية) في إيضاح دلالات النص ، أو مدى إخفاقه ، ولا بد من تفقه الباحث الدلالي في جدل الدال والمدلول والإشارة .. وهذا المنهج قادر على استجلاء جماليات النص الجاهلي ..

وأخيراً فالمنهج التكاملي هو المنهج الذي يلفّق عدداً من المناهج التي ذكرناها أعلاه أملاً في تحليل النص الأدبي الجاهلي ، فهذا المنهج يعتمد عدداً من المناهج لتأسيس الدرس ونحسبه غير قادر على التركيز وقول أشياء ذات قيمة .. لأنه يبدد الجهد ، ويشتت الاجتهاد ، ويضيّع إشارات النص . إن المنهج الواحد لا يلغي إطلاقاً حرية الاغتناء بزايا المناهج الأخرى .. ولكنه اغتناء محسوب ومحدود .. يجيء تعزيزاً للمنهج الأم

فبإمكان الـدارس وفق المنهج الفني مثلاً الاستعـانـة (المحـدودة) بمزايـا المنهج اللغوي أو التاريخي أو أي منهج آخر ..

أما المنهج التكاملي .. فخطيئته أنه بلا ملامح .. وأنـه متعب للنص ، وللـدارس ، والمتلقي معاً ..

الفصل الثالث

تفكيك المصطلحات

الكلمة طاقة لا تفنى ولا تستحدث ويتعيّن على المتصرّف بها معرفة طبائعها وأصولها وفروعها ، فقد تنسحب كلمة إلى الظل ، وتنعم أخرى بالضوء وفق قانون الاستعمال والإهمال . فاللغة كائن حيوي ينمو ويتطور ويضمر ، بيد أنه لا يموت وإنما يرقن حين يدبّ الانحلال والتشرذم في جسد هذا الكائن ! وقد قرّ في تجارب العاملين في حقول الكلمة أن للكلمة ثلاث دلالات يمكن استنباطها من جهة استقراء تاريخ مسيرتها أو مسيرة تاريخها ، فالدلالة الأولى تعتمد مرجعية اللغة مظنة لها وتسمى الدلالة اللغوية ، والدلالة الأخرى فظنتها مرجعية وضعية اتفق المشتغلون بها عليها ، وتظل الدلالة الثالثة الأخيرة مقترنة برؤية الباحث الخاصة وطبيعة شغله ومنهجه وهمومه وتسمى الدلالة التأسيسية .. قارن !

الدلالة
- دلالة لغوية (معجمية/قاموسية ..)
- دلالة اصطلاحية (تواضعية ..)
- دلالة تأسيسية (مقترنة برؤية الباحث ومنهجه)

والجدل بالعلة والمعلول قائم بين هذه الدلالات ، إذ لا يمكن لقنوات التواصل بين هذه الدلالات أن تنقطع ، ثمة تأويل دائماً وتوجيه يحيلان على المعاني المشتركة بين الدلالات ، وإن بدا الأمر للوهلة الأولى مختلفاً ؛ قارن تشريح الدلالات الثلاث !

1 ـ **الدلالة اللغوية** : وتعتمد الذاكرة المعجمية والقاموسية مثابة لها من نحو (لسان العرب) لابن منظور (ت 711 هـ) ، و (القاموس المحيط) للفيروز آبادي

(ت 817 هـ) و (تاج العروس) للزَّبيدي (ت 1205 هـ) . وسوى ذلك كثير .. والدلالة اللغوية ثابتة الأصول نامية الفروع متعددة الثمر ..

2 ـ **الدلالة الاصطلاحية** : وتعتمد ذاكرتها على ما تصالح المعنيون عليه بشأن حدودها وأوجه استعمالها ، وهي متحوّلة بحسب الزمكان والحاجات والمستجدات ، ولأنها متحولة فمن الصعب التزامها بمعجم اصطلاحي محدد ! ولعل كتب المجازات كانت محاولة ذكية للإمساك ببعض التحولات التي لحقت الكلمات بسبب الاستعمال ، والترميز ، والتأويل ، والتلوين ، نظير (مجاز القرآن) لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت 207 هـ) وكتب التفسير والشرح والصحاح وكتب المصطلحات الفقهية ، والشرعية ، والنحوية ، واللغوية ، والبلاغية ، ومن نحو كتاب (الأنواء) لابن قتيبة (ت 276 هـ) ، و (الأزمنة والأمكنة) للمرزوقي (ت 421 هـ) ، و (المعرب) الجواليقي (ت 540 هـ) و (التعريفات) علي بن محمد الجرجاني (ت 618 هـ) ، و (مفتاح العلوم) السكاكي (ت 626 هـ) و (كشاف اصطلاحات الفنون) محمد علي التهانوي (من القرن 12 هـ) و (المعجم الأدبي) جبور عبد النور ، و (معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب) لمجدي وهبة وكامل المهندس ، و (معجم المصطلحات البلاغية) ثم (معجم المصطلحات النقدية) ت : د . أحمد مطلوب والقائمة طويلة لمن أراد الاستزادة ..

3 ـ **الدلالة التأسيسية** : وهي متحوّلة بشكل يفوق الدلالة الاصطلاحية لأن الدلالة الاصطلاحية جمعية وإن تبدلت بتبدّل الحاجات والأمكنة والأزمنة وفق اشتراطات غير يسيرة ينهض بها المجتمع حيناً والمختصون حيناً آخر ، أما الدلالة التأسيسية فهي تعوّل على وجهة نظر الباحث الذي يحولها باتجاه منهجه وأسلوبه ؛ وتساعد الأمثلة الآتية في إدراك أوجه الائتلاف والاختلاف بين الدلالات الثلاث (عينات : أسلم ، كفر ، عقل) .

أ (أسلم) ← (لغة) = ذلّ + خضع
أ (أسلم) ← (اصطلاحاً) = أسلم + صار مسلماً

ب (كفر) ← (لغة) = ستر + غطّى + حرث
ب (كفر) ← (اصطلاحاً) = ترك الإيمان بوحدانية الله

جـ (عقل) ← (لغة) = حبل تشد به الحيوان لأمن الضرر
جـ (عقل) ← (اصطلاحاً) = آلة التفكير في رأس الإنسان

ونحاول فيما يلي تفكيك عدد من العينات (الكلمات) المتصلة بشغلنا في هذا الكتاب انطلاقاً من مركزية التوطئة أعلاه .

أولاً : أدب وأدبية

الأدب في حاضنة اللغة : يمثل آفاقاً شاسعة ، ويتوفر على دلالات كثيرة العدد والوجوه .. أهمها الرياضة والطعام والاعتياد والمعرفة العامة والمروءة والتعليم والأعراف والمجازاة ...

١ ـ **الرياضة :** وتعني في جانبها الحسي تضمير الجسم ، قولنا أدّبت الجمل أو الفرس أي روّضتهما ، وجعلت كلاً منهما مهيأً للامتطاء مستجيباً للإيعاز .

والمؤدب (كسر الدال) هو مروّض الحيوان ، أما الأديب فهو الحيوان المروَّض (فتح الواو المشددة) ، وقد ينصرف المعنى إلى ترويض جسد الإنسان ! أما السياق الذهني فهو قولنا : روّضت نفسي على قبول أمر لا أحبّه .

وهُنّ يصرّفن النوى بين عالج ونجران تصريف الأديب المذلّل

2 ـ **الطعام :** الأدب هو السائغ من الطعام ، والمؤدِّب (كسر الدال المشددة) طاهي الطعام ، والأديب صاحب المأدبة أو الوليمة ، وقد تواتر الاستشهاد في ذلك ببيت لطرفة بن العبد نأمل أن نعثر على أبيات أخرى تعزّز المثل !!

نحن في المشتـــاة نـــدعـو الجفلى لا ترى الآدب منـــــــا ينتقر[1]

والشتاء الجاهلي كان فصل الطاقة وانحباس الرزق ، بحيث تتضح معادن الرجال فيه ، والكريم يجد الشتاء سانحة ثمينة للتعبير عن سجيته وكرمه والآدب (صاحب المأدبة والدعوة) من قوم طرفة لا يختار لمأدبته قوماً دون قوم وإنما هو يدعو (الجفلى) أي الجميع دون استثناء دون أن ينتقي لمائدته ! إذن الكريم في (المشتى) الشتاء لا (ينتقر) أي لا يختار ؛ لأن الطعام مثل الهواء حصة للجميع قال عدي :

زِجِلٌ وبُلَـةٌ يجـاوبـه دف ءٌ لِخـون مـأدوبـة ، وزَميرُ

ولبث هذا المعنى بعد إشراقة الإسلام قال رسول الله ﷺ : « إن هذا الكتاب مأدبة في أرض الله » وقال علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) موبخاً عثمان بن حنيف عامله على البصرة : « العاملُ هو الوالي أو المحافظ » ، لأنه استجاب إلى وليمة قوم ينتقرون الأثرياء وذوي الجاه : « أما بعد يا ابن حنيف ، فقد بلغني أن رجلاً من فتية أهل البصرة دعاك إلى مأدبة فأسرعت إليها تستطاب لك الألوان ، وتنقل إليك الجفان ، وما ظننت أنك تجيب إلى طعام قوم عائلهم مجفوٌّ ، وغنيهم مدعوٌّ ، فانظر إلى ما تقضمه من هذا المقضم »[2] .

قال الشاعر :

كأنَّ قلـوبَ الطير في قعر عشّهـــا نوى القسب ملقىً عند بعض المآدب

3 ـ **الاعتياد** : وهذا المعنى يصاقب الترويض ويخالفه في مواضع ويؤوّل المستشرق الإيطالي كارلو نالينو حالة التماهي بين الأدب والاعتياد بأن (أدب) منقلبة عن

(1) ابن العبد . طرفة . ديوانه ص 60 . تح درية الخطيب ولطفي الصقّال طب مجمع اللغة العربية بدمشق 1975 .

(2) ابن أبي طالب . علي (رضي الله عنه) ت 40 هـ . نهج البلاغة 70/1 تح الشيخ محمد عبده طب دار المعرفة ، بيروت (د : ت) .

(دأب) ويورد عدداً من الأدلة المقبولة[3] لكن الدكتور شوقي ضيف غير مطمئن إلى هذا التأويل[4] . والذي نراه أن الصلة بين أدب ودأب عميقة حتى في حالة لبوث كل كلمة عند ملفوظها جاء في اللسان : (أدُب الرجل فهو أديب وأرُب فهو أريب وأدّبه علّمه) و (الدأب السَّوق الشديد والطرّد والعادة والشأن) قارن مادتي (أدب/دأب) وجانب تقليب الكلمة على أوجهها أو استبدال الحروف لمواقعها تقديماً وتأخيراً فهو معروف لدى المشتغلين في اللغة وقد أجازه العلماء ، وقيل : إن (أدب) كلمة نبطية ترسم (أدابا) أو (أدابت) أو (تادب) وهي في العربية مستقرة الدلالة واسعتها ، والكلمات العربية عوائل وأرحام وكل كلمة قادرة على توليد ستة دلالات قارن :

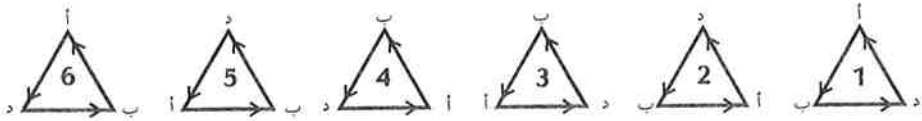

أدب ـــ أدب + دأب + ب د أ + ب أ د + د ب أ + أ ب د

قال الأعشى :

وعين وحشيـــة أغفت فـــأرّقتهـــا صوت الذئاب فأوفت نحوه دابا

وقال عوف بن الأحوص :

وما زال ذاك الدَّأبُ حتى تخاذلت هوازن فارفضّت سليمٌ وعامرُ[5]

ولم يكن تأويل كارلونالينو بدعاً في هذا الميدان فقد أرجع الأب أنستاس ماري الكرملي (أدب) إلى أصل غير عربي واعتدها يونانية اللفظ والمعنى ، ومن دلالاتها

(3) نالينو . كارلو . تاريخ الآداب العربية من الجاهلية حتى عصر بني أمية ص 17 طب دار المعارف مصر 1970 .
الصائغ . د . عبد الإله . الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام ص 21 (م . س) .

(4) ضيف . د . شوقي . العصر الجاهلي ص 8 طب دار المعارف بمصر 1960 .

(5) الضبّي . المفضل بن محمد بن يعلى الكوفي (ت 178) المفضليات ق 109 تح أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون طب دار المعارف ـ مصر 1992 .

الغناء والمنادمة والمجالسة والأحاديث الرائعة[6] وقد ردّها أحمد حسن الزيات إلى السومريين الذين سكنوا جنوب العراق ، ومن هناك انتقلت إلى العربية ، ومنها إلى اللغات السامية بالاحتكاك حوالي القرن الثلاثين ق . م ، ثم تحولت إلى كلمة (أدم) ، وما زلنا حتى الآن نستعمل معناها فنقول رجل آدمي أي مؤدب !

أما العلامة المغفور له د . مصطفى جواد فقال : إنها مشتقة من (الهذب) ، ثم قلبت الهاء همزة كما في قولنا : (هراق) في (أراق) و (هيا) في (أيا) ، ثم قلبت الذال دالاً لتيسير النطق بها[6] .

4 ـ المعرفة العامة : الأدب هو كل ما أنتجه العقل من ضروب المعرفة ، وما زلنا ننعت عاشق المعرفة (المتأدّب) ، وينقل الأصمعي (ت 216 هـ) مواعظ قديمة يحتفظ بها العرب عن أسلاف أسلافهم بينها (عليك بالعلم فإنه أنس في السفر ، وزين في الحضر ، وزيادة في المروءة ، وشرف في النسب) .

قال الشاعر :

عيٌّ الشريف يشينُ منصبه وابن اللئيم يزينه الأدب[7]

ونظير ذلك أن كلمة (Carmen) اللاتينية لم تكن كما عند سيرفيوس لتعني كل ما نظم شعراً ؛ ولكنها شملت كل ما صيغ من كلام ، وأخذ قالباً أدبياً ما ، مثل الصلوات ، وأعمال السحر ، والأحكام القانونية ، والأمثال والحكم ، وما إلى ذلك[8] .

---

(6) أبو شريفة . د . عبد القادر وحسين لاقي قزق . مدخل إلى تحليل النص الأدبي ص 12 وبعدها طب دار الفكر عمان 1963 . مجلة المقتطف عدد مارس 1933 ص 322 نقلاً عن كتاب مناهج تعليم الأدب والنصوص في مراحل التعليم العام في الوطن العربي . المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تونس 1986 .

(7) القرشي . جمهرة أشعار العرب .

(8) عثمان . د . أحمد . الأدب اللاتيني ودوره الحضاري ص 14 طب عالم المعرفة كويت 1989 .

5 ـ المروءة : ويمتد معناها ليتوفر على الاكتمال والخلق ، قال سهم بن حنظلة الغنوي :

لا يمنع الناس مني ما أردت ولا أعطيهم ما أرادوا حسن ذا أدبا[9]

ويصطنع الغنوي نمطاً من التماهي بين أديب وأريب :

حبيب إلى الخلان غشيان بيته جميل المحيّا ، شب وهو أديب
إذا نزل الأضياف أو غبت عنهم كفى ذاك وضاح الجبين أريب
يجبْك كما قد كان يفعل أنه بأمثالها رحب الذراع أريب[9]

وما فتئت صفة المؤدب أو الأديب صفة الإنسان المتخلّق بالمروءة والقيم الحميدة . جاء في اللسان (أدب) : « الأدب أدب النفس والدرس والظرف وحسن التناول ، وسمي أدباً لأنه يأدب الناس إلى المحامد وينهاهم عن المقابح ، وأصل الأدب الدعاء » .

6 ـ التربية : الأديب إنسان نال قسطاً وافراً من التربية والتعليم والمؤدّب (كسر الدال) هو المكفّل بالتربية ، ولنا في شرف الحديث النبوي شاهد خير : « أدّبني ربّي فأحسنَ تأديبي » .

7 ـ القواعد والأعراف : ومنه قولنا أدب الطريق ، وأدب الحديث ، وأدب البحث ، والمناظرة ولابن قتيبة (ت 276 هـ) كتاب (أدب الكاتب) وثمة كتب كثيرة في أدب مجالسة السلطان والخلان والمسامرة .

8 ـ المجازاة : الأديب رجل لا يعرف الإساءة ، فكيف يسيء إلى أحد ، والأقزام الذين يضعون لقصائدهم كعوباً عالية هم الموضومون بالإساءة ! والتأديب حالة من مجازاة المسيء بعقاب رادع ، وقولنا : حلقة تأديب ، ومجلس تأديب يشي بهذه المعاني ، والمؤدّب (كسر الدال) قاضٍ أو في حكمه ..

(9) الأصمعي . أبو سعيد عبد الملك بن قريب ت 216 . الأصمعيات ق 12 ق 25 تح أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون طب دار المعارف مصر ط6 .

9 ـ **المنفعة :** والأديب إنسان نافع بأدبه الناس ونفسه معاً ! قال بلعاء بن قيس :

فـــإن أمتْ والفتى رهْنٌ بمصرعـــه　　فقـــد قضيتُ من الآداب آرابـــا

10 ـ **الذكاء وبُعدُ النظر :** أخرج السيوطي عن المبرد قال : كان مكتوباً على سيف علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) :

كَمْ مِن أديب لبيبٍ لا تساعـــده ؟　　وأحمـــقٍ نـــالَ دنيـــاه بتقصير

لـــو كان عن قـــوّةٍ أو عن مغـــالبـــةٍ　　طـــارَ البزاةُ بـــأرزاقِ العصـــافير[10]

وبعد : فهذه هي المعاني التي تولّدها (أدب) في ذاكرة اللغة ، وهي معان متصاقبة متقاربة كما هي متخالفة متصالبة ! بما يجعل الدلالة إشكالية واضحة ؛ ولعل هذين : الائتلاف والاختلاف كانا جزءاً من الأسباب التي جعلتنا نفتقد لفظة [أدب] في القرآن الكريم .

الأدب في حاضنة الاصطلاح :

إذا كانت مفردة (أدب) متقلبة في حاضنة اللغة ، فهي كذلك في حاضنة الاصطلاح ، ويبدو الاختلاف جيلاً بعد جيل حتى الآن على دلالتها أو دلالاتها ووظائفها . فقد تضمنت علوم الأدب عند السلف : اللغة والصرف والاشتقاق والنحو والمعاني والبيان والبديع والعروض والقافية والخط والإنشاء !!

ولم يختلف الأمر كثيراً عند الخلف ، فما زال الاشتباك متصلاً حتى الآن بين علوم اللغة والدين والأدب ، وأقسام اللغة العربية في كليات الآداب في الوطن العربي معنية بمفردات هذه العلوم ، وقد أضيف إليها الاغتناء بلغة أجنبية غربية أو شرقية مثل الفارسية والعبرية والإنجليزية والفرنسية ، فضلاً عن دروس الفلسفة ، ولا نجد في

(10) السيوطي . جلال الدين عبد الرحمن بن كمال الدين ت 911 هـ . تاريخ الخلفاء ص 143 . تح قاسم الرفاعي ومحمد العثماني طب دار الأرقم بن الأرقم . بيروت (د : ت) .

رؤيتنا للأدب غضاضة في ذلك .. فالأديب معنيّ أكثر من سواه بالمفردات التي أشرنا إليها ، لأنها تخدم توجهه الأدبي وتعمّق تجربته ، وتصقل موهبته ، بيد أن هذه العلوم مساعدة ، وليست أدباً بأي حال من الأحوال أما الأدب الخالص هو المعاني الجميلة المؤثرة في عواطف المتلقي وذائقته ، مصاغة بأسلوب متميّز بجاذبيته ورقيّه .

وقولنا : المعاني الجميلة لا ينصرف إلى الفهم السائد للجمال .. فقد يجد المتلقي النص الأدبي ذا معاني جميلة ، وهو يتحدث عن الدمار في هيروشيما ، والفداء في فلسطين والخيبة بالحكام .. المعاني الجميلة ليست وقفاً على الفتاة الجميلة والبحر والسرور .. والجمال الأدبي قد يخرج من الشيء إلى طريقة النظر إليه وأسلوب تناوله ، جمال الأدب ليس في موضوعه فقط ، ولا في أسلوبه فقط وإنما هو في الابتكار والجدة والمكابدة بما يعزّز حضور النص في وجداننا ، ويعمّق تمسكنا بالحياة وقيمها النبيلة المغيبة ، ويبّعد رؤيتنا للمستقبل دون أن يحبب إلينا العمى والتطرّف والابتذال ..

وإذا كنا قد قدّمنا احترازاتنا ونحن نجتهد في تظهير دلالات الأدب ، فلا مندوحة من التشديد على (مكوّنات الأديب) وهي :

أ ـ الموهبة الواضحة المتكاملة ؛ فقد يخفق الأديب حين يعاني نقصاً في موهبته واستعداده ، والموهبة لا تعني الامتداد على كل فنون الأدب وأجناسه ؛ فقد تكون الموهبة مناسبة للشعر ، أو الرواية ، أو المسرح ، أو الفن التشكيلي . وليس بالضرورة أن تمنح الموهبة الشعرية صاحبها القدرة على كتابة المسرح أو القصة فقد يكون مناسباً أن يعرف الموهوب جنس موهبته ، يقول الدكتور عبد العزيز المقالح : « الموهبة حقيقة ثابتة ، وهي كالذكاء تماماً قيمة نسبية يتفاوت حظ الناس منها . والشعراء والفنانون يختلف الشاعر عن الشاعر والفنان عن الفنان في مقدار النصيب أ و الكم الذي ناله منها »[11] .

(11) المقالح . د. عبد العزيز . البدايات الجنوبية ـ قراءة في كتابات الشعراء اليمنيين الشبان ص 10 طب دار الحداثة ـ بيروت 1986 .

ب ـ سعة الخيال ، وحساسية التعامل مع المقروء والملفوظ والقدرة على الاستشراف وتجاوز المألوف والسائد واليقين بأن عظمة الأديب مقترنة بنجاحه في التعامل مع ثنائية (تعادلية) المجاز/الواقع ..

جـ ـ التجربة : كل تفاصيل الحياة قادرة على إغناء تجربة الأديب حين يتعامل معها ، بعيون طفل ، وقلب أمير وروح ربّان كل ما تراه العين وما تسمعه الأذن بكر كما قال الشاعر الحداثوي المصري أحمد عبد المعطي حجازي : (بكر كأن الله منذ هنيهة خلق الحياة) . السفر تجربة ، الإحساس بالغربة ، الحب ، المقت ، هتك السر ، القراءة ، الحلم ، التنافس ، الجرح .

« طوبى لمن حل في التجربة ، ولن يكون بمقدور الأديب الذي ينتج نصوصه على مكتب أنيق في غرفة مثقلة بالستائر المذهبة .. خلف بابها سكرتيرة تفكر نيابة عنه .. لن يكون بمقدوره كتابة شيء ذي قيمة .. الأدب اشتباك مع الحياة ورموزها . مكابدة صادقة ، كل ما تراه ـ حتى المألوف ـ إنما هو جديد بانتظارك (فأنت لا تنزل النهر مرتين) .

د ـ الثقافة الموسوعية الشاملة ، والثقافة الأدبية الخاصة فلم يعد الأدب شفاهياً ، أو مكتفياً بالفطرة والموهبة . فنحن في زمن بات فيه العالم قرية كبيرة ، وما عاد الأمي هو الذي يجهل القراءة والكتابة وإنما الأمي هو الذي يجهل استعمال (الكمبيوتر) واستثمار (الأنترنيت) ، الأمي هو المكتفي بلغته الجاهل للغات الأخرى وآدابها .. ولن نغفل ونحن نميز أهمية الثقافة وخطورتها في أدب الأديب عن القول بضرورة الموازنة الواعية بين عدد من محاور الثقافة مثل التراث والمعاصرة والمحلي والعربي والعالمي .. دون أن يأخذنا الهوس إلى تسليط محور على آخر .. فلكل محور خطورته وفعله .

هـ ـ حب الحياة ، والرهان على انتصار قوى الخير والتقدم على أشباح الموت ورموزه من قهر وإرهاب وفردانية ووهم امتلاك الحقيقة . فالحقيقة مثل الحياة والهواء

والماء والحرية ، إنها ملك الجميع ، ولا يحق لمعتوه أو متغطرس أو مريض عظمة ، أو ربيب سلطة ، أو أسير وهم الاستئثار بالحقيقة ، وحرمان الآخرين منها .. فخذ واعط ، فلست وحدك الفحل الوحيد ، والذكي الوحيد ، والبريء الوحيد ، والشهيد الوحيد .

و ـ استحضار حق المتلقي في النص ؛ لأنه الطرف المهم في عملية التلقي والتوصيل ، ومن المقرف حقاً القول : إن الأديب يكتب لنفسه ، أو يكتب لزمان آخر غير زمان الرعاع والغوغاء (كذا) . إن المبدع زعيم الذوق بين الجماعة ، والمستشرف برؤيته الصافية آفاق الزمن الأخضر ، والأدب الذي يحتقر الناس (مهما كانوا) هو أدب الصفوة التي تستعلي وتتورم ، وتستحي من أهلها .. وهذه ليست دعوة لذوبان الأديب في الواقع ، فعظمة النص في خصوصيته وريادته وقيادته وذيادته ، إن أعظم النصوص تأثيراً في المتلقين هي الصادقة الذكية الجميلة .

10 ـ الدُّربة .. وهي الأم التي تمنح الأديب قدرة في الكتابة ، وفهم طرائق الآخرين قدامى ومعاصرين ، محليين وأغراباً في الكتابة وتنمية آليات النص ، والدربة هي التدريب على إنتاج النص وينبغي للأديب ملاحظة خطه البياني في تخليق النص ، والاستئناس بآراء المتخصصين وذوي الشأن في الأدب دون أن يوقعه ذلك في إلغاء كينونته الأدبية ، وللأديب التعامل المستمر مع كتب اللغة والنقد والجمال والإيصال لمعرفة وسائل التعبير ، ولا بأس بقراءة سير العظماء والناجحين من الأدباء لمعرفة المؤثرات التي أسهمت في نبوغهم .. فإذا وجد الأديب ناحية في أدبه تجتذب المتلقين فليركز عليها ويعمل على تطويرها وإن وجد جانباً لم يتعاطف معه ذوو الحساسية الجمالية وكم الناس فلا ينبغي أن تأخذنا العزة بالإثم .. فنحن نتمرّن لكي نرضي طموح النص وطموحنا والمتلقين معاً ..

11 ـ الأسلوب : وهو الوسيلة الوحيدة للتعبير عن الموهبة والخيال والتجربة

والثقافة والحياة والدربة .. إنه اللغة الوحيدة التي يتكلمها النص ، ويفهمها المتلقي ، على أن يمتاز أسلوب الأديب بخصوصيته ، والحذر كل الحذر من استعارة أساليب الآخرين أو التمويه لإخفاء سرقتها ، فعظمة النص أنه يرينا خصوصيته ، فكأننا نقرأ الأشياء التي نعرفها للمرة الأولى ، كل أديب لن يكون أديباً ناجحاً مالم يعثر على سر الكتابة ، والمفتاح الذي يفك مغالق الجمال . ولن يكون الكلام أدباً مالم يتوفر على أسباب الأدبية ، ولن تكون الأدبية سيدة العملية دون أن تتماهى مع الشعرية !!

الأدبية والشعرية :

أ ـ الأدبية مصطلح جديد وفق حدوده التي وصلتنا ، ويعني الصفة التي يكتسبها النص المتحول (كسر الواو المشددة) من حالة السكون واللا أدب إلى الأدب ؛ « لأن الأدبية إذا توافرت في نص ما ، اغتدى أدبياً »[12] .

ب ـ الشعرية : هي بؤرة الجمال في النص أو المشهد أو المسمع أو الملمس ، فالشعرية هي (السحر) الذي يحيل الكلام الاعتيادي استثنائياً ، والهم المألوف جديداً ، فهي توحّد بيننا وبين النص ، فكأننا ونحن نقرأ النص منتجوه ، ونحن نشهد المنظر صانعوه ، وكل شعر محروم من الشعرية افتقد سيماء جنسه ، وحلّ في النثرية ، وإن قالت قشرته أو بنيته الخارجية غير ذلك ، والمهم جداً في هذا الميدان هو أن الشعرية غير مقصورة على ظاهرة واحدة أو سمة واحدة ، وإنما هي كل الظواهر ومزاج السمات ، وعليه فالشعرية ليست قرينة الشعر حسب ، فربما امتدت إلى اللوحة والقطعة الموسيقية وعروض الأزياء ، والعمارة ، ونبرة الصوت ، وملامح الوجه ، وحركة اليد .. إنها بؤرة الجمال في الموضوع .. رب شعر بلا شعرية ، مثل ألفية ابن مالك أو أي قصيدة

---

(12) مرتاض . د . عبد الملك . شعرية القصيدة قصيدة القراءة ص 18 طب دار المنتخب العربي . بيروت 1994 .

وهبة . مجدي وكامل المهندس . معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب قارن : literary ص 22 طب مكتبة لبنان 1984 .

حذقت النظم ، ولم تحذق الجمال .. ورب شعرية بلا شعر .. مثل اللوحة الجميلة والموسيقى العذبة والعمارة المدهشة ... إلخ .

ثانياً : عربي وأعرابي

يعاني دارس الأدب والحضارة قبل الإسلام معضلة كبرى سببها الخلط المفهومي بين دلالتي : عربي/أعرابي ، الأمر الذي أوقع كثيراً من الدارسين في أوهام علمية موجعة ، فتارة يلصق الدارسون صفات الأعرابي على العربي وأخرى يفعلون العكس ! وفي الحالين ثمة نأي عن المنطق العلمي ، ولعلنا نستحضر آراء ابن خلدون (ت 808 هـ) في (مقدمته) الشهيرة ، تلك الآراء الحادة التي ألصقت بالعرب صفات الأعراب ، وأقامت عليهم عدداً من الدعاوى الباطلة ! فابن خلدون يتّهم العرب بالتوحش وكراهية العمران ، والاستئثار بالسلطة ، وهو يقصد الأعراب[13] ومثل هذا الوهم المعيب وقع فيه طه حسين رحمه الله فقد استكثر على العرب أنهم ذوو لغة ناضجة ، وقصائد مكتملة ، وإيمان بالله (وهم البدو الأميون) ! وهو الآخر يعني باتهاماته الأعراب ، ولعل هذا الخلط بين جلافة الأعراب وحصافة العرب هو واحد من الأسباب المهمة التي حدت بطه حسين وهو العالم المجتهد إلى العصبية العمياء ، وتبني أطروحات أستاذه صاموئيل مارجليوت المبنية على الشك بالشعر الجاهلي ، وإلغاء قيمته الجمالية والمعرفية[14] ومثل هذا الخلط (المريب) وقع فيه أيضاً فيليب حتي حين قسا على العرب ورسم لهم صورة مقرفة ، وفي لا وعيه (وربما وعيه) صورة الأعراب[15] ، وقد

---

(13) ابن خلدون . أبو زيد عبد الرحمن بن محمد ت 808 . مقدمة ابن خلدون ص 149 الفصل 26 طب مؤسسة الأعلمي ـ بيروت .

(14) ابن علي . حسن . الشاعر العراقي عبد الإله الصائغ يقول : طه حسين اعتسف الشعر الجاهلي دون وعي ـ جريدة الأخبار التونسية في 1992/1/11 . وانظر : حسين . د . طه . في الشعر الجاهلي ص 19 . طب دار المعارف . سوسة تونس 1997 (مصورة عن دار الكتب المصرية) .

(15) حتي . فيليب . العرب تاريخ موجز ص 16ـ22 . طب دار العلم للملايين . بيروت 1946 وانظر موقفنا من آرائه المفصلة ص 44 . كتابنا الخطاب الشعري الحداثوي والصورة الفنية .

تنبه أستاذنا الدكتور يحي الجبوري إلى الضرر الفادح الذي يلحق المروءة العلمية حين يخلط الآخرون عن عمد ، أو دون عمد ، عن سوء نيّة أو طيبها بين العرب والأعراب[16] وخلاصة القول : إن الجاهليين كانوا فئتين ، الأولى هم أهل المدن (المدريون) ، والأخرى هم أهل الصحراء (الوبريون) أما أهل الريف فهم (البرزخ) بين الحاضرة والبادية ، إلا أنهم أقرب إلى المدن ، وكان البدو يعيبون الحضر بأنهم يزرعون ويأكلون البقول ! والحضر يعيبون البدو بأنهم يرعون الغيث ، ويأكلون الضب واليربوع !! والذي لا مراء فيه هو هذه الوشائج التي تصل بين العرب والأعراب فليس هناك قطيعة في الأرحام والمجاورة وإنما القطيعة أو شبهها في الأخلاق والتقاليد ، المدن كانت مراكز تجارية ودينية وتعليمية وترفيهية ، وهم (أهل المدن) ميّالون للنظام والطاعة لأولي الأمر ، فصنع الاستقرار حضارات عملاقة في جنوب الجزيرة تمركزت حول اليمن ووسط الجزيرة .. دار الندوة ، وكندة وشمالها ، دومة الجندل ، والمناذرة ، والغساسنة .. وقد عرفت القصور العجائبية بطوابقها الكثيرة ، وعرفت السدود ، والمسالح (مقرات الجيش) والديماسات (أبنية تحت الأرض .. تستعمل مخابئ وسجوناً) كما عرفت الأسواق المحصنة المتطوّرة وطرق المواصلات المحميّة والبريد السريع والنقود ، ولنا أن نتذكر مصانع إنتاج الخمور في منفوحة وعانة وإذرعات وإنتاج السلاح في صنعاء وردينة والخط ، وإنتاج الحرير في الموصل ودمشق (موسوليتي ، دمقس) والسفن التي أوصلها ابن يامن أو (بنيامين) إلى حالة من التطور .. فضلاً عن الحمامات البخارية العامة ، وحوانيت اللهو ، ونوادي المتعة التي تستضيف الغواني والمغنيات من كابل وأنقره والحبشة .. قال الأعشى :

ولقد شربت الراح تركض حولنا ترك وكابل

---

(16) الجبوري . د . يحي . الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه ص 17ـ25 . طب جامعة قاريونس بنغازي ليبيا . الطبعة السادسة 1993 .

لم يكن العرب (أهل المدن) متخلفين أو متوحشين ، بل كانوا أصحاب حضارة انعكست على حياتهم اليومية ، وبخاصة الجانب الإداري الذي ينظّم حياة المجتمع و (كان عرب شبه الجزيرة العربية ينقسمون إلى فريقين : اليمنيون أو القحطانيون أو اليقطانيون من جانب والعدنانيون أو النزاريون أو المصريون أو المعديون من جانب آخر .. وبين هذين الفريقين يدور التاريخ العربي والإسلامي في صراع مستمر ، وتنافس متصل ، وتنازع متبادل . وكان القحطانيون أو اليمنيون يقيمون أصلاً في الجنوب في أرض اليمن أكثر مناطق شبه الجزيرة خصوبة وخضرة وازدهاراً .. وفيها أقيمت عدة ممالك منها مملكة معين ومملكة حضرموت التي كانت عاصمتها مدينة سبأ الشهيرة .. وكان العدنانيون المكيون يقيمون حول مكة حتى اجتمع الأمر إلى قبيلة قريش بزعامة قصي بن كلاب ، فاستقرت في مكة ذاتها ، وأقامت نظاماً سياسياً سيلي بيانه وعندما انهار سد مأرب بعد سيل العرم من (447-450 م) ثم (532 م) خربت مملكة سبأ نسبة إلى عاصمتها فتركها كثير من القحطانيين وهاجروا إلى الشمال ، فمكثت قبيلة منهم تدعى بني خزاعة في مكة فترة ثم تركتها واستقر بعض بني قحطان في المدينة (يثرب) وانتهوا إلى قبيلتي الأوس والخزرج ، كما ذهب بعضهم إلى الشمال الأقصى في سورية والبعض الآخر إلى الشمال الأردني في بلاد العرب ، وفي هذه المنطقة الأخيرة تكونت إمارة ومملكة الغساسنة التي كانت توالي وتخضع للروم البيزنطيين - الإمبراطورية الرومانية الشرقية -، وكان البيزنطيون يركنون إلى هذه الإمارة لتحول بينهم وبين غارات البدو (الأعراب) بينما كان الفرس يعولون في الوقت نفسه على مملكة الحيرة ، وهذه تقع في منطقة العراق الحالية فتقف مثل سد منيع بين الإمبراطورية الفارسية والبدو الأعراب ، وعلى هذا الأساس فقد تم تقييمان لعرب شبه الجزيرة ، ففي التقييم الأول : عرب عاربة وهي قبائل عاد وثمود ، وعرب متعربة وهم اليمنيون القحطانيون ويعدون عرباً من الدرجة الثانية ، والعرب العدنانيون يعتبرون عرباً من الدرجة الثالثة !! وكان العرب يميزون بعضهم عن بعض فيضع عرب اليمن

القحطانيون عمائم صفراء ويرفعون رايات صفر ، بينما يضع عرب عدنان المكيون عمائم حمر ويرفعون رايات حمر ، وكان كل فريق يرفع راياته أبداً حين تكون الحروب مستعرة ، ومنذ قصي بن كلاب استقرت قريش في مكة ، وكونت عصبة ، وكانت من قبل تدعى قبيلة النضر بن كنانة ، وقد أنشأ قصي هذا داراً سميت دار الندوة كانت مركز النشاط السياسي والاجتماعي والقبلي ، وصار لقريش نظام سياسي وإداري ينقسم إلى الحجابة ، والسقاية ، والرفادة ، والندوة ، واللواء ، والقيادة ، والمشورة ، والأشناق ، والقبة ، والسفارة ، والأيسار ، والأزلام ، والحكومة .

وكانت قبيلة قريش قد انقسمت إلى فرعين بطنين كبيرين وثمانية فروع (بطون) أخرى أقل شأناً والفرعان الكبيران هما : بنو هاشم وبنو أمية ـ عبد شمس ـ .

أما الفروع الأخرى .. فهي نوفل ، وعبد الدار ، وأسد ، ومخزوم ، وعدي ، وجمح ، وسهم .

ونظراً للتنافس الشديد على الرياسة أو الملك أو الإمارة بين الفرعين الكبيرين بني هاشم وبني أمية وعدم قدرة أحدهما على السيطرة على الآخر وعلى من حواليه ليصبح هو صاحب السيادة والملك .. لذلك فقد قسمت قريش نظامها السياسي والإداري بين جميع فروعها على أساس : أن من تتاح له الفرصة في مستقبل الأيام من أحد الفرعين ليسود الكل ويجمع الكل تحت زعامته .

والحجابة : هي سدانة البيت الحرام ، أي ولاية مفتاح بيت الله (الكعبة) ، وكانت لبني عبد الدار وانتهت في عهد النبي ﷺ إلى عثمان بن طلحة .

والسقاية : هي سقي الحجاج كلهم بالماء العذب ونثر التمر والزبيب والشراب لهم وكانت لبني هاشم .

والرفادة : هي إطعام الطعام لسائر الحجاج إذ كانت تمدّ لهم الأسمطة في أيام الحج ، وكانت لبني نوفل .

والنـدوة : هي الإشراف على دار المشورة التي تجتمع فيهـا قريش وغيرهم من العرب من أهل الرياسة ممن بلغ من العمر أربعين عاماً ، ولم يكن يعقـد نكاح زواج لقرشي إلا فيها ، وكانت الندوة في بني عبـد الـدار ، والأعنـة : خيول الحرب وكانت لبني مخزوم ، ومنهم خالد بن الوليد ، والسفارة : هي الإصلاح بين النـاس والتوسـط بين القبـائل أو بين البطون وكانت في بني عدي ، ومنهم عمر بن الخطـاب (رضي الله عنـه) والأيسـار والأزلام : وهي ضرب الميسر وإخراج الأزلام ، وكانت لبني جمح .

والحكومة : هي القضـاء بين النـاس والفصل في الخصومـات بـالاحتكام والإشراف على الأموال المحجرة (الموقوفة على المعبودات) وكانت لبني سهم .

واللـواء : كان رايـة معقـودة على رمـح ينصب عـلامـة على اجتماع الجيش لحرب الأعداء وكان اسم الراية (العقاب) وكان اللواء لبني أمية .

والقيادة : هي إمارة الجيش ورياسة الحرب ، وكانت تعطى لمن ينـدب لـذلـك ، وإلا فلبني أمية حيث كان اللواء . والمشورة : هي جمع الشورى ، وكانت لبني أسد .

والإشناق : هي فرض الـديـات والمغـارم وكانت لبني تميم ومنهم أبو بكر الصـديق (رضي الله عنـه) . والقبـة : وهي مـا تودع فيـه تجهيزات الجيش ، وهـذا التوزيـع في الاختصاصات بين فروع قبيلة قريش كان في حقيقتـه للسلطـات بينهم ، فـالعرب قـد عرفوا وحققوا قدراً من التنظيم الإداري في ذلك العهد الموغل بالقدم) إ . هـ[17] .

والعرب المهاجرون بعد خراب سد مأرب وتبدّل المناخ وانكفاء الطبيعـة وجفـاف الجنائن المنتشرة في شبه الجزيرة فقد أسسوا حضارات مهمـة ، وحققوا معجزات عمرانيـة من نحو الجنائن المعلقة التي ابتناها (نبوخذ نصر) لزوجه الكرديـة الحسنـاء (أمويت)

(17) الشرجبي : عبدة سلام . من شريط ذكريات التـاريخ العربي ص 3 جريـدة الجمهوريـة اليمنيـة صفحـة (كتـابـات) . العـدد 10736 الخميس 13 رمضـان 1419 هـ الموافـق 1998/12/31 م مـلاحظـة كتب الأستاذ الشرجبي هذه الفقرة المطوّلة تحية لكتاب الأستاذ محمد سعيد العشماوي .

ابنة ملك دولة (ميديا) المحصورة بين الشمال الغربي لفارس والشمال الشرقي للعراق ، ومن نحو تسقيف نهر الفرات بالخشب والقرميد عهد زنوبيا ، ووضع أرقام تشبه الطلاسم لفتح أبواب حصن الحضر ، بحيث تعجز أقوى العقول والأذرع عن فتحها ، وبناء قصر الخورنق ، بطوابقه الكثيرة على صخرة لا يزيد ارتفاعها ومحيطها عن ثلاثة أشبار !!

أما الأعراب .. فهم عالم مختلف يأنسون للصحراء ويستوحشون من المدينة قارن الشنفرى :

أقيموا بني أميّ صدور مطيّكم ... فإني إلى قوم سواكم لأميل
ولي دونكم أهلون سيدٌ عملّس ... وأرقط ذهلول وعرفاء جيأل
هم الأهل لا مستودع السر ذائع ... لديهم ولا الجاني بما جرّ يُسأل

وحياتهم ليست مرتبة أو منظمة فهم إما غاز ، وإما غزي وكانوا إلى هذا يغيرون على المدن الآمنة ، وكأنّ مالها وحلالها ونساءها ملك لمن يستولي عليه بأي طريقة ، وقد مرَّ بنا أن دولة فارس اتقت شر أعراب وسط الجزيرة وجنوبها بعرب المناذرة ، ودولة الروم اتقت شر أعراب شمال الجزيرة بعرب الغساسنة .. وحين اكتشف كسرى (أن العرق دساس) جعل العربي ينتصر لأخيه الأعرابي في الشدائد والضنك وبخاصة إذا جاء ذلك من الأجنبي أمر بسجن النعمان ثم قتله ، ومثل هذا حدث لآل جفنة مع الروم ! فالتمييز بين مفهومي (عربي ، أعرابي) أمر يدركه الجاهلي تماماً !! وحين سمع الشاعر الفارس عامر بن الطفيل سيد بني عامر بنبأ انتشار الإسلام بين العرب والأعراب قابل النبي (ﷺ) ليساومه على اقتسام الملك مقابل دخوله وبني عامر في الإسلام ، ومما قاله عامر للنبي ﷺ : أبايعك على أن تجعل لي حكم الوبر ، وأجعل لك حكم المدر فغضب النبي الأمين ﷺ وطرده شرّ طردة ، وقال : « اللهم اكفني شر عامر واهدِ بني عامر » !!

ولنلاحظ أيضاً (إيثار) العربي عروة بن الورد :

أقسم جسمي في جســـوم كثيرة وأحسو قراح الماء والماء بـارد

قبالة (أثرة) الأعرابي عمرو بن كلثوم :

ونشرب إن وردنـا المـاء صفـوا ويشرب غيرنـا كـدراً وطينـا

فالخلط بين عرب وأعراب كان وراء كثير من الأوهام العلمية والقومية والاجتماعية التي أساءت إلى نقاء الأمة العربية وأساءت إلى حركة المجتمع ، وكان الخلط مسوغاً لكثير من المجازر (التاريخية الكبرى) التي ذهب ضحيتها المتدينون الذين يرفضون عودة التاريخ إلى وراء ، وكان هذا الخلط وراء عمليات سرقة السلطة من الجماهير ، فالأعرابي يطلب ثأراً في لا وعيه من العربي منذ الجاهلية الأولى وحتى جاهليتنا الثانية هو لن يغفر للعربي استقراره وأمنه ويسره واحتقاره له حين يزور المدينة ! ولقد ميّز القرآن الكريم العرب من الأعراب ، وقد خاطب العرب بقوله تعالى : ﴿ كنتم خير أمة أُخرجت للنّاس تأمرونَ بالمعروفِ وتنهَونَ عنِ المنكرِ ﴾ [آل عمران : 115/3] ثم قارن ﴿ وهذا لسانٌ عربيٌ مبينٌ ﴾ [النحل : 103/16] .

و ﴿ أنزلناهُ قُرآناً عربياً ﴾ [طه : 113/20] و﴿ قرآناً عربياً غيرَ ذي عِوَجٍ ﴾ [الزمر : 28/39] .

أما في الجانب الآخر فإن القرآن الكريم ينص على أن : ﴿ الأعرابُ أشَدُّ كفراً ونفاقاً وأجدرُ ألاّ يعلموا حدودَ ما أنزلَ اللهُ على رسوله واللهُ عليمٌ حكيمٌ ﴾ [التوبة : 97/9] .

و ﴿ قالتِ الأعرابُ آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولُوا أسلمنا ولّما يدخلِ الإيمانُ في قلوبكم ﴾ [الحجرات : 14/49] .

و ﴿ منَ الأعرابِ من يتخذ ما ينفق مَغرماً ويتربص بكم الدوائر ، عليهم دائرةُ السَّوْء واللهُ سميعٌ عليمٌ ﴾ [التوبة : 98/9] .

إن (عرب ، أعراب) مفردتان ثمّرهما الاصطلاح كما مرّ بنا ، وبعدهما اللغوي لا يمد الدارس بالمعلومات التي تضيء عتمات السؤال ، فالعرب (ربما) وردتنا منذ القديم محورة عن (آربا) النبطية أو (عروبتا) السريانية والألف بمكان (الـ) التعريف في اللغة العربية ، ويرى العلامة طه باقر أن (عرب) أو (عربو) مفردتان مترادفتان تشيران إلى العرب قبل ميلاد المسيح بعشرات القرون[18] وقد وردت حالات محيّرة في نقوش مسندية قديمة جداً اكتشفت أخيراً خلطت عرب بـ أعراب (عبرن ، أعربن)[18] ، وأول ذكر لكلمة عرب بمعنار القار جاء في النقش (جام/560) والعادة في ذلك أن النقوش المسندية القديمة تميل إلى إطلاق عرب محل أعراب أو العكس ![19] .

ثالثاً : جاهلي قبل إسلامي

تثير مادة (جهل) في المعجمات العربية معضلات مختلفة ! فهي مشابة بعدد من المعاني التي لا يتضح معنى بعضها بسوى الاقتران ، واستقرار المفردة داخل الجملة فضلاً عن التجريد أو الزيادة ، وقولنا : جهلت (كسر الهاء) القِدْرُ جَهْلاً (تسكين الهاء) يعني اشتد غليانها ، والمعنى نقيض تحلّمت ! وجهلتِ الصحراءُ صارت متشابهة الأنحاء لا علامة فيها يستدل بها المسافر ؛ وجهلت الريح الغصن حرّكته فاضطرب ، والجاهل هو الأسد والجيهل خشبة يحرّك بها الجمر ، والصخرة العظيمة ، والمجهال من النوق : التي تخفّ في سيرها ؛ والمجهولة من النوق التي لا يدركها الحمل .. (لسان العرب ـ جهل)

---

(18) باقر . طه . مقدمة في أدب العراق القديم 38 طب دار الحرية بغداد 1976 .

(19) الإرياني ، مطهر علي . نقوش مسندية وتعليقات . نقش 12 فقرة 1 + 2 ص 102 ثم 104 ثم 106 طب مركز الدراسات والبحوث اليمني 1990 .

(19) المصدر نفسه ص 107 .

ويتهيأ لنا أن دلالة الجهل التي تعني السفه والعصبية والحمق والغضب السريع وما يدور في أنساقها إنما هي مضمون مستفاد أو مستعار من معنى الوهلة الأولى إلى معنى الوهلة الثانية ، جاء في الذكر الحكيم :

أ ـ ﴿ قالوا أتتخذنا هزواً قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين ﴾ [البقرة : 67/2] .

ب ـ ﴿ إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ﴾ [الحجرات : 6/49] .

جـ ـ ﴿ خذ العفو وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين ﴾ [الأعراف : 199/7] .

وقرّ في الذاكرة الاصطلاحية أن (الجاهلية) مقتصرة زمنياً على الوقت الذي سبق الإسلام ، وأخلاقياً هي القيم التي سادت عهد ذاك ، وغالباً ما يكون المقصود بالقيم هو السفه والعصبية القبلية ، والحمق ، وسرعة الغضب ، والمجون ، والوثنية ، جاء في الذكر العزيز :

أ ـ ﴿ وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى ﴾ [الأحزاب : 33/33] .

ب ـ ﴿ أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ﴾ [المائدة : 50/5] .

جـ ـ ﴿ إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية ﴾ [الفتح : 26/48] .

ثم تورد الأحاديث النبوية الشريفة مادة (جهل) وفق مستوييها الأخلاقي والزمني من نحو : « إنكم لتجهلون وتبخلون وتجبنون » وفي حديث الإفك « ولكن اجتهلته الحمية » . وفي حديث ابن عباس « من استجهل مؤمناً فعليه إثمه »[20] .

---

(20) ابن الأثير . مجد الدين المبارك بن محمد ت 606 هـ . النهاية في غريب الحديث والأثر 322/1 . تح طاهر الزاوي وصاحبه . طب إحياء الكتب العربية مصر 1963 .

وتـذكر الأخبـار أن أعرابيـاً استفزّ أبـا ذر (رضي الله عنـه) وأمعن في استفزازه ، فعيّره أبو ذر بأمّه ! وحين بلغ النبي ﷺ ذلك قال لأبي ذر معاتباً : « إنك امرؤ فيـك جاهلية »[21] .

والنبي ﷺ يذكر في أحاديثه الشريفة لفظة الجاهلية مقترنة بـأزمـان العرب قبل الإسلام وطبائعهم وتقاليـدهم ! قـارن على سبيل المثـال بـاب تحريم ضرب الخـدود وشق الجيوب والدعاء بدعوى الجاهلية[22] .

أما في الشعر الجاهلي فقد وردت (جهل) كثيراً وفق المستوى اللغوي :

(الأعشى) :

وقـورٌ إذا مـا الجهـل أعجب أهلـه ومن خير أخـلاق الرجـال وقـورها

(عنترة) :

هـلاّ سـألت الخيـل يـا ابنـة مـالـك إن كنتِ جـاهلـة بمـا لم تعلمي[23]

والجـاهليـة مصطلـح إسـلامي لم يتـداولـه الجـاهليـون إطـلاقـاً !! بينـا وردت (جاهلية) في شعر بعض المخضرمين وفق دلالتها الاصطلاحية بتأثيرات إسلامية ، مثال ذلك ما ورد في شعر تميم بن مقبل بعد أن فُرّق بينه وبين زوج أبيه في الإسلام وكان قـد تزوجها على شعيرة جاهلية !!

هل عاشق نال من دهماء حاجته في الجاهليـة قبل الـدين مرجوم

---

(21) نفسه 192/1 .

(22) مسلم . صحيح مسلم 99/1 ثم القسامة في الجاهلية 54/5 (م . س) وانظر النهايـة 322/1 (م . س) . والأعشى . ديوانه ق 82 ب 15 .

(23) ابن شداد . عنترة . شرح ديوانه ق 1 . ب 29 . تح سيف الدين الكاتب وأحمد عصام الكاتب طب دار مكتبة الحياة ـ بيروت .

(24) ابن مقبل . تميم . ديوانه ق 35 ب 3 ص 267 ، تح عزة حسن . طب إحياء التراث . دمشق 1962 .

وقد لاحظنا في دراسات أقمناها قبلاً أن وعي القبسلاميين بالزمن كان على درجة من النضج افتقدتها معظم شعوب ذلك الزمان ، وكانت للعرب خبرة في الأنواء وتعبير الرؤيا والبيطرة والقيافة والتجارة والتاريخ والأنساب[25] وربما أوهم مصطلح (جاهلية) عدداً من الباحثين فظنوا أن العرب يعمهون في دامس من ظلام الجهل بكل أسباب المعرفة[26] بيد أن النظر الموضوعي أسهم في إزالة الغبار الذي غلّف هذا المصطلح[27] فتوصل (فيليب حتي) إلى أن مفهوم الجاهلية منصرف إلى الزمن الذي عاشته العرب منذ العصور القديمة حتى مبعث النبي ﷺ[28] والمصطلح كما أسسنا مصطلح إسلامي يحيل إلى أن العرب لم تكن ناعمة بزمن الإسلام وإشراقات تعاليمه وأنهم انحدروا إلى هوّة الشرك فضلاً عن السفه والحمق والعصبية[29] وليس هناك ما يسوّغ انصراف هذا المصطلح إلى توحّش العرب وجهلهم بعلوم زمانهم ! وكان الرواة علماء زمانهم حتى أن راوية الأعشى كان يحاور صاحبه في جماليات شعره ، وهو (الراوية) إلى هذا عالم بالإبل وطبّها خبير بأيام العرب والشعر[30] .

وكان الأعشى خبيراً بالبلدان التي زارها (فارس ، الروم ، إفريقية ، القدس) ضليعاً بتاريخ الأمم القديمة ! وفي شعره إشارات إلى (المهارق ، الزبر ، الكتابة ،

---

(25) الصائغ . د . عبد الإله . الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام ص 15 . انظر هوامش الصفحة (م . س) .

(26) نفسه . انظر هوامش ص 13 .

(27) علي . د . جواد . المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام 37/8 . طب دار العلم للملايين بيروت 1971 .

(28) حتّي . فيليب . تاريخ العرب (المطوّل 17/1) . طب دار الكشاف . بيروت 1965 .

(29) الآلوسي . محمود شكري بن عبد الله ت 1342 هـ . بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب 15/1 ، مط الرحمانية مصر 1924 .

(30) ابن قتيبة . الشعر والشعراء 181/1 (م . س) وانظر . الأسد . ناصر الدين . مصادر الأدب الجاهلي ص 240 ، دار الجيل ـ بيروت 1988 .

الأسطار)[31] وذكر ابن حبيب أن الأعشى كان يقرأ التوراة والإنجيل وأنه علم بأمر الدين الجديد من خلالها[32] .. قارن إشارات الأعشى :

أ- ربي كريم لا يكـــدّر نعمـــة وإذا يناشد بالمهارق أنشدا
ب- أو لن تري في الـــزبربر سنـــة بحسن كتابهـــا
جـ- لميثـــاء دار عفـــا رسمهـــا فمـــا إن تبيّن أسطارهـــا
د- يـــا من يرى ريمـــان أمـ ـسى خاوياً خرباً كعابه
أمسى الثعـــالب أهلـــه بعـــد الـــذين همُ مـــآبـــه
بكرت عليـــه الفرس بعـ ـد الحبش حتى هدّ بابه
هـ- شبـــاب وشيب وافتقـــار وثروة فللـــه هـــذا الـــدهر كيف ترددا
نبي يرى مـــا لا ترون وذكره أغـــار لعمري في البلاد وأنجـــدا
إذا أنت لم ترحـــل بـــزاد من التقى ولاقيت بعد الموت من قـــد تـــزودا
نـــدمتَ على أن لا تكـــون كمثلـــه وأنـــك لم ترصـــد لمـــا كان أرصـــدا

والكتابة والقراءة والتأمل في الوجود مدخل رئيس للمعرفة ، ولم يكن الأعشى مثالاً وحيداً في ذلك .. فهناك الكثير غيره قارن معاوية بن مالك (أصمعية رقم 76) :

من الأجزاع أسفل من نميل كما رجعت بالقلم الكتابا

ثم قارن لبيد في معلقته وهو يشير إلى الوحي (الكتابة) :

فمدافع الريان عرّى رسمها خلقاً كما ضمن الوحي سلامها

وقد نجم الكثير من العرب الميالين إلى إحقاق الحق والوقوف بوجه الظلم ، ونُسب إلى النبي ﷺ قوله : « خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام » .

(31) الصائغ . د . عبد الإله . الصورة الفنّية معياراً نقدياً ص 41 (م . س) .
(32) البغدادي . عبد القاهر بن عمر ت 1093 هـ . خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب 177/1 . تح عبد السّلام محمد هارون . طب دار الكتاب العربي . القاهرة 1967 .

وقـد أورد ابن حبيب (ت 245 هـ) أسماء من حرّمـوا على أنفسهم شرب الخمرة ، واقتراف الفاحشة قبل الإسلام ، وبلغنا أن بعض أصحاب رسول الله ﷺ كان يتحـدّث في المسجد بأخبار الجاهلية ، وقال النبي ﷺ لحسان بن ثـابت : « أنشـدني قصيـدة من شعر الجاهلية فإن الله تعالى قد وضع عني آثامها في شعرها وروايته » .

وقالت عائشـة (رضي الله عنـه) كان رسول الله ﷺ كثيراً مـا يقول (أبيـاتـك) فأقول :

أرفع ضعيفك لا يحرْ بـك ضعفـه يوماً فتـدركـه العواقب قـد نمى
يجزيك أو يثني عليك وإن من أثنى عليك بمـا فعلت فقـد جزى

ومرّ رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر (رضي الله عنه) برجل يقول في أزقة مكة :

يـا أيهـا الرجـل المحـوّل رحلـه هـلا نـزلت بـآل عبـد الـدار

فقال النبي ﷺ : « يا أبا بكر ! أهكـذا قـال الشـاعر ؟ » قـال : لا يـا رسول الله ولكنه قال :

يـا أيهـا الرجـل المحـوّل رحلـه هـلا سـألت عن آل عبـد منـاف

فقال رسول الله ﷺ : « هكذا كنا نسمعها »[33] .

ويمكن رد التطرف ضد العرب قبل الإسلام ونعتهم بالتوحّش والجهل إلى عـدد من الأسباب .

أولها : الخلط بين خصائص المجتمع العربي والمجتمع الأعرابي .

وثـانيهما : الحرص على بيـان أثر الإسلام في المجتمع العربي ، وقـد فسّر قتـادة الآيـة

(33) الجرجاني . عبد القاهر ت 471 . دلائل الإعجاز 70 ـ 74 تح د . محمد رضوان الداية ود . فايز الدايـة طب مكتبة سعد الدين دمشق (طبعة ثانية 1987) .

الكريمة : ﴿ وكنتم على شَفا حفرة من النار فأنقذكم منها ﴾ [آل عمران : 103/3] بقوله إن العربي قبل الإسلام كان (أذلَّ الناس ذلاً وأشقاهم عيشاً)[34] والسبب الآخر عنصري ، فالعناصر غير العربية التي أسلمت ولاقت عنتاً من بعض العرب (الذين يظنون أن الدين الإسلامي خاص بالعرب) حقدت على كل العرب ، وتطرفت في الكراهية فعميت عيونها عن مزايا العرب الخيّرة ، وأطلق الدارسون على أولئك أهل التسوية مرة والشعوبية أخرى[35] .

وينبغي التأكيد على أن كلامنا هذا ليس دفاعاً عن عقائد الجاهلية وقد محقها الإسلام ، ولا مصلحة لعربي مسلم أو أجنبي منصف من غسل سمعة العقائد الدينية لعرب الجاهلية ، فقد ثبت ضلالهم ومكرهم الذي حاق بهم ، وإنما كان منهجنا الإشارة إلى الجوانب الحضارية فحسب .

أما الجاهلية من الناحية الفنية فهي القواعد والأساليب التي أسسها النص الأدبي (الشعري والنثري) زمنذاك . وقد سميت هذه القواعد وتلك الأساليب (عمود الشعر) من جهة استقراء الشعر الجاهلي ! قال المرزوقي (ت 421 هـ) : « ... الواجب أن يتبيّن ما هو عمود الشعر المعروف عند العرب ليتميّز تليد الصنعة من الطريف ، وقديم نظام القريض من الحديث ، ولتعرف مواطئ أقدام المختارين فيما اختاروه ، ومراسم أقدام المزيفين على ما زيفوه ، ويعلم أيضاً فرق ما بين المصنوع والمطبوع ، وفضيلة الأتيّ السمح على الأبيّ الصعب . إنهم كانوا يحاولون شرف المعنى وصحته ، وجزالة اللفظ واستقامته ، والإصابة في الوصف ، ومن اجتماع هذه الأسباب الثلاثة كثرت سوائر الأمثال ، وشوارد الأبيات ، والمقاربة في التشبيه ، والتحام أجزاء النظم والتئامها على

---

(34) أمين . أحمد . ضحى الإسلام 17/1 وقد اعتمد أمين رأي قتادة وذهب مذهبه طب لجنة التأليف . القاهرة 1964 .

(35) السامرائي . د . عبد الله سلوم . الشعوبية حركة مضادة للإسلام والأمة العربية ص 47 وبعدها . طب دار الحرية بغداد 1980 .

تخير من لذيذ الوزن ، حتى لا منافرة بينهما ، فهذه سبعة أبواب هي عمود الشعر ولكل باب منها عيار)[36] .

أما اصطلاح قبل الإسلام (pre Islamic) فهو اصطلاح محايد لا يشير إلى موقف مماثل أو معاد لذلك العصر ؛ وإنما غاية ما يحيلنا إليه هو الزمن الذي سبق الإسلام بكل ما فيه وله وعليه !! أما الفترة التي يتوفّر عليها المصطلح فهي موضع خلاف أيضاً ، فمن قائل : إنها مئتا عام إلى قائل : إنها مئة وخمسون عاماً قبل البعثة النبوية وثمة من يستبدل ميقات البعثة بفتح مكة[37] ويرى الجاحظ ت 255 أن الشعر الجاهلي حديث الميلاد صغير السن والفترة المهيئة للشعر الجاهلي هي خمسون ومئة عام ثم يحترز فيوصل الرقم إلى مئة عام فقط[38] ومما يحزن الباحث أن الذاكرة التاريخية والحضارية لا تعي أكثر مما حدده الجاحظ أو سواه ! فأين اختفى الأدب الجاهلي المكتوب منذ عشرات القرون ! لقد أسهمت طبيعة الجزيرة العربية القاسية في إتلاف الكثير من النصوص الأدبية ، مع وسائل العرب الغابرين في كتابة أدبهم فكانوا يكتبون على الجلود والعظام وجريد النخل والطين غير المشوي والقماش والحجارة والخشب ! وما زال الأمل عريضاً بأن ينتبه أولوا الأمر العرب فيضعون بين أيدي الآثاريين وعلماء العصر الجاهلي وأدبه أسباب نجاح البحث ، وهي أمنية بأن يوحّد الآثاريون العرب خرائطهم وبرامجهم وجهودهم ومصاريفهم وعندها ستبدأ الفترة الذهبية في الكشف عن كنوز الأدب الجاهلي الغاطسة المغيبة[39] وقد أطلق جرجي زيدان على الفترة التي سبقت العهد الجاهلي الذي حدده الجاحظ (العصر القديم أو الجاهلية الأولى)[40] .

(36) المرزوقي . أبو علي أحمد بن محمد . ت 421 هـ . شرح ديوان الحماسة ص 8 وبعدها تح أحمد أمين وعبد السلام هارون طب لجنة التأليف والنشر . القاهرة 1967 .

(37) الآلوسي . بلوغ الأرب 15/1 (م . س) .

(38) الجاحظ . الحيوان 74/1 تح عبد السلام هارون . طب لجنة التأليف . مصر 1938 .

(39) الإرياني . مطهر علي . نقوش مسندية وتعليقات ص 5 وبعدها انظر المقدمة المهمة التي كتبها د . عبد العزيز المقالح (م . س) .

(40) زيدان . جرجي . تاريخ آداب اللغة العربية 24/1 تقديم د . شوقي ضيف طب دار الهلال مصر وقد =

وربما نحت من (قبل/إسلام) مصطلح (القبسلامية) قياساً على (القروسطية) المنحوتة من (قرون/وسطى) ! ومصطلح أدب قبل الإسلام صالح عند بعض الدارسين للدلالة الفنية أيضاً أسوة بمصطلح أدب جاهلي .

رابعاً : نقد جاهلي

☆ **النقد في اللغة** : تتوفر مادة (نقد) في المعجمات اللغوية على معان مؤتلفة مرة ، مختلفة أخرى ، وللدارس أن يميز ميزانين لهذه المادة : الأول يعتمد نصب القاف في (نقد) والآخر يعتمد كسرها ، ولكل ميزان إحالاته الدلالية !

أ ـ نَقَد ـ فتح القاف ← نقد العيّنة اختبرها ، وميّز جيدها من رديئها ؛ ونقد الطائر الفخ توجّس خيفة منه ، فاختبره حذراً ؛ ونقد الصيرفي الدرهم نقداً وتنقاداً نقرها ، ووضعها بين السبابة والإبهام ، ليمتحن الأصيل والزائف ، والجيد والرديء ؛ ونقدت الأفعى زيداً لدغته ، ونقد عمرو زيداً اختلس النظر نحوه حتى لا يفطن إليه ؛ ونقد فلان الدراهم نقداً وتنقاداً أعطاها للبائع معجلاً ، فالنقد في البيع خلاف النسيئة ، وانتقد ونقد بابها نصر .

ب ـ نَقِد ـ كسر القاف ← نقد الطعام نقداً وقع فيه الفساد ، ونقد الضِّرس أو الحافر تآكل وتكسّر ؛ ونقد الجذع أكلته الأرضة فهو جذع نقِدٌ (كسر القاف) ، ونَقَدٌ (فتحها) ! ونقد الحافر تقشّر ؛ والمعاني (أ ، ب) تكوّن فكرة عن دلالات هذه المادة فإذا تناقد القوم تناقشوا ، والحصيلة هي حالتان : حالة المنقود أن يعرض على الناقد ؛ وحالة الناقد أن يتفحّص المنقود ، ولا بد والحال هذه أن يكون المنقود على صورتين : الأولى صحيحة والأخرى عليلة ؛ وللمتفحّص أن يلاحظ أي الصورتين ميّزت المنقود ، ولم ترد نقد في القرآن الكريم بأي من دلالاتها ، لكنها وردت في الشعر الجاهلي كثيراً وفق مستوياتها اللغوية ، قال الأعشى :

= استحسن د . ضيف مصطلح الجاهلية الأولى لأنه في نظره يحل إشكال غياب النصوص الأدبية القديمة .. انظر هامش ضيف 24/1 .

دراهمنـا كلُّهـا جيـدٌ فـلا تحبِسَنّـا بتنقـادهـا

وقال عبد مناف بن ربع الهذلي :

مـاذا يغيرُ ابنتيْ ربـع عـويلُهما لا ترقـدان ولا بـؤسى لمن رقـدا
كلتاهما أبطنت أحشاءهـا قصباً من بطن حلية لا رطباً ولا نقـدا
إذا تـأوّب نـوحٌ قـامتـا معـه ضرباً أليماً بسبت يلعج الجلَدا[41]

☆ **النقد في الاصطلاح** : يرمي إلى ملاحظة النص وامتحانه ، بما يتهيأ للناقـد من خبرة وذكاء لمعرفـة قيمتـه ، ومـاذا كان مبتكراً أو متـأثراً بنص آخر ، وكان النقـد الأدبي مطلع وهلتـه الأولى ميـالاً إلى التعميم ، لأنـه ثمرة حضـارة الشعر وقتـذاك ، ولم يحصـل النقد على مصطلحه (الواضح) إلا في وقت متأخر نسبيـاً ، وكان النـاقـد الجـاهلي مثل زعيم القبيلـة .. يـوازن بين الأمـور بخبرتـه الخـاصـة ، وربمـا احتكم إلى أصحـاب الخبرة لينصحوه ، أو احتكم إلى ذوقه الخاص أو هواه أو ولائه !! فـالنـاقـد زعيم على نحو مـا أو حـاكم ، وكان نـابغـة ذبيـان ممسكاً بزمـام الشعراء ، يقول رأيـه فيهم فيرضون ، وأطلـق الجاهليون عليه (رأس حكومة الشعر) ، فكانت تضرب لـه خيمـة من الجلـد الأحمر على مسطبة من الرمل محددة بالحجارة المرصوصة بالقار ، تجعلـه في مشهـد يراه فيـه الجمهور الواسع دون عناء !

والناقد الجاهلي كان متسلحـاً بخبرات عصره وهي خبرات تبـدو لنـا الآن سـاذجـة وباهتة ! بيد أنها كانت مهمـة ، وقـد لبّت حـاجـات الأدب غير الاعتيـاديـة ، بصـدق وحميمية ، ولم يستعر النقـد الجـاهلي آليـاتـه من وراء الصحراء أو البحر ! ونشير إلى دور الجمهور ، وهو ناقد على نحو من الأنحاء في مناصرة هذا الشاعر ومجانبة ذاك ، والتعاطف مع الناثر زيد ، والتخلي عن عمرو .. ، مع اعتداد الجمهور بعدد من خبراء الشعر الـذين

(41) المبرد . أبو العبـاس محمـد بن يـزيـد ت 285 هـ . الكامـل 340/2 طب دار المعـارف ـ بيروت 1985 . وقال المبرد (فقدت السّن إذا مسها ائتكال) .

وصفهم الباقلاني بأنهم أندر من الكبريت الأحمر ! ولعل الباقلاني نظر إلى قول سلفه أبي عمرو بن العلاء (انتقاد الشعر أشد من نظمه) !

وقد يعوّل النقد على الإمعان في المعنى والغرض ، وإلا لماذا أجهش علقمة بن علاثة غريم عامر بن الطفيل في المنافرة المشهورة حين وصمه الأعشى قائلاً :

تبيتون في المشتى ملاءً بطونكم وجاراتكم غرثى يبتْنَ خمائصا

ـ إن لدينا الكثير من الإشارات التي تعزز القول بوجود حالات من النقد لم ترق إلى مراقي النظرية ، وكيف حقق الأدب الجاهلي مجده دون نقد ، فالمنطق العلمي يقرر أن لا نماء ولا رقي في أي ركن من أركان الحياة دون نقد ! والأدب حضارة . ولن تنهض حضارة الشعر بمعزل عن نصوص (الشعر ، النثر ، النقد) فضلاً عن مرجعية الجمهور ..

كينونة النقد الجاهلي (هوامش وإشارات)

١ ـ انتقاء علماء الشعر وجمهوره لعدد من القصائد المتميزة ، واعتدادها مثابة لأعلاق النفيسة التي تضعها الحسناء على صدرها ، والقصائد المنتقاة هي التي عرفت بالمعلقات والمذهبات والمطوّلات .. وهذا الانتقاء لا يمكن أن يكون بدوافع بعيدة عن روح النقد فلا بد من وجود مقاييس فنية وجمالية وخبرة تراكمية تناسب حساسية ذلك الزمان ، اتبعت في انتقاء هذه القصائد الطوال التي قيل : إنها كتبت بماء الذهب ، أو علّقت على أستار الكعبة ، واستنسخت ووزّعت على الأسواق المهمة ! جاء في اللسان (طنج) أن النعمان بن المنذر ملك الحيرة كان ينتقي القصائد الجاهلية الجميلة وخاصة التي قيلت في قومه ، ويأمر بكتابتها على الطنوج ، ثم يخزنها في صناديق محكمة ويدفنها في سرداب تحت رحبة قصره الأبيض ! والمرجّح أن النعمان ومستشاريه في هذا الأمر كانوا ذوي نظر في الشعر هيأ لهم انتقاء القصائد ، إذ لا يمكن ـ بالاستدلال العقلي ـ الظن أنهم كانوا ينتقون القصائد دون خبرة متراكمة ..

2 ـ ترأس النابغة الذبياني لحقبة طويلة حكومة الشعر في موسم عكاظ ! وكان التجار والموكلون بنجاح الموسم يصنعون له خيمة كبيرة بهيئة سرادق من الجلد المدبوغ الأحمر ، يقيمونها على مسطبة رملية .. ويمرّ الشعراء بالنابغة حسب الدور وينشدونه مختارات من أشعارهم فيصغي النابغة ومستشاروه للشعراء وهم ينشدون ، ثم يحلل النابغة الشعر أمام جمهور عريض ويعطي رأيهُ فيما يسمع .. وقد احتكم إليه شعراء زمانه ، منهم الأعشى والخنساء وحسان بن ثابت ، وقد يجد محلل النص أن توجيهات النابغة للشعراء ومسوغات أحكامه مما يدخل ضمن المعرفة النقدية في ذلك الزمان ... وربما اعترض الشاعر على أحكام النابغة بسبب المنافسة الشديدة بين الشعراء .. جاء في (الشعر والشعراء 218/1 ترجمة الخنساء) قول ابن قتيبة : « وكان النابغة تضرب له قبة حمراء من أدم بسوق عكاظ ، وتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها ، فأنشده الأعشى ، ثم أنشده حسان ، ثم الشعراء ، ثم جاءت الخنساء السُّلمية ، فأنشدته فقال لها النابغة : والله لولا أن الأعشى أنشدني آنفاً لقلت : إنك أشعر الجن والإنس ، فقال حسان والله لأنا أشعر منك ومن أبيك ومن جدك ، فقبض النابغة على يده ، ثم قال : يا ابن أخي إنك لا تحسن أن تقول مثلي :

(فإنّك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

ثم قال للخنساء أنشدي فأنشدته ، فقال النابغة والله ما رأيت امرأة أشعر منك فقالت له الخنساء : لا والله ولا رجلاً ..) .

3 ـ اعترض جمهور الشعر على وصف امرئ القيس لحصانه بأنه يشبه الجرادة وأن شعراً كثيفاً يغطي وجهه :

وأركب في الروع خَيْفَانةً كسا وجهها سَعَفٌ منتشر

واعتراض أم جندب على وصف زوجها امرئ القيس للفرس لأنه كان يعتسفه

بالسوط والمخرز والركل ، وقد فضلّت فرس علقمة على فرس امرئ القيس ، لأن فرس علقمة أكرم ، فهو يبلغ الشوط دون ركل وسوط ومخرز .

1 ـ امرؤ القيس :

خليليّ مُرّا بي على أمّ جنـــدب ... نُقَضّ لبانات الفؤاد المعذّب
... وقد أغتدي والطير في وكناتها ... وماء الندى يجري على كلّ مذنب
بمنجردٍ قيد الأوابد هيكل ... طِراد الهوادي كلّ شاوٍ مغرّب
فللساقِ ألهوبٌ وللسوط درّة ... وللزجرِ منه وقع أهوج منعب
فأدرك لم يجهد ولم يثن شأوه ... يمرّ كخذروف الوليد المثقّب[42]

٢ ـ علقمة بن عبدة :

ذهبت من الهجرانِ في غير مذهب ... ولم يك حقاً كلّ هذا التجنّب
.. وقد أغتدي والطير في وكناتها ... وماء الندى يجري على كل مذنب
بمنجرد قيد الأوابد لاحه ... طراد الهوادي كلّ شأو مغرّب
فاتبع آثار الشياه بصادق ... حثيث كغيث الرائح المتحلب
فأدركهن ثانياً من عنانه ... يمرّ كمرّ الرائح المتحلّب[43]

(علقمة بن عبدة : وكان ينازع امرأ القيس الشعر ، فقال كل واحد منهما لصاحبه أنا أشعر منك ، فقال علقمة : قد حكمت امرأتك أم جندب بيني وبينك ، فقال رضيت فقالت أم جندب قولاً شعراً تصفان فيه الفرس على روي واحد وقافية واحدة ، فقال امرؤ القيس ، وقال علقمة . فقالت لامرئ القيس : علقمة أشعر منك ، قال : وكيف

---

(42) امرؤ القيس . ديوانه . ق 3 ص 41ـ51 .

(43) علقمة بن عبدة الفحل . شرح ديوانه للأعلم الشنتمري . ق 3 ص 52ـ62 تح د . حنا نصر الحتّي . طب دار الكتاب العربي (بيروت) 1993 .

ذلك ؟ قالت : لأنك جهدت فرسك بسوطك وزجرك فأتعبته بساقك ، وأدرك علقمة طريدته وهو ثان من عنانه لم يضربه بسوط ، ولم يمرِه بساقه ، ولم يزجره)[44] .

4 ـ شاعت بعض النعوت التي عرف بها الشعراء ، وكل نعت كان يحيل إلى ميزة شعرية لدى كل شاعر من نحو : الصنّاجة ، والنابغة ، والخنذيذ ، والمهلهل ، والشعرور ، والمرّقش ، وعويف القوافي ، والكيّس ، والفحل ، والمحكّك .. قال ابن قتيبة في تأويل النّمر بن تولب : « وكان شاعراً جواداً يسمّى الكيّس لحسن شعره » ـ (الشعر والشعراء 195/1) .

وهناك قناعات لدى الجاهليين مثلاً أن امرأ القيس أحسن شاعر بكى واستبكى ، ووصف المرأة . والأعشى أفضل شاعر صور مجالس الأنس والغناء والخمرة . وطرفة أنبه شاعر وصف المجهول . وزهير أكثر الشعراء موعظة وأمثالاً .. وعامر بن الطفيل أوصف للفرس وشياتها . وعنترة أبدع في مشاهد الحرب واعتمالات النفس ! وبلغنا من الحساسية الشعرية مقولات للجاهليين : أغزل بيت قالته العرب ، وأخنث بيت ، وأهجئ بيت ، وأمدح ، وامرؤ القيس شاعر مطبوع ، وزهير شاعر مصنوع ، والأمثلة كثيرة .

5 ـ اتهام عدد من الشعراء بأنهم سرقوا من شعر سلفهم أو مجايليهم ، وقد شاعت مفردات نقدية مثل (السرقة ، الموازنة ، الانتحال ..) قال الأعشى :

فما أنا أم ما انتحالي القوا ... فِ بعد المشيب كفى ذاك عارا
وقيدني الشعر في بيته ... كما قيّد الآسرات الحمارا

والآسرات هي السيور التي يربط بها السّرج ، والحمار القتب ! ولن يستطيع أحد اتهام شاعر كبير مثل الأعشى أو أي شاعر آخر دون أن يكون لديه آلية للنقد والإلمام الكافي بشعر الآخرين لعقد الموازنات ، ومعرفة السابق واللاحق والمبتكر والسارق .

(44) ابن قتيبة . الشعر والشعراء 130/1 وبعدها (م . س) .

وذكر ابن رشيق القيرواني (ت 456 هـ) مصطلحات قريبة من ذلك : مثل (الإصطراف ، والاجتلاب ، والانتحال ، والاهتدام ، والإغارة ، والمرافدة ، والاستلحاق ، والغصب ، والاختلاس ، والملاحظة ، والمشترك ، والمبتدل ، والمستوهب ، والكشف ، والمجدود ...) يقول ابن رشيق مثلاً : « ومما يعد سرقاً وليس بسرق اشتراك اللفظ المتعارف كقول عنترة :

وخيل قد دلفتُ لها بخيلٍ عليها الأُسد تهتصر اهتصارا

وقول الخنساء ترثي أخاها :

وخيل قد دلفت لها بخيل ترى فرسانها مثل الأسود»[45]

6 ـ والنثر الفني ميدان آخر للمنافسة والموازنة ، فكان الجمهور خير حكم بين الناثرين ولنا أن نتذكر سطوع أسماء الخطباء مثل قس بن ساعدة وأكثم بن صيفي وحاجب بن زرارة ، وعلقمة بن علاثة ، والحارث بن ظالم .. فضلاً عن سطوع نجم الحكّاء وتمييز هذا من ذاك .. و « كلام العرب منظوم ومنثور ولكل منهما ثلاث طبقات جيدة ومتوسطة ورديئة »[46] .

ولعل أبرز فن نثري استدعى وجود نقّاد يحكمون لهذا أو لذاك هو فن المنافرة ، وسيأتي ذكره في أطروحة النثر .. جاء في اللسان مادة نفر : « والمنافرة المفاخرة والمحاكمة ، أن يفتخر الرجلان كل واحد منهما على صاحبه ، ثم يحكّما بينهما كفعل علقمة بن علاثة مع عامر بن الطفيل حين تنافرا إلى هدم بن قطبة الفزاري ، والمنفور المغلوب ، والنافر الغالب ، ونفّر الحاكم أحدهما على صاحبه تنفيراً أي قضى عليه بالغلبة .. » .

---

(45) القيرواني . أبو علي الحسن بن رشيق ت 456 . العمدة 280/2 . تح محمد محي الدين عبد الحميد . طب دار الجيل . بيروت . 1972 .

(46) ابن رشيق . العمدة 19/1 .

7 ـ التنافس بين الأجيال الشعرية والاتجاهات والأسر .. وقد يتجلّى التنافس بوساطة الحوار أو السخرية أو الاحتكام أو المصادقة ، كما حصل للربيع بن زياد العبسي وكان أثيراً عند النعمان بن المنذر .. فدخل لبيد على سرادق النعمان فوجد عنده الربيع يأكل معه .. فاستأذنه لبيد في الكلام فأذن له فأنشده قوله :

لا تزجُر الفتيان عن سوء الرّعه
يا ربّ هَيجا هي خير من دَعَه
إذا الفلاةُ أوحشت في المعمعه
يخبرك عن هذا خبير فاسمعه
مهلاً أبيتَ اللعن لا تأكل معه
إن ... من برص ملمّعه[47]

وكما حصل للمتلمّس حين قال :

وقد أتناسى الهمّ عند احتضاره بناج عليه الصّيعرية مكدم

فضحك الصبي (طرفة) وقال له : يا خال لقد استنوقت الجمل ، أي وضعت صفة الصيعرية للجمل ، وهي صفة الناقة ..

وتذكر الأخبار أن زهيراً لم يجز ابنه كعباً في قول الشعر ، وكان يمنعه ، ويعتسفه ضرباً بالسوط إلى أن نجح الولد في الامتحان قال زهير :

(تميد الأرض إمّا بنت عنها) وطلب إلى كعب إتمام البيت .. فقال كعب : (وتمنع جانبيها أن يزولا) ..

وكما حصل من حسان بن ثابت وولده عبد الرحمن .. فحين وصف عبد الرحمن النحلة التي لسعته كأنها ثوب حبرة .. هش الأب وهتف لمن حوله : قال ابني الشعر

(47) العامري . لبيد بن ربيعة . ديوانه ق 33 ص 95 وبعدها . طب دار صادر بيروت (د : ت) .

ورب الكعبة !! وجاء في (الشعر والشعراء 193/1) : « وكان لحسان بنت شاعرة وأرق حسان ذات ليلة فعن له الشعر فقال :

متاريك أذناب الأمور إذا اعترت أخذنا الفروع واجتثثنا أصولها

ثم أجبل فلم يجد شيئاً فقالت له بنته : كأنك قد أجبلت يا أبه ؟ قال : أجل . قالت : فهل لي أن أجيز عنك ؟ قال : وهل عندك ذلك ؟ قالت نعم .. قال فافعلي .. فقالت :

مقاويل بالمعروف خرس عن الخنا كرام يعاطون العشيرة سولها

فقال حسان : لا أقول الشعر ، وأنت حيّة ، قالت : أو أؤمنك ؟ قال : أو تفعلين ؟ قالت : نعم : لا أقول بيت شعر ما دمت حياً .. » ا . هـ .

وكان النابغة معتداً بشعره وحين التقى لبيداً وكان يافعاً استقل شأنه في مجلس النعمان بن المنذر .. فثبت لبيد ، وقرأ له مختارات من شعره فأعجب بها النعمان ، وكذلك النابغة .. فقال النابغة للبيد : « أنت أشعر بني عامر .. بل أشعر كلها .. وهوازن كلها ..) والأمثلة كثيرة مبثوثة في الشعر والشعراء لابن قتيبة ، والأغاني للأصبهاني ، والموشح للمرزباني ، ومعجم الأدباء للحموي ..

8 ـ شاعت في الجاهلية تصنيفات للشعراء .. مثل الشعراء الفرسان ، والصعاليك ، والأمراء ، والوبر ، والمدر ، والغربان . ولكل من هؤلاء سمات تسم أشعارهم .. وشاعت أيضاً مقولات الشعر المطبوع والشعر المصنوع .. ولم يكن زهير ليخجل من صفة : شاعر مصنوع ، وكان يسمّي شعره الحولي المحكّك .. « وقد تسلسلت القريحة الشعرية في كثير من بيوتهم بالتوارث عدة أجيال فالنعمان بن بشير الأنصاري من العريقين في الشعر خلفاً عن سلف . جده شاعر وأبوه وعمه شاعران ، وهو شاعر ، وأولاده شعراء ، وكذلك كعب بن مالك من شعراء الصحابة ، كان أبوه شاعراً وعمه

قيس شاعراً وأبناء كعب ، وأحفاده كلهم شعراء ، بيت أبي سُلمى فقد كان أبوه سُلمى شاعراً ، وابنه زهير المشهور شاعر ، وله خؤولة في الشعر ، خاله بشامة بن الغدير شاعر ، وكان ابناه كعب وبجير شاعرين وجماعة من أبنائها شعراء »[48] فالشعر وإن كان فيما يبدو لصيقاً بالقبائل والعوائل .. بيد أن لكل قبيلة أو عائلة أسلوباً في نظم الشعر وتنميقه .

9 ـ يمتلك الجاهليون خبرة بالشعر ونقده فهو ديوانهم ، وحين انتدبت قريش الوليد بن المغيرة ليلتقط ثغرة في صفات الرسول ﷺ وعلامة ، واقترحوا عليه أن يقول : إنه شاعر . فردّ عليهم الوليد قائلاً : « ما هو بشاعر ، لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهجزه وقريضه ، ومقبوضه ومبسوطه فما هو بالشعر »[49] .

فهم إذن يعرفون الرجز والهزج والقريض والمقبوض والمبسوط ، وهم يعرفون الإقواء ، وهم يقولون : شاعران كبيران يقويان ، وهما بشر بن أبي خازم والنابغة ، أما بشر فقد نبهه أخوه ، وكان أخوه شاعراً عالماً بأصول الشعر ، أما النابغة فكانت منزلته مانعة للآخرين من تنبيهه فدعي إلى سهرة احتفالية في يثرب ، وعنت قبالته مغنية قصيدته :

من آل ميّة رائح أو مغتدي عجلان ذا زاد وغير مزود

وحين بلغت المغنية إلى موضع الإقواء في (الأسود) برفع الموال وكان حقها الجر محاكاة للروي شدّت على مخارج الحروف ، وأشبعت الضمة واواً وترنمت بالواو (اسود و .. و .. و ..) فنهرها النابغة ، وقال لها : ماذا تفعلين يا جارية ؟ فقالت : أنا لم أفعل يا سيدي .. وهذا فعلك وشعرك !! ففطن إلى الإقواء ، وزعم لها أن الأصل هو جرّ (الأسود) على هذا النحو :

(48) زيدان . جرجي . تاريخ آداب اللغة العربية 66/1 (م . س) .

(49) هارون . عبد السلام محمد . تهذيب سيرة ابن هشام . ص 57 . ط مكتبة السنة مصر و 198 (طبعة سادسة) .

البيت مع الإقواء :

زعمِ البـوارحُ أنَّ رحلتنـا غـداً وبـذاك خبرنـا الغراب الأسـودُ

البيت دون إقواء :

زعمِ البـوارح أنَّ رحلتنـا غـداً وبـذاكَ تنعـاب الغرابِ الأسـودِ

وما عاد النابغة إلى الإقواء ثانيـة ! والإقواء هو مغـايرة روي البيت اللاحق لروي البيت السابق في الحركة ..

10 ـ قال الجـاحـظ (ت 255 هـ) : « الشعر صنـاعـة ، وضرب من الصيـاغـة ، وجنس من التصوير » . وقوله : ليس خروجاً عن الفهم الموروث عن الشعر ، فثمة من يزعم : أن الشعر إلهام من الشياطين القـاطنين في وادي عبقر ، ونفر آخر يقول : الشعر نظم وصناعة ! وهـذه آراء نقـديـة تعكس معرفيـة ـ مهما كان حجمهـا ـ لطبيعـة الشعر وتقويمه ..

وشيء من صناعة الشعر أن الشاعر الجاهلي يضع أمامه نموذجاً يحاكيه في الكتابة .. كما حاكى امرؤ القيس سلفه ابن خـذام في الوقوف على الأطلال ، وهو منحى يقترب من مقولة الشفاهية .

عـوجـا على الطلـل المحيـل لأننـا نبكي الـديـار كما بكى ابن خِـذام

والجـاهليون (استنـاداً إلى تصريح الخليـل الفراهيـدي) يـزنـون شعرهم بطريقـة التنعيم ، والتنعيم هو المقابلة بين التفعيلات والإيقاعات بميزان (نعم/لا ..) قارن :

فاعلاتن ← لا نعم لا ( ) ٥١٥١١٥١

مُستفعلن ← لا لا نعم ( ) ٥١١٥١٥١

فعولن ← نعم لا ( ) ٥١٥١١

فعلن ← لا لا ( ) ٥١٥١

فَعِلُنْ ← نَعَمُن (ْ) ٥ ١١١

مَفَاعِيلُنْ ← نعم لا لا (ْ) ٥١٥١١١٥

مُتَفَاعِلُنْ ← (ْ) (نعمن نعم) ٥١١٥١١١

يقول أبو عمرو بن العلاء (ت 154 هـ) : كانت العرب تغني النصب ، والنصب في القوافي أن تسلم القافية من الفساد وتكون تامة البناء ، وتمد أصواتها بالنشيد وتزن الشعر بالغناء[50] قال شاعر جاهلي :

تغنّ في كل شعر أنتَ قائلـه إن الغناء لهذا الشعر مضمار[51]

وكان امرؤ القيس مغنى في إيقاعاته قارن :

أ- توهمت من هند معالم أطلال عفاهن طول الدهر في الزمن الخالي

مرابع من هند خلت ومصائف يصيح بمغناها صدى وعوازف

وغيرها هوج الرياح العواصف وكلّ مسفّ ثم آخر رادف

بأسحم من نوء السّماكين هطّال

ب - يا صحبنا عوجوا ☆ تقف بكم أسج ☆ مهرية دبح ☆ في سيرها معج ☆ طالت بها الرحل[52]

وإذا كان الغناء وما يحتاج إليه من تكرار وترقيص قد حدا بالأعشى أن يقول :

وقد غدوت إلى الحانوت يتبعني شاوٍ مشلّ شلول شلشل شول

فقد حدا بامرئ القيس أيضاً ليقول :

(50) المرزباني ، أبو عبيد الله محمد بن عمران ت 384 هـ . الموشح في مآخذ العلماء على الأدباء ص 47 تح علي محمد البجاوي . طبع لجنة البيان العربي 1965 .

(51) اللسان (غنا) .

(52) امرؤ القيس . ديوانه ص 51 . المعري . أبو العلاء أحمد بن عبد الله ت 449 . رسالة الغفران 143 طبع دار الكتب العلمية . بيروت 1990 .

وسل سل وسل سل ثم سلسل وسل وسل وسل دار سلمى والربوع فكم اسل[53]

11 ـ هناك خبرة لدى الشعراء استدعتهم لأن يختاروا طرائق في تشويق الناس إلى أشعارهم ، فبعضهم يقف على الأطلال باكياً ، وآخر يصف المعارك ، وثالث ينمّق صورة المرأة . فهم يختارون الإيقاعات والمعاني والكلمات التي تناسب كلّ غرض وجمهور .

وهذه خبرة بعملية التوصيل ، وقيل : إن الأعشى كان يغني شعره .. وكان الشعر هاجس العرب في حلهم وترحالهم .. حربهم وسلمهم ، وهم إذا ذهبوا إلى نوادي اللهو .. لم ينسهم ذلك عن الشعر .. وتذكر الأخبار أن الزبرقان بن بدر ، والمخبل السعدي ، وعبدة بن الطبيب ، وعمرو بن الأهتم التقوا في ناد ليليّ جاهلي ، وتناشدوا الشعر ، واختلفوا في أيهم أشعر ؟ ثم احتكموا إلى ربيعة بن حذار الأسدي ، فاستمع طويلاً إلى أمثلة من شعر كل شاعر منهم .. ثم قال : أما ابن الأهتم فشعره برود يمانية ، تطوى وتنشر .

وأما ابن بدر فقد أتى جزوراً قد نحرت فأخذ من أطايبها ، وخلطه بغير ذلك ، فشعره مثل لحم لم ينضج بعد .

وأما السعدي فشعره شهب يلقيها على من يشاء .

وأما ابن الطّبيب فشعره مزادة أحكم خرزها فلا يقطر منها شيء .. إ . هـ .

هذه الحكاية وسواها مما مرّ بنا مع أم جندب والنابغة .. تنم عن قدر الناقد في أفئدة أهل ذلك العصر ، ولو حلل الباحث أحكام ربيعة أو أم جندب أو النابغة .. لوجدها مستندة إلى قواعد نقدية لا تخفى عن نظر الفاحص ..

12 ـ ويلتقط الدارس إشارات نقدية مهمة شاعت في العصر الجاهلي .. فكثير

(53) المصدر نفسه ص 468 .

مـا يقولـون أشعر النـاس النـابغـة إذا رهب ، والأعشى إذا طرب . فهم يعرفـون مـوقـع الشعرية في نصوص أي شاعر .. ويقولون أيضـاً : إن خير الشعراء من كتب دون رغبـة أو رهبة ، وزهير لا يعـاضل ، أو أن شعر فلان شعر سوقـه ، وقـد يلاحظون أثر البيئـة في الشعر . فيقولون : إن هـذا الشـاعر خشن العبـارة لأنـه شرب حليب النـوق ، وأكل الشيح ، وذاك الشاعر لان شعره وثقل لسانـه لأنـه أكل البقول .. فمرة نرى أثر الصحراء في شعر ذاك ، وأثر الريف في شعر هذا .

قال ابن قتيبة في عدي بن زيد : « وكان يسكن بالحيرة ، ويدخل الأرياف فثقل لسانه » (الشعر والشعراء 135/1) . وقال في أميـة بن أبي الصلت : « ويـأتي بـألفـاظ كثيرة لا تعرفها العرب يأخذها من الكتب المتقدمة » (الشعر والشعراء 305/1) .

وقال ابن رشيق في معلقة عنترة : « وكانوا يسمونها المذهبـة » (154/1) وقـال في عـدي بن ربيعـة : « وسمّي مهلهـلاً لأنـه هلهـل الشعر ، أي رقّقـه وكان فيـه خنث » (186/1) .

الفصل الرابع

أولاً : الأدب الجاهلي في حاضنة البيئة

استوطن العرب شبه الجزيرة العربية منذ وهلتهم الأولى ، فبات الأثر متبادلاً بين العربي ووطنه ، وأصبح عصياً على دارس الأدب القبسلامي ، تجاوز هاتين البؤرتين (العربي ، موطنه) ، وهل الأدب سوى التماهي بين كيميائي إبداع الذهنية وموطنها ؟!

والعرب منذ وهلة التاريخ الأولى تجاوزوا في سكناهم شبه الجزيرة العربية إلى فضاءات أخرى هي العراق والشام وفلسطين وسيناء ووادي النيل ، بيد أن مركزية شبه الجزيرة العربية كانت الملح الأقوى[1] والبلدانيون العرب يسمّون شبه الجزيرة العربية جزيرة العرب ، « وإنما سميت بلاد العرب الجزيرة لإحاطة البحار والأنهار بها من أقطارها وأطرارها »[2] .

والحق أن البحار تحيطها من جهاتها الثلاث وتتصل باليابسة من الجهة الشمالية المفعمة بمياه أنهار دجلة والفرات والعاصي ، قال الهيثم بن عدي الثعلي الكوفي (ت 207 هـ) ووافقه الأصمعي (ت 216 هـ) : « إن طول جزيرة العرب يبدأ من

(١) قارن الهمداني . لسان اليمن . الحسن بن أحمد ت 334 هـ . صفة جزيرة العرب ص 80 تح محمد بن الأكوع . طب مكتبة الإرشاد . صنعاء 1990 . وقارن أيضاً . علي . د . جواد . المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام 140/1 . طب دار العلم للملايين . بيروت 1971 .

(2) الهمداني . صفة جزيرة العرب .

العذيب (في العراق) شمالاً إلى حضرموت وعدن أبين جنوباً ، أما عرضها فيبدأ من الأبُلّة ـ حدود العراق في جنوبه الشرقي ـ إلى جدة وجبال مراد »[3] .

وعرفت الجزيرة العربية في غابر أيامها الحياة الهانئة السعيدة ، وقد حبتها السماء أمطاراً وفيرة ، وأنهاراً كثيرة ، وأرضاً خصيبة ، وموقعاً وسطاً ، وسكاناً أقوياء أذكياء ذوي خبرة بتثمير ذلك ، وربما اتصلت الجزيرة العربية قبل مليون عام من طرفها الغربي بإفريقية من طرفها الشرقي ، ثم حدث زلزال كبير فانشقت الأرض المحصورة بين آسية وإفريقية وابتلعت البيوت وساكنيها ، لينبغ عن ذياك الانشقاق بحر القلزم (الأحمر) (وترى مس كاتون تومسون : أن انفصال جنوبي غربي بلاد العرب عن إفريقية الشرقية قد حدث قبل مليون عام على أقل تقدير ، وأن حجر الصوان الذي عثر عليه في حضرموت يشبه كثيراً ذلك الذي عثر عليه الباحثون في شرقي إفريقية »[4] .

وقيل : إن ماء بحر القلزم (الأحمر) قلّ وزمّ فأسموه بحر القلزم وثمة من يعلل التسمية على نحو آخر ، فيقول : تقلزم الحوتُ طريدته إذا ابتلعها والتهمها !! وبحر القلزم مشتق منه ، وبه سمّي ؛ لأنه يلتهم من يركب مياهه ! ومياه بحر القلزم هي المكان الذي غرق فيه فرعون ورهطه ، (القلزمة) : إذن ابتلاع الشيء .

---

(3) الحموي . ياقوت شهاب الدين أبو عبد الله ت 626 هـ . معجم البلدان 156/2 طب دار إحياء التراث العربي بيروت 1997 .

(4) مهران . د . محمد بيومي . دراسات في تاريخ العرب القديم ص 196 ثم 198 طب دار المعرفة الجامعية مصر 1993 .

الهمداني . صفة جزيرة العرب ص 86 (وكان سعيد بن المسيب ت 95 هـ يقول : إن الله تبارك وتعالى لما خلق الأرض مادت بأهلها بهذا الجبل ـ السراة ـ ومبدؤه من اليمن إلى الشام فقطعته الأودية) .

ـ بافقيه . محمد عبد القادر . تاريخ اليمن القديم ص 166 . طب المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت 1985 « ويلفت اللندروف نظرنا إلى التشابه الصارخ بين طبيعة الساحل الإرتيري واليمني الغربي فكلاهما قاحل وحار وكلاهما يفضي إلى هضبة جبلية مرتفعة تتمتع بأمطار موسمية منتظمة .. وهناك من الأدلة .. » .

المواقع التاريخية في جنوب وغرب شبه الجزيرة العربية

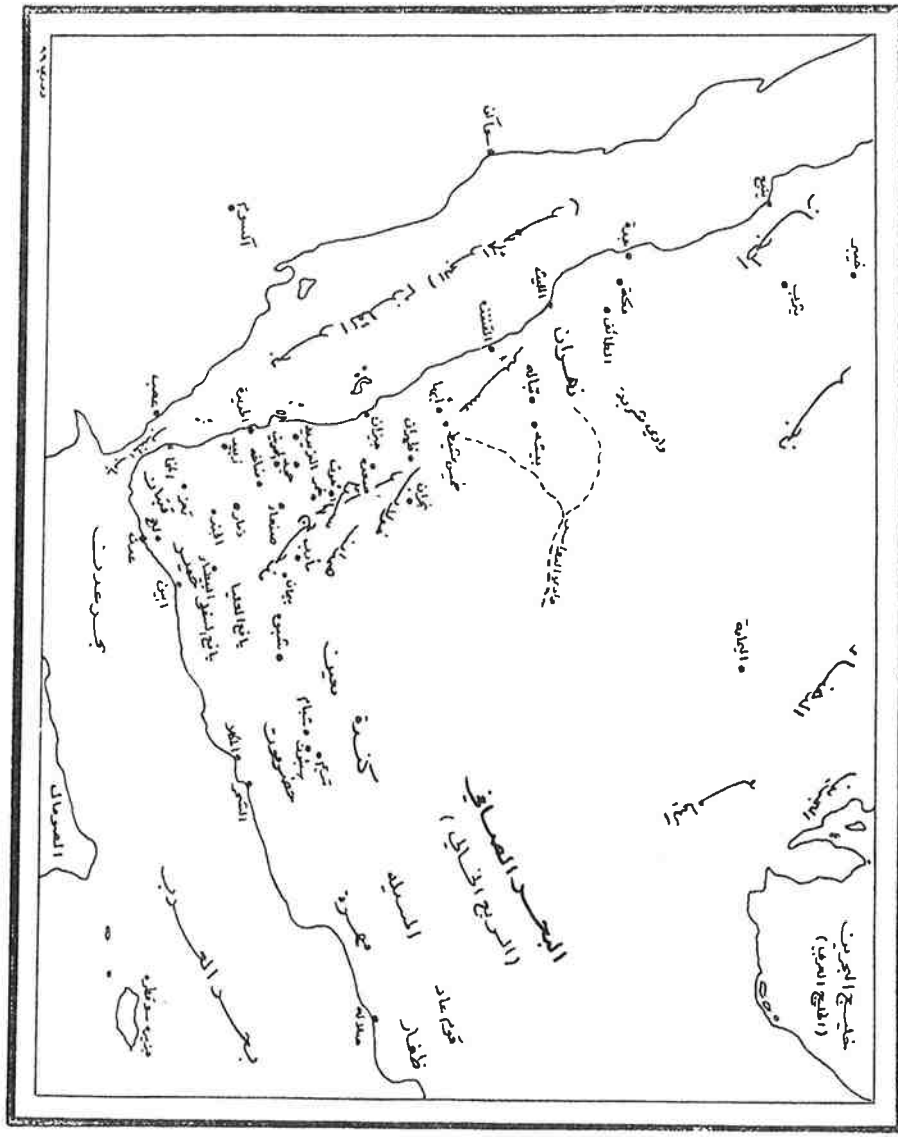

صنع هذه الخارطة الأستاذ د . داوود الربيعي فإليه شكرنا وتقديرنا وأمنياتنا

المواقع التاريخية في شبه الجزيرة العربية

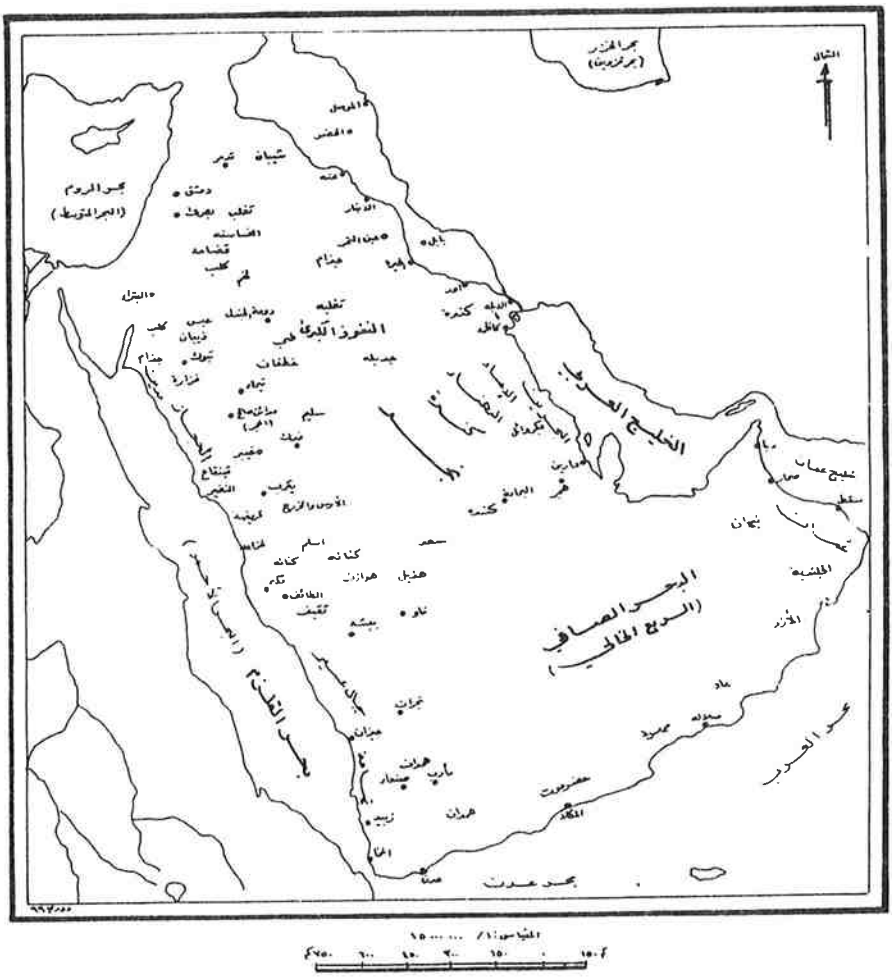

صنع هذه الخارطة الجغرافي أ . د . داوود الربيعي وفق متطلبات كتابنا ، فإليه نزجي خالص الشكر والامتنان

قال شاعر قديم :

ولا ذي قـلازمَ عنـد الحيـاض إذا مـا الشريب أراد الشريبـا[5]

وطبيعة الجزيرة ليست واحدة ، فهي مزاج من طبائع المياه والصحاري والجبال والحفر والدارات .

فالسلاسل الجبلية ترتفع محاذية شواطئ البحر الأحمر حتى لتبلغ عند جبال السراة في الحجاز عشرة آلاف قدم ، وعند مدين تسعة آلاف ، وعند صنعاء ستة آلاف ، ويصل ارتفاع بعض قمم اليمن جنوباً اثني عشر ألف !! ثم تنحدر هذه الجبال انحداراً مفاجئاً حين تتجه إلى مياه البحر الأحمر غرباً ، بينا ترتفع هضبة نجد في جانبها الشمالي الأوسط نحواً من ألفين وخمس مئة قدم ، حيث جبال شمر التي يشخص فيها جبل أجا المقدود من الجرانيت الأحمر فيسمق قرابة خمسة آلاف وخمسمئة قدم ، بينا ينهد الجبل الأخضر نحواً من عشرة آلاف ! الجزيرة العربية ترتفع غرباً ثم تنحدر شرقاً ، وبين المياه الغربية (البحر الأحمر) والشرقية (الخليج العربي وعمان) ثمة الصحاري بسهوبها وسهولها التي تشكل التلال دوائر حولها ، مثل باديتي الشام والسّماوه اللتين تكنزان المياه الجوفية الوفيرة ...

أما تقسيمات الجزيرة العربية فهي مختلفة أيضاً باختلاف مناهج البلدانيين ومصالحهم .. فأهل اليمن يرون أن الجزيرة العربية قسمان : يمن وشام ؛ فجنوبها اليمن ، وشمالها الشام ، ونجد وتهامة ؛ فالنجد ما أنجد منها عن السراة وظهر من رؤوسها ذاهباً إلى المشرق في استواء دون ما ينحدر إلى العروض ، وحجاز وهو ما حجز بين اليمن والشأم ، وسراة وهو ما استوسق واستطال في الأرض من جبال هذه الجزيرة مشبهاً بسراة الأديم ، وعروض وهو ما أعرض عن هذه المواضع شرقاً إلى حيز شمال المشرق ،

(5) ابن منظور . أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ت 711 هـ . لسان العرب (قلزم) طبعة دار صادر بيروت . وتقارن أيضاً : علي . د . جواد . المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام 148/2 (م . س) .

وعراق وشحر ، فالعراق ما حاذى المياه العذبة مأخوذ من عراقي الدلو ، والشجر مأخوذ من شحر الأرض وهو سبخ الأرض ومنابت الحموض »[6] وقسمها اليونانيون ثلاثة أقسام هي : أ ـ العربية الصحراوية وتشمل باديتي الشام والسماوة وبضعة من سيناء وتحدها بابل من الجنوب ب ـ العربية الصخرية ومركزها سيناء وبلاد الأنباط وقد جاءت التسمية من طبيعة البتراء (الحاضرة) وتمتد جنوباً حتى البحر الميت جـ ـ العربية السعيدة وهي بلاد العرب التي علّمها البلدانيون والمؤرخون ، بيد أن المنطق الجغرافي لا يطمئن إلى هذا التقسيم في أغلبه ، فهذه التقسيمات متداخلة ، مثال ذلك أن العربية السعيدة لا تنفصل عن بلاد العرب الصحراوية ، زد على ذلك إغفاله عدداً من المعالم الكبيرة : تيماء ودومة الجندل ووادي سرحان ! لكن مقدار ما يهمنا من التقسيم اليوناني هو هذه النظرة الشمولية إلى وطن العرب ذي المساحات الممتدة الشاسعة والمترامية البعيدة[7] وهناك من قسم الجزيرة أربعة أقسام : « جزيرة العرب أربعة أقسام : اليمن ، ونجد ، والحجاز ، والغور . وهي تهامة . فمن جزيرة العرب الحجاز وما جمعه وتهامة ، واليمن وسبأ والأحقاف واليمامة والشحر وهجر وعمان والطائف ونجران والحجر ... إلخ »[8] .

ومن قسّم الجزيرة خمسة أقسام (فصارت بلاد العرب من هذه الجزيرة خمسة أقسام : تهامة والحجاز ونجد والعروض واليمن)[9] .

---

(6) الهمداني . صفة جزيرة العرب ص 9 .
وقارن : القزويني ، زكرياء بن محمد ت 682 هـ . آثار البلاد وأخبار العباد . (ص 645 فهرس الأماكن مثل نجد تهامة عروض حجاز سراة وعراق .. الخ) طبعة دار صادر بيروت (د : ت) .
وقارن : الجبوري . د . يحيى : الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه ص 11 وبعدها طبعة سادسة 1993 جامعة قار يونس بنغازي .

(7) أبو العلا . محمود طه . جغرافية شبه الجزيرة العربية 5/1 طب القاهرة 1956 .
وانظر مهران . د . محمد بيومي . دراسات في تاريخ العرب القديم ص 93 (م . س) .

(8) الحموي . ياقوت معجم البلدان 57/2 (م . س) .

(9) الهمداني . صفة جزيرة العرب ص 85 وانظر . الحموي . ياقوت . معجم البلدان 56/2 .

1 ـ **تهامة** : تمتد على طول البحر الأحمر (القلزم) وتقع اليمن في جزئها الجنوبي ، وتهامة أرض رملية ، يقع ميناء الحديدة جنوبيها وفي شماليها : جدة وينبع والحجر (مدائن صالح) ، وتمتد جبال السراة شرقي تهامة من الشمال إلى الجنوب لتفصلها عن هضبة نجد . وسميت تهامة لشدة حرها وركود ريحها ، والتهمة الأرض المنصوبة إلى البحر .. وتهامة تساير البحر منها مكة .

والحجاز ما حجز بين تهامة والعروض فإذا خلفت عُمان مصعداً فقد أنجدت فلا تزال منجداً حتى تنزل في ثنايا ذات عرق ، فإذا فعلت ذلك فقد أتهمت إلى البحر وإذا عرضت لك الحرار وأنت منجد فتلك الحجاز.

2 ـ **الحجاز** : منطقة بين غور تهامة ونجد فكأنه منع كل واحد منها أن يختلط بالآخر فهو حاجز بينهما ، قال الأصمعي : الحجاز اثنتا عشرة دارة : المدينة وخيبر وفدك وذو المروة ودار بلى ودار أشجع ودار مزينة ودار جهينة ونفر من هوازن وجل سليم وهلال ! وقال في موضع ثان : وإنما سمي حجازاً لأنه حجز بين تهامة ونجد ، فمكة تهامية ، والمدينة حجازية ، والطائف حجازية !! وهي منطقة كثيرة المياه خصبة الأرض وجبلية ذات وديان كثيرة أشهرها وادي القرى . أما شمالي الحجاز فيضم أرض مدين موطن جذام ، ثم حسمي التي تضم جبالها منطقة إرم ، وتقع يثرب ضمن الحجاز ، ويقع وادي الشعرى شمال يثرب ومدينة قرح المشهورة بسوق قرح ، وكذلك الحجر وصالح ، وتحيط القرى الخصبة بالمدينة مثل خيبر وفدك اللتين استوطنهما اليهود ، واستوطنت هذه المناطق أيضاً قبائل عذرة وجهينة وبلى وقضاعة ، وتعد مكة والطائف أهم مدينتين في الحجاز ، وكانت الأخيرة مصيفاً لموسري العرب وخاصة أهل مكة .

3 ـ **نجد** : النجد ما أنجد منها عن السّراة ، وظهر من رؤوسها ذاهباً إلى المشرق في استواء دون ما ينحدر إلى العروض ، وتتوسط نجد الجزيرة مطلة على باديتي الشام والسماوة شمالاً ، وتفصل صحراء النفود بينهما وبين نجد ، كما تفصل صحراء النفود

الشاسعة من الشرق بين نجد وبين البحرين وهي الدهناء أو رملة عالج موطن تميم وضبّة . وتشمل نجد وادي الرمة ، فما تاخم الحجاز وتهامة سمّي نجد العالية وما جاور العراق سمي نجد السافلة .

وموضع القصيم في شمالها والقصيم رمل عبيط ينبت فيه الغضا (الأثل) وأهل الغضا هم النجديون ، وتشمل نجد اليمامة (جو) ومركزها حجر ومن مدنها سدوس ومنفوحة .

4 ـ العَروض : العروض الشيء المعترض وهو المدينة ومكة واليمن ، وقال ابن الكلبي (ت 204 هـ) العروض : بلاد اليمامة والبحرين . وهي أراض رملية وسهول ساحلية ، وتقع ضمنها أسواق كاظمة ودبا وصحار وعمان وهجر والخط (القطيف) ، كما تتضمن الجرعاء وسدوس والإحساء وميناء الصغير .

5 ـ اليمن : منطقة خصيبة شملت صنعاء وحضرموت ومهرة وعدن وتبالة وبيشة ونجران وزبيد والشحر وظفار وعمان وذلك يعني أن هذه التسمية قد شملت الجنوب بكامله ، وسميت اليمن كما يقول لكثرة أشجارها وثمارها وزروعها ، والبحر مطيف بها من المشرق إلى الجنوب فراجعاً إلى المغرب ، قال الأصمعي : أربعة أشياء قد ملأت الدنيا ، ولا تكون إلا باليمن : الوَرس والكُندر والخِطْر والعصب . ا . هـ . والجوف من أخصب بقاع اليمن وأصلحها للزراعة ، وفي اليمن تبالة وبيشة[10] .

وصفوة القول أن المتأمّل في أطلس الجزيرة العربية واجد هذه (التعدديات) : في

(10) اعتمدنا في التحديد والتوصيف عدداً من المصادر والمراجع هي :
أ ـ الهمداني . صفة جزيرة العرب (م . س)
ب ـ الحموي . معجم البلدان (م . س)
جـ ـ القزويني . آثار البلاد وأخبار العباد (م . س)
د ـ علي . د . جواد . المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (م . س)
هـ ـ مهران . د . محمد بيومي . دراسات في تاريخ العرب القديم (م. س)
و ـ الجبوري . د . يحيى الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه (م . س)
ز ـ بافقيه . محمد عبد القادر . تاريخ اليمن القديم (انظر مواقع أوسان ومعين وقتبان وحضرموت وسبأ وذو ريدان) . طب المؤسسة العربية للدراسات والنشر . بيروت 1985 .

التضاريس والمناخ والموقع والمؤهلات السكانية بما سوّغ وجود مميّزات حضارية لعرب الشمال والجنوب والشرق والغرب ، فمن خطل الرأي الظن أن الجزيرة العربية تمثل وحدة متجانسة في التضاريس والمناخ والموقع والناس !! فقد خلط العديد من الدارسين العرب وغير العرب ، القدامى والمحدثين بين العرب والأعراب ، بين سكان الحواضر المستقرة وسكان البوادي المتغيرة ، بين سكان المرتفعات وسكان السهول ، بين سكان المدن المنفتحة على الماء والمدن المحرومة منه !! وما كان ذلك الخلط ليكون لولا تعددية النوايا وأطروحات المنهج التاريخي التعددي والدراسات المكتبية التي تعتمد النقل عن الكتب فحسب ، وتستند إلى الفرضيات الملغومة ، مؤثرة النأي عن المشاهدات الميدانية والمقايسات المختبرية ، وإيماءات النقوش والحفريات .

ونحن إذ نعمّق دلالة التعدديات بين شمال وجنوب وماء وصحراء إنما نعمق حلم الوحدة العربية إلى أرض الواقع المتحقق ، لأن القفز فوق الفوارق يعني تفخيخها وتوسيعها ، فالبيت الواحد فيه غرف أرضية وعلوية وشرقية وغربية وذلك لا يبدد العائلة الواحدة ، وإنما يجمعها ويصونها . وقد اصطنع كتابنا عدداً من الخوارط التي تحدد المناطق وترينا أن التعدديات أثّلت حضارات الشمال والجنوب والشرق والغرب ، بحيث انمازت الجزيرة العربية بمميزات جعلتها موضع عناية المنصفين وغير المنصفين من الدارسين . فحضارات اليمن لم تكن عابرة ، وإنما أسهمت وبشكل فاعل في تظهير حضارات عربية أخرى في اليمامة وكندة والمناذرة والغساسنة ومكة وغيرها ، بالمقدار نفسه التي تأثرت فيه حضارات اليمن بحضارات الشمال ، وحصل التماهي بين الحضارات فكانت الجزيرة العربية مهداً للرسالات السماوية الكبرى دون سواها[11] .

---

(11) ﴿ كنتم خيرَ أمةٍ أُخرجت للناسِ ﴾ [آل عمران : 110/3] وانظر : يوسف 12 ثم طه 20 والزمر 39 .
وقارن . حسين . طه . في الأدب الجاهلي ص 74 وبعدها . طبعة دار المعارف مصر (د : ت) النوري . د . قيس . طبيعة المجتمع البشري في ضوء الأنتروبولوجيا الاجتماعية ص 82ـ86 مط . أسعد بغداد 1970 .
حتي . د . فيليب وآخرون . تاريخ العرب ص29 . طب دار غندور 1974 . سوسة . د . أحمد . حضارة العرب ومراحل تطورها ص 69 . طب دار الحرية بغداد 1979 .

الفصل الخامس

جاهلية المجتمع العربي قبل الإسلام

لاحظت دراسة سابقة لنا أنجزناها عام (1982 م) أن وعي عرب الجاهلية للزمن كان على درجة متطورة قياساً إلى ذلك العهد[☆] ويفترض الشعور بالزمن نمطاً من النضج الفكري والقدرة على التأمل ، ولن يكون بمقدور البدائي وعي الزمن وعياً يهيئ له أن يقول فيه شيئاً ذا قيمة[12] ويمكن القول : إن نظرة العرب للزمن عهد ذاك كانت على قدر مناسب من النضج ، فهم يلاحظون الطبيعة والأنواء ، ويسمون أوقاتهم طبقاً لمقتضياتها[13] وربما أوحى مصطلح الجاهلية كما مرّ بنا لبعض الدارسين أن العرب كانوا يعمهون في ظلام من الجهل بكل أسباب المعرفة[14] ، لكن النظرة الموضوعية أسهمت في إزالة الغبار الذي علق بهذا المصطلح[15] ، وقد توصل فيليب حتي إلى أن مفهوم

(☆) أنجزنا الدراسة عام 1980 ثم صدرت عام 1982 في كتاب طبعته مطبعة التايمس في الكويت وعنوانه (الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام) .

(12) بريل . ليفي . العقلية البدائية ص 21 . تر د. محمد القصاص . طب مكتبة مصر (د : ت) . فريزر . سير جيمس . الغصن الذهبي 234/1 تر . أحمد أبو زيد وآخرين . مط الثقافية مصر 1971 .

(13) ابن قتيبة . أبو محمد عبد الله بن مسلم ت 276 . الأنواء في مواسم العرب . طب حيدر آباد الدكن الهند 1956 . حرب حمدي مصطفى . قصة الزمن . ص 6 . مط الثقافية مصر 1970 .

(14) اللسان (جهل) . حضارة العرب ص 108 (م . س) .

(15) البياتي . د . عادل . تحديد مصطلح الجاهلية والأمية في التراث العربي والإسلامي . بحث في مجلة كلية الآداب . جامعة بغداد العدد 27 السنة الأولى و 97/ص 68 وبعدها . وانظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام 37/8 (م . س) .

الجاهلية ينصرف إلى الزمن الذي عاشته العرب منذ العصور القديمة حتى مبعث النبي ﷺ[16] ، ووردت مادة (جهل) في القرآن الكريم بمعنييها اللغوي والديني ، بما يفيد أن الجاهلية منصرفة إلى الجهل بالإسلام[17] ، وكان رسول الله ﷺ يذكر في أحاديثه الشريفة لفظة الجاهلية مقترنة بأزمان العرب قبل الإسلام ، وطبائعهم وتقاليدهم[18] .

أما الشعراء القبسلاميين فلم ترد (جهل) في شعرهم إلا ضمن سياقها في اللغة[19] فالجاهلية مصطلح إسلامي يشير إلى أن العرب قبل الإسلام لم تكن ناعمة بزمن الإسلام وإشراقات تعاليه[20] وليس ثمة ما يسوّغ انصراف مصطلح الجاهلية إلى توحّش العرب وجهلهم بعلوم زمانهم[21] وقد حذقت العرب علوم الأنساب ، والأنواء ، وتعبير

---

(16) حتي . فيليب . تاريخ العرب المطول . طب دار الكشاف بيروت 1965 .

(17) عبد الباقي . محمد فؤاد . المعجم المفهرس الألفاظ القرآن الكريم طب دار الكتب المصرية 1945 .

(18) القشيري .أبو الحسين مسلم بن الحجاج ت 261 . صحيح مسلم 99/1 . طب دار إحياء التراث . بيروت . البخاري . أبو عبد الله محمد بن إبراهيم ت 256 . صحيح البخاري 54/5 طب دار إحياء التراث . بيروت . ابن الأثير . أبو السعادات مجد الدين المبارك الجزري ت 606 . النهاية في غريب الحديث والأثر 322/1 طب دار إحياء الكتب العربية مصر 1963 .

(19) بشر بن أبي خازم . ديوانه ق 1 ب 1 ص 3 . عنترة . ديوانه ق 1 ب 49 ص 207 . شرح القصائد العشر تحقيق فخر الدين قباوة معلقة عمرو بن كلثوم ب 96 ص 166 . ابن مقبل . تميم . ديوانه ق 35 ب 3 ص 267 :

هل عاشق نال من دهماء حاجته في الجاهلية قبل الدين مرحوم

(20) الآلوسي . محمود شكري . بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب 15/1 تح محمد الأثري مط الرحمانية مصر 1924 . بروكلمن . كارل . تاريخ الأدب العربي 29/1 تر . ج 1 د . عبد الحليم النجار مط دار المعارف مصر 1977 . الجبوري . د . يحي . الجاهلية ص 27 مط المعارف بغداد 1968 . وانظر المفصل 38/1 (م . س) .

(21) ابن قتيبة . الأنواء ص 2 (م . س) . لوبون . غوستاف . حضارة العرب ص 109 . تر . عادل زعيتر . طب إحياء التراث بيروت 1979 . حتي فيليب . تاريخ العرب المطول 117/1 (م . س) . الجبوري . د . يحي . الجاهلية ص 29 وبعدها .

الرؤيا ، والأديان ، والرواية ، والقيافة ، والبيطرة[22] . فالعرب الذين نتحدث عنهم قوم متحضّرون .

أما الأعراب فهم بدو رحّل لا شأن لهم بالاستقرار أو المدنية ، وقد انتبه د . ناصر الدين الأسد إلى أن مفردة (أمّية) جرّت على العرب حيفاً لحق بهم فظن الدارسون أن الأمية هي أمية القراءة والكتابة ، فبحث في أمية الجاهليين ، وتوصل إلى الآتي :

« القرآن الكريم قد وصف العرب في جاهليتهم بأنهم أميون وورد ذلك في ثلاث آيات ﴿ وَقلْ للَّذين أُوتوا الكتابَ والأُمّيين أَأَسلمتم ﴾ [آل عمران : 20/3] . و ﴿ ذلكَ بأنهم قالُوا ليسَ علينا في الأُمّيينَ سبيلٌ ﴾ [آل عمران : 75/3] و ﴿ هُوَ الذي بَعَثَ في الأُمّيينَ رسولاً منهم ﴾ [الجمعة : 2/62] غير أن هذا الوصف بالأمية لا يعني في رأينا الأمية الكتابية ولا العلمية وإنما يعني الأمية الدينية ، أي إنهم لم يكن لهم قبل القرآن الكريم كتاب ديني ، ومن هنا كانوا أميين دينياً ولم يكونوا مثل أهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين كان لهم التوراة والإنجيل . ومن الأدلة التي نسوقها للاحتجاج أن القرآن الكريم وصف فريقاً من أهل الكتاب بالأميين : ﴿ ومنهم أمّيون لا يعلمون الكتابَ إلا أمانيّ وإن هُمْ إلاّ يظنونَ فويلٌ للذينَ يكتُبونَ الكتابَ بأيديهم ثمَّ يقولونَ هذا منْ عِندِ اللهِ ليشترُوا بهِ ثمناً قليلاً فويلٌ لهم ممَّا كَتَبتْ أيديهم وويلٌ لهُم ممّا يكسِبُونَ ﴾ [البقرة : 79/78/2] فأمية هذا الفريق ليست أمية كتابية لأنه قد أخبر أنهم كانوا يكتبون بأيديهم ، وإنما هي أمية دينية ، أي جهل بالدين ، وإنكار له ، وعدم

---

(22) الشهرستاني . أبو الفتح محمد بن عبد الكريم ت 548 . تح محمد سيد كيلاني طب دار المعرفة بيروت 1975 انظر تحديداً 238/2ـ241 . العقاد . عباس محمود . الثقافة العربية أسبق من ثقافة اليونان والعبريين ص 5 . طبعة دار القلم مصر (د : ت) . بكر . د . منذر . مساهمة العرب في التراث اليوناني قبل الإسلام ص 86 وبعدها بحث في مجلة المورد العراقية مجلد 8 عدد 2 سنة 1979 . فاضل . عبد الحق . تاريخهم من لغتهم ص 41 . مط دار الحرية بغداد 1977 .

تصديق . ومن أجل هذا فسّر ابن عباس هاتين الآيتين فيما رواه ابن جرير الطبري بإسناده إليه قال : « ومنهم أميون .. قال : الأميون قوم لم يصدقوا رسولاً أرسله الله ولا كتاباً أنزله الله فكتبوا كتاباً بأيديهم ، ثم قالوا لقوم سفلة جهال : هذا من عند الله ، وقال قد أخبر أنهم يكتبون بأيديهم ثم سماهم أميين لجحودهم كتبَ الله ورسولَه إ . هـ » .

ثم يذكر الأسد عدداً من الأحاديث النبوية الشريفة التي وردت فيها مفردة (أمية) ويسلط عليها منهجه البحثي مستعيناً بكتب التفسير والشرح ، ويصل إلى ما وصل إليه في الأولى ويقرر : « إن الحديث لا ينقض ما قدّمنا من أمر معرفة العرب بالكتابة بعد أن أقمنا من الشواهد والأدلة ما أقمنا »[23] .

وقد تمسّكت العرب بقيم المروءة من إقدام ونجدة ، وصدق ووفاء ، والحفاظ على العهد ، وصيانة الجوار ، والنأي عن الغزو ، والسفك في الأشهر الحرم . وقد نُسب إلى النبي الأمين قوله : « خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام » . وقال أحد التابعين : وددت أن لنا مع إسلامنا كرم أخلاق آبائنا في الجاهلية[24] .

ويمكن عزو التطرف ضد العرب قبل الإسلام ونعتهم بالتوحّش والجهل المطبق إلى ثلاثة أسباب :

الأول هذا الخلط المؤذي بين دلالتي (عرب ، أعراب) .

والثاني ديني يتضح من خلال الحرص على تبيان أثر الإسلام في الحياة العربية ، وفسّر قتادة (ت 118 هـ) الآية الكريمة : ﴿ وكُنتُم على شَفَا حُفرةٍ من النَّارِ

---

(23) الأسد . د . ناصر الدين . مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ص 46 (م . س) .

(24) ابن عبد ربه . أحمد بن محمد ت 328 . العقد الفريد 2/6 تح محمد سعيد العريان طب دار الفكر (د : ت) والقول نرجّح أنه عبّاسي .

فأَنقَذَكُم مّنها ﴾ [آل عمران : 103/3] بقوله : إن العربي قبل الإسلام كان (أذلَّ الناس ذلاً ، وأشقاهم عيشاً)[25] .

أما السبب الأخير فهو عنصري فكما غالى بعض دعاة العنصرية والشوفونية من العرب في احتقار العناصر غير العربية ، فقد غالت العناصر المحتقرة في إلصاق التهم بالعرب والافتئات على قيمهم النبيلة ، وقد نهد المفكرون الغيارى العرب لتفنيد الاتهامات الباطلة التي وجهت إلى العرب[26] . وقد كانت الجزيرة العربية كما مرّ بنا مهداً للرسالات السماوية ، والعربي أول من نطق باسم الله[27] ، وفي الأخبار والأشعار ما ينبئ أن العربي تأمّل جريان الزمان ، واستعبر بالأولين ، وذمّ التهالك على

---

(25) أمين . أحمد . ضحى الإسلام 17/1 طب لجنة التأليف والترجمة مصر 1964 واعتمد أحمد أمين تفسير قتادة وذهب مذهبه .

(26) ابن قتيبة . أبو محمد عبد الله بن مسلم . المعارف ص 543 تح د . ثروت عكاشة طب دار المعارف مصر 1969 . الجاحظ . أبو عثمان عمرو بن بحر (ت 255 هـ) . البيان والتبيين 17/3 تح حسن السندوبي طب المكتبة التجارية (د : ت) . ابن عبد ربه . العقد الفريد 317/3 ؛ 332 (م . س) . المسعودي . أبو الحسن علي بن الحسين (ت 306 هـ) مروج الذهب 53/2 تح محمد محي الدين عبد الحميد مط السعادة مصر 1964 . ابن خلكان . أبو العباس أحمد بن محمد ت 681 هـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان 235/5 ، 240 تح د . إحسان عباس طب دار صادر 1977 . الآلوسي . بلوغ الأرب 171/1-175 (م . س) . السامرائي . د . عبد الله سلوم . الشعوبية ص 47 وبعدها مط دار الحرية بغداد 1980 .

(27) سوسه . حضارة العرب ص 183 (م . س) .

الدنيا[28] وعرف آدم[29] ونوحاً[30] وإبراهيم[31] وداود[32] وأنبياء آخرين[33] وكان معظم العرب عهد ذاك على ملة إبراهيم ، يعبدون الله ، ويحجون البيت ، ويختتنون[34] وأطلقوا على الكعبة (بنية إبراهيم) ؛ لأنه بانيها[35] ، وحين دخل المسلمون الكعبة يوم

(28) ابن عبد ربه . العقد الفريد 214/3 (م . س) . السهيلي . عبد الرحمن بن عبد الله (ت 581 هـ) . الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام 179/2 مط دار النصر مصر 1970 تح عبد الرحمن الوكيل اقرأ حكاية دخول عبد الله بن جدعان لبيت آخر نفق داخل جبل فيه قبور ملوك جرهم !! والكتابات التي قرأها على شواهد القبور .. زهير بن أبي سلمى . ديوانه ص 287 . الأعشى . ديوانه ق 53 ب 1ـ5 . طرفة . ديوانه ق 53 ب 7 وبعده النابغة . ديوانه ق 1 ب 32 .

(29) امرؤ القيس . ديوانه ق 11 ب 5 . الضبّي . المفضل بن محمد الكوفي ت 178 . المفضليات ق 66 ب 2 : قال أفنون التغلبي :

قد كنت أسبق من جاروا على مهل من ولد آدم ما لم يخلعوا رسني

تح أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون طب دار المعارف مصر (الطبعة 10) 1992 .

(30) النابغة . ديوانه ص 73

فألفيت الأمانة لم تخنها كذلك كان نوح لا يخون

طب دار الكتب العلمية بيروت 1984 .

(31) هارون . عبد السلام محمد . تهذيب سيرة ابن هشام ص 227 مكتبة السنة مصر 1989 (أن رسول الله ﷺ دخل البيت يوم الفتح فرأى فيه صور الملائكة وغيرهم ورأى إبراهيم ، عليه السلام ، مصوّراً في يده الأزلام يستقسم بها فقال قاتلهم الله جعلوا شيخنا يستقسم بالأزلام ما شأن إبراهيم بها ؟!..

(32) السموءل . ديوانه :

وأتتني الأنباء عن ملك داوود فقرت عيني به ورضيت

ص 82 طب دار صادر بيروت . الأعشى . ديوانه ق 33 ب 8 :

بناه سليمان بن داوود حقبة له أزج عال وطيٌّ موثق

(33) ابن قتيبة . المعارف ص 56 (الرسل الخمسة من العرب) . وانظر المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام 83/6 .

(34) ابن الكلبي . أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب (ت 204 الأصنام ص 6) تح أحمد زكي طب الدار القومية مصر 1965 .

ابن حبيب . أبو جعفر محمد ت 245 . المحبّر ص 309 . تح د . إيلزة شتيتر . طب المكتب التجاري . بيروت .

(35) ابن الأثير . مجد الدين المبارك بن محمد د- 606 النهاية في غريب الحديث والأثر 63/4 تح الزاوي والطناحي . مصر 1963 .

الفتح شاهدوا على أحد جدرانها صورة إبراهيم ، عليه السلام ، وشاهدوا أيضاً قرني الكبش اللذين لبثا في الكعبة حتى شهر صفر سنة أربع وستين ، وسار جيش الحرة إلى مكة لقتال ابن الزبير ، وأتوا مكة فحاصروا ابن الزبير ، وقاتلوه ورموه بالمنجنيق ، واحترقت من شرارة نيرانهم الكعبة وسقفها وقرنا الكبش الذي فدى الله إسماعيل به[36] .

وقد ابتعدت العرب قبيل الإسلام عن روح الحنيفية لتفشّي عبادة الأوثان التي اصطنعها عمرو بن لحي وعادات أخرى بعيدة عن الروح العربية مثل الوأد ونسبة المطر والرياح إلى النوء والحياة والموت إلى الدهر والقتال في الأشهر الحرم حتى إن زيد بن عمرو بن نفيل كان يسند ظهره إلى جدار الكعبة وينادي غاصّاً بعبرته (أيها الناس هلموا إليّ لم يبق على دين إبراهيم غيري)[37] وكان أمية بن أبي الصلت يحذّر على هذا النحو :

كل دين يوم القيامة عند الله إلا دين الحنيفية بور[38]

ولا بد من عودة إلى الفطرة الأولى فتهيأت أذهان العرب ونفوسهم لانتظار الخلاص فجاء الخلاص بالإسلام الذي أشرق وكأنه إكمال لدعوة سيدنا إبراهيم فوحّد بعد شتات وأيقظ بعد سبات[39] .

---

(36) السيوطي ت 911 . تاريخ الخلفاء ص 164 قاسم الرفاعي ومحمد العثماني طب دار الأرقم بيروت (د : ت) وانظر هامش 31 .

(37) الشهرستاني . الملل والنحل 241/2 (م . س) . وانظر ابن حبيب . المحبر ص 171 . وابن الأثير . النهاية 6/5 .

(38) أمية بن أبي الصلت ق 154 ب 8 . وانظر الجبوري د . يحي . حركة الأحناف في الجاهلية ص 52 بحث في مجلة المعارف عدد 9 أيلول (سبتمبر) 1962 وانظر البياتي د . عادل . شعر الأحناف دراسة وتحليل ص 537 مجلة آداب المستنصرية . بغداد . العدد 5 سنة 1980 .

(39) ابن حنبل . أحمد بن محمد ت 241 هـ . مسند أحمد بن حنبل 166/4 مط الميمنية مصر 1313 هـ . ابن الأثير . النهاية 451/1 . الشهرستاني . الملل والنحل 29/1 .

والخلاصة المستنبطة من التمهيد هي أن الشعر الجاهلي وتوأمه النثر الفني لم يكونا ربيبي حياة قاسية مجدبة كما تهيأ لعدد من الدارسين وأن المبدعين العرب لم يكونوا عقيمي الخيال محدودي التجربة والفضاء كما رسمتهم المباحث العجلى أو الموبوءة ، وإنما هم فنانون كبار وقادة في مجتمعاتهم وذادة أيضاً ، فلا غرابة أن يكون عطاؤهم خصباً ولغتهم منسابة .. فليست الجزيرة العربية كلها الربع الخالي ، وليست رياحها السموم فقط ، وإنما كانت الجزيرة أيضاً مدناً مستقرة وأريافاً وسهولاً وجبالاً وموانئ بما يعزّز فكرة التعددية التي أسست حضارات عملاقة شغلت علماء الحضارة وما زالت ..

الأطروحة الثانية

الشعر الجاهلي

الفصل الأول : نشأة الشعر وأوليته .

الفصل الثاني : الشعر الجاهلي بين الرواية والتدوين ☆ طبقات الرواة .

الفصل الثالث : نظرية الشك (آراء القدامى والمستشرقين والمحدثين) والرد على تلك الآراء .

الفصل الرابع : شياطين الشعراء .

الفصل الخامس : المعلقات وشعراؤها .

الفصل السادس : الفروسية وشعراؤها .

الفصل السابع : الصعلكة وشعراؤها .

الفصل الثامن : موضوعات الشعر الجاهلي .

الفصل التاسع : خصائص الشعر الجاهلي .

الفصل العاشر : مصادر الشعر الجاهلي ومراجعه .

الفصل الأول

نشأة الشعر وأوليته

الشعر في مظنته اللغوية هو العلم ، وقولنا : شعر بالأمر ، أي علم ، وليت شعري تعني : ليتني أعلم ، والشعر عند العرب منظوم القول ، وقائله شاعر ، وقيل : سمّي الشاعر شاعراً لفطنته (اللسان ، شعر) . وسمّي الشعر قصيداً ـ استناداً إلى اللسان قصد ـ « لأن قائله احتفل له فنقّحه باللفظ الجيد والمعنى المختار وأصله من القصيد وهو المخ السّمين ، وقصّد الشاعر وأقصد : أطال وواصل عمل القصائد » .

وارتباط الشعر بالعلم والاستشعار يمثل شعيرة وثنية قديمة ، فالشاعر في الذهنية القديمة رجل استثنائي له صلات غريبة بعالم الجن والشياطين فهو على نحو ما ساحر ، أو كاهن ، أو متنبّئ .. وقد لبث الشاعر الجاهلي معذباً بالرؤيا .. أو هكذا يتهيأ له .. فهو يرى ما لا يراه الآخرون .. فملحمة جلجامش تبدأ هكذا : هو الذي رأى كل شيء فغني . بذكره يا بلادي ، وهو الذي عرف جميع الأشياء ، وأفاد من عبرها ؛ وهو الحكيم العارف بكل شيء ، لقد أبصر الأسرار ، وعرف الخفايا المكتومة ، وجاء بأنباء ما قبل الطوفان . ا . هـ[1] .

وكان لدى العرب عرافون قبل ظهور الإسلام يعرفون بكونهم شعراء ومن المحتمل أن تكون لغتهم غامضة كما هي الحال مع كل كاهن منذ الكهانة الأولى لمعبد دلفى التي لدينا مطلعها : إنني أعرف عدد الرمل ومقدار البحر . ا . هـ[2] .

(1) باقر . طه . ملحمة جلجامش 51 (ترجمة وتقديم) . طب دار الحرية بغداد الرابعة 1980 .

(2) مارجليوت . أصول الشعر العربي ص 56 تر : د . يحي الجبوري . بيروت 1978 .

وسأل عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) : يا كعب هل تجد للشعراء ذكراً في التوراة فقال كعب : أجد في التوراة قوماً من ولد إسماعيل ، أناجيلهم في صدورهم ينطقون بالحكمة ، ويضربون الأمثال ، لا نعلمهم إلا العرب[3] وحبذ المجتمع الجاهلي آلية التنبّؤ بعواقب الأمور قبل حدوثها استناداً إلى معطيات الدوال فالنبوءة من الإنباء الذي يشي الأخبار والارتفاع والطلوع والرمي والخروج ، وتسهم هذه الدوال في تشكيل صورة الإنباء في الذهن القديم ، فثمة ورقة بن نوفل ، وزيد بن عمرو بن نفيل ، وقس بن ساعدة ، وسطيح الذئبي ، وشق ، وطريفة ، وخرافة ، والعشنطط .

وحين أشرق الإسلام واجه حالة من الوهم في الذهنية العربية تربط بين النبوّة والتنبؤ .

فالبابليون يطلقون على الرجل الاستثنائي (نبو) لأنه يتنبأ . فالخيال العربي صنع وشائج بين دلالات شاعر ، نبي ، ساحر ، مجنون ، كاهن . وأظن أن أشعار العرب معزوة إلى الشياطين الذين يسترقون السمع مما في السماء[4] ونقل ابن الأثير حديثاً شريفاً (لا تنبروا باسمي إنما أنا نبي)[5] وكان النبي ﷺ في هذا يبطل قول العباس بن مرداس :

يا آخر النّبـاء إنـك مرسـل بالخير كل هدى السبيل هداكا[6]

وقد يصعب الفصل بين وظائف المنبئ والكاهن والعراف والطبيب والساحر والممسوس والمتوسم والقلمس والحازي والقائف والمتفرّس والرائد والدال ! فهؤلاء يمتلكون موهبة الخيال التشاكلي القائم على مبدأ التشبيه للتأثير في الآخر[7] ، ولسوف

(3) ابن رشيق القيرواني . العمدة 25/1 (م . س) .

(4) مارجليوت . أصول الشعر العربي ص 54 (م . س) .

(5) ابن الأثير . مجد الدين المبارك ت 606 هـ . النهاية في غريب الحديث والأثر 3/5 (م . س) .

(6) ابن مرداس . العباس . ديوانه . ص 51 . تح . يحي الجبوري بغداد 1968 .

(7) سبينوزا . رسالة في اللاهوت والسياسة ص 47 . تر : د . حسن حنفي . طب الهيئة المصرية للتأليف . 1971 .
فريزر . جيمس . الغصن الذهبي ص 43 . تر . أحمد أبو زيد وصاحبيه . مط الثقافية مصر 1971 .
بريل . ليفي . العقلية البدائية . ص 107 . تر . د . محمد القصاص . طب مكتبة مصر (د : ت) .

نقدّم بين يدي رأينا عدداً من النصوص التي تعزّز ادعاء العلم بالمجهول لدى الشاعر ورؤية ما لا يُرى !! قس بن ساعدة :

لما رأيت مواردا للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها يمضي الأصاغر والأكابر
أيقنت أني لا محالة حيث صار القوم صائر

زهير بن أبي سُلمى :

أ- ألا ليت شعري هل يرى الناس ما أرى من الأمر أو يبدو لهم ما بدا ليا
ب- وأعلم ما في اليوم والأمس قبله ولكنني عن علم ما في غد عمي

أمية بن أبي الصلت :

شمط وشبان بهاليل مغاوير وحاوح
ألا ترون لما أرى ولقد أباه لكل لامح

قراد بن الأجدع :

فإن يك صدر هذا اليوم ولّى فإن غداً لناظره قريب

طرفة بن العبد :

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزود

الأعشى :

كوني كمثل التي إذ غاب وافدها أهدت له من بعيد نظرة جزعا
ما نظرت ذات أشفار كنظرتها حقاً كما صدق الذئبي إذ سجعا[8]

(8) انظر نص قس الإيادي في أغاني أبي الفرج الأصفهاني . 192/15 ونص زهير بن أبي سلمى في ديوانه ص 184 . ونص أمية بن أبي الصلت في ديوانه 169 ، ونص قراد بن الأجدع في الوسائل إلى مسامرة الأوائل للسيوطي ص 139 . ونص طرفة في ديوانه ص 175 ونص الأعشى في ديوانه 79 .

ولقد يسأل الدارس : متى بدأ الشعر وكيف ؟ وأيهما أسبق الشعر أم النثر ؟..

يرى القيرواني أن كلام العرب : « كان كله منثوراً فاحتاجت العرب إلى الغناء بمكارم أخلاقها وطيب أعراقها وذكر أيامها الصالحة ، وأوطانها النازحة ، وفرسانها الأنجاد ، وسمحائها الأجواد ، لتهز أنفسها إلى الكرم ، وتدل أبناءها على حسن الشيم فتوهموا أعاريض جعلوها موازين للكلام فلما تم لهم وزنه سموه شعراً ، لأنهم شعروا به أي فطنوا .. وقيل : ما تكلمت به العرب من جيد المنثور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون ؛ فلم يحفظ من المنثور عشره ولا ضاع من الموزون عشره »[9] .

وإذا صدقت فرضية القيرواني ، فإن النثر كان سبيل الشعر ، ولا بد أن يكون السجع بؤرة النثر . يقول اللسان (سجع) : والسجع الكلام المقفى ، وسجع سجعاً : تكلم بكلام له فواصل كفواصل الشعر من غير وزن ، وقال ﷺ : « إياكم وسجع الكهان » . أي إنه نهى عن السجع في الدعاء ا . هـ .

ولقد ذهب نفر من الدارسين إلى أن السجع كان طقساً شعائرياً وثنياً وربما آل السجع إلى الرجز ، والرجز (قارن اللسان ـ رجز) شعر ابتداء أجزائه سببان ثم وتد ، وهو وزن يسهل في السمع ويقع في النفس ، وقد اختلف فيه فزعم قوم أنه ليس بشعر ، وأن مجازه مجاز السجع ، والخليل لا يرى الرجز شعراً وإنما هو كلام ، فلو كان شعراً لم يجر على لسان النبي وتسمى قصائده أراجيز ، وهي كهيئة السجع إلا أنه في وزن الشعر ويسمى قائله راجزاً ، كما يسمى قائل الشعر شاعراً . ا . هـ . فثمة قواسم مشتركة بين النثر المسجوع والكهانة والدعاء والرجز !

ويرى جرجي زيدان أن الشعر والغناء من أصل واحد عند جميع الأمم والشعر وضع أولاً للتغني به وإنشاده للآلهة أو الملوك واليونان والرومان يقولون غنى شعراً . ولا يقولون : نظم شعراً .

---

(9) ابن رشيق . العمدة 20/1 (م . س) .

والعرب يقولون : أنشد شعراً وقضى اليونان أجيالاً لا يقولون الشعر إلا إنشاداً ، وكان العرب كذلك ثم يؤكد زيدان أن العرب بدؤوا أولاً بالسجع بلا وزنٍ ، نحو ما وصل إلينا من سجع الكهان ، وربما كان الكهان يغنونه توقيعاً على القافية ومن أمثلة سجعهم :

إذا طلع السرطان استوى الزمان ، وحضرت الأوطان ، وتهادت الجيران . إذا طلع النجم (الثريا) فالحر في حدم والشعب في حطم . إذا طلع الدبران توقدت الحزان ، وكرهت النيران ، ويبست الغدران ، ورمت بأنفسها حيث شاءت الصبيان ، إذا طلعت الهقعة تقوض الناس للقلعة ، ورجعوا عن النجعة وأردفتها الهنعة . ويقول زيدان أيضاً : أما النظم أي القياس بالمقاطع وهو الوزن فأبسطه الرجز وهو أقدم أوزان الشعر ، والغالب في اعتقادنا ـ والقول لجرجي زيدان ـ : إن الوزن مأخوذ من توقيع سير الجمال في الصحراء وتقطيعه يوافق وقع خطاها[10] .

ومن المؤسف حقاً أن هذه الفرضيات تعتمد الحدس والتخمين ، فليس بين أيدينا أدلة تدحضها أو تمحضها ، فقد ضاع شعر الجاهلية الأولى وعمره ليس أقل من عشرين قرناً وما وصل إلينا على رأي الجاحظ (الحيوان 72/1) صورة مصورة عن بولاق) لا يتجاوز القرنين أو القرن والنصف ، وكان أبو عمرو بن العلاء يقول : « ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقلّه ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير » .

إن الشعر الذي ضاع كما يفترض كان مكتوباً بلغات عربية يصعب انسجامها مع اللغة القريشية الرسمية ، وعلى رأي أبي عمرو بن العلاء : (ما لسان حمير وأقاصي اليمن بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا[11] ولو لم يضع الشعر الجاهلي المفقود ، فهل كان بإمكاننا قراءته والاستمتاع به ؟)[12] .

---

(10) زيدان . جرجي . تاريخ آداب اللغة العربية 54/1 تعليق ومراجعة د . شوقي ضيف طب دار الهلال مصر (د : ت) .

(11) الجمحي . أبو عبد الله محمد بن سلام ت 232 . طبقات الشعراء ص 45 . تح . د . عمر فاروق الطباع طب دار الأرقم . بيروت 1997 . ثم انظر ص 52 .

(12) زيدان . جرجي . تاريخ آداب اللغة العربية 41/1 يقول : وأحسن مثال للغة الحجاز لغة القرآن =

إذا شئنا أن نفترض وجود شعر عربي بلغتنا الفصيحة يرقى إلى القرن الأول للميلاد فهو حتماً سيكون بلهجة عربية مغايرة للهجتنا ، فهي إما لهجة صفوية نسبة إلى جبل الصفاة في الشام ، وإما بلهجة ثمودية ، وإما بلهجة لحيانية نسبة إلى بني لحيان ! وقد وجد العلماء كثيراً من خصائص اللحيانية ما يجعلها فجر اللهجة العربية المبكرة ! وأما اللهجة الرابعة التي نفترض ورود الشعر العربي فيها فهي النبطية التي تمثل أقواماً سكنوا شمالي الحجاز وكوّنوا إمارتهم متخذين من (سلع) عاصمة لهم وهي (petra) ، وتعد لهجتهم أقرب اللهجات إلى العربية الفصيحة ... فليس ببعيد أن يكون امرؤ القيس قد سمع بشعر ابن خذام ، وحفظه بنفس لهجته ، أو غيّره إلى الفصحى لأن الرواة عدلوه وأصلحوه ليوافق اللهجة الجديدة السائدة)[13] وهذا الرأي مقبول علمياً لأن رواية الشعر القديم بلهجته القديمة أو لغته المندثرة (لا يحمل أية متعة فنية في إنشاده وروايته لذلك عمل الساميون : الآشوريون والآكديون على ترجمة الأعمال الشعرية السومرية إلى لغاتهم ولهجاتهم السامية في عصرهم »[14] .

أما الفترة الضيقة المحصورة بقرنين ، فهي على محدوديتها لم تفصح عن أولية الشعر بالنسبة إليها ، وقد قيل : إن أول من قال : الشعر هو أبو دؤاد الإيادي ، وعمرو بن تميم ، والأضبط بن قريع ، والأفوه الأودي . إلا أن لبيد نسب الأولية إلى مرقش ومهلهل :

والشاعرون الناطقون أراهم سلكوا سبيل مرقّش ومهلهل[15]

= وشعر الجاهلية وأحسن مثال للغة الجنوب ما خلفه الحميريون من الآثار بالحرف المسند ! ولمن أقام حول اليمن من العرب لغات لعلها فروع من لغة اليمن وهي (المسند : لغة في اليمن . الزبور : لغة حضرموت وبعض اليمن . الرشق : لغة عدن والجند . الحويل : لغة مهرة والشجر . الزقزقة : لغة الأشعريين) .

(13) القيسي . د . نوري ود . عادل البياتي ود . مصطفى عبد اللطيف . تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام ص 48 . طب دار الحرية بغداد 1979 .

(14) المرجع نفسه 49 .

(15) العامري . لبيد بن ربيعة . ديوانه ص 128 طب دار صادر بيروت ثم انظر طبقات الشعراء ص 52 .

والذي يقرأ شعر المرقّش يجد فيه ملامح البدائية في بنائه الإيقاعي والصياغي :

هل بالديار أن تجيب صمم لو أن حياً ناطقاً كلّم
يأبى الشباب الأقورينَ ولا تغبط أخاك أن يقال حكم

يقول ابن قتيبة فيه : « وهو شعر ليس بصحيح الوزن ولا حسن الروي ولا متخيّر اللفظ . ولا لطيف المعنى ، ولا أعلم فيه شيئاً يستحسن »[16] وقيل : إن قصيدة عبيد بن الأبرص :

أقفر من أهله ملحوب فالقطبيات فالذنوب

إنها مضطربة الوزن ، مهلهلة النسج ، ربما أرادها خطبة فاستقامت شعراً !!

ومهما يكن الأمر ، فالشعر كان طقساً دينياً ، يتقرّب فيه الناس من الآلهة ، بالإنشاد الجماعي أو الفردي وعن أبي عمرو بن العلاء « كانت الشعراء عند العرب في الجاهلية بمنزلة الأنبياء في الأمم »[17] .

وحين سمع النبي ﷺ بيت طرفة :

ستبدي لك الأيامُ ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزود

قال : هذا من كلام النبوة[18] ، ولم يستطع القدامى وضع مرادف للشعر فقالوا : إنه السّحر ، لأنه يرفع بيوتاً خفيضة ويخفض بيوتاً رفيعة والشاعر قادر على جعل المعنى الخسيس نفيساً ، والنفيس خسيساً ! وتذكر الأخبار أن الحارث بن حلزة كان أبرص ، وكان الملك عمرو بن هند موسوساً وحين أنشده الحارث :

(16) ابن قتيبة . الشعر والشعراء 29/1 .
(17) الرازي . أبو حاتم أحمد بن حمدان ت 322 . كتاب الزينة ص 105 . معارضة وتعليق حسين بن فيض الله الهمداني طب مركز الدراسات والبحوث اليمني . صنعاء 1994 .
(18) ابن عبد ربه . أحمد بن محمد ت 328 . العقد الفريد 271/5 . تح محمد سعيد العريان . طب دار الفكر .

آذنتنـــــا ببينهـــــا أسماء رب ثـاو يُمـلُّ منـه الثـواء

كان الملك ينظر للشاعر وسمعه ومعه أمه الملكة هند من وراء سبعة ستور . وكلما قرأ الحارث كان الملك يأمر برفع الستار تلو الآخر ويدني الشاعر منـه حتى أجلسـه على فراشـه وأشركـه في جفنتـه ! فـأي فعل كان لشعر الحـارث في نفس الملـك المتوجّس من العدوى .

وكان الناس يتطيرون من الهجـاء ويرونـه لعنـة تحل بـالمهجو ، ولـذلـك استرضوا الشعراء وأكرموهم وربما ذكرنا الهجاء بضرب من الإنشـاد يقصـد منـه الطلب إلى الآلهـة بأن تنزل لعنـاتهـا على المهجو ، كفعل عشتـار حين أهـانهـا جلجـامش أن رفعت يـدهـا متوسلة إلى أبيهـا الآلهـة أنليل أن ينزل ثوراً سماويـاً يقضي على جلجـامش ! وحين نزل الثور صرعه جلجامش ، فلم تغفر الآلهة لجلجامش وقاحته ، فعاقبته بموت أحب النـاس إلى نفسه صديقه أنكيدو !!

ويمكننا أن نتذكر فعل لبيد حين هجا الربيع بن زياد .. فقـد غرّب لبيـد شكلـه فحلق نصف شعره ، وحاجباً ، وصبغ نصف وجهه بـالقطران ، وارتـدى نعلاً واحـداً . وطاف حول سرادق الملك مرتجزاً حتى سدت نفس الملـك عن الجلوس مع الربيع والنظر في وجهه وأمره بالانصراف[19] .

ولقـد يلاحـظ الـدارس طقس البكاء في مفتتح القصيـدة ، وهو طقس قـديم ربمـا ورثه الشعراء عن البابليين الذين يبكون في الربيع حين تزهر الأرض حزنـاً على غيـاب دموز في العالم السفلي ، وما زال البكاء طقساً للعشق والفرح والحزن معاً !! أما قـداسـة الثور التي نلمحها في المعـابـد ومـداخل القصور والنصوص السومريـة والآشوريـة فنحن واجدون ظلالها في الشعر الجاهلي ! وسننقل جهداً بحثياً كتبناه سابقـاً يـدور حول هـذا

(19) المرتضى . الشريف علي بن الحسين العلـوي ت 436 . أمـالي المرتضى (غرر الفـوائـد ودرر القـلائـد) 191/1 . تح محمد أبو الفضل إبراهيم . طب دار الكتاب العربي بيروت 1967 .

المعنى : « لقد أبلى العربي بلاء حسناً في سعيه وراء الرزق في بيئة قاسية تجعل القوة شرطاً مهماً من شروط البقاء ، حتى لتبدو الحياة خصومة دائمة بين قوي مقتدر وضعيف مثابر ! وقد يرحّل الشاعر هذه الخصومة الدائرة بينه وبين الزمن أو المجهول إلى الخصومة بين الصياد وطريدته الإنسان ، وليست قبّرة طرفة التي خلا لها الجو إلا الإنسان الذي رفع عنه الفخ ، والإنسان في القصيدة الجاهلية ثور وحشي قبالة الصياد (المجهول) وكلابه (الموت) ، وكانت عادة الملوك اصطناع مطاردة ثور الوحش وقتله ! والشاعر يشبه ناقته التي يحبها بثور الوحش . وقد شبه زهير الطريدة برجل سليب ، ولن يكون الإصرار على ذكر لوحة الصيد في القصيدة إلا صورة لإصرار الشاعر على توضيح موقف الدهر من الإنسان ، فالصياد وكلابه يقفون في النقطة الفاصلة بين الحيوان والماء الذي يرمز إلى الحياة ، ولن تكون الطبيعة إلا مسرحاً للصراع بين الحياة والموت وعوناً للقدر المتمثل بالصياد وكلابه على الضحية الباحثة عن الماء ، ويمكن أن نعد إشارة الجاحظ ضوءاً مبدداً للإشكالات التي تدور حول لوحة الصيد . فقد ذكر الجاحظ أن « من عادة الشعراء إذا كان الشعر مرثية أو موعظة أن تكون الكلاب التي تقتل بقر الوحش ، وإذا كان الشعر مديحاً تكون الكلاب هي المقتولة وأما في أكثر ذلك فإن الثيران هي المصابة ، والكلاب هي السالمة والظافرة وصاحبها الغانم »[20] .

فلماذا تظفر الكلاب وصاحبها الصياد بالضحيّة ، لو لم تقترب الصورة بطقس وثني قديم ـ ثمة دائماً ثور تحيطه أبقار ، وهم في طريقهم إلى نبع الماء . فلماذا يختفي الصياد وكلابه وراء تُليلٍ ؟ ولماذا تهرب الأبقار ليبقى الثور وحيداً ؟ وبعد الصراع يداهمه الليل والبرق والمطر .. فيلوذ بأرطاة على تل بهير الأنفاس ، موشّم بجراحات أسنان الكلاب ومخالبها ؟!!

وقد يكون الرثاء أقرب إلى الطقوس الدينية من سواه ، فكأن الرثاء الشعري تهدئة لروح الميت وصلاة عليه : « وكان الشعر يقال ليسمعه القتيل فيطمئن في قبره ،

(20) الصائغ . عبد الإله . الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام ص 277 .

وكان هذا اعتقادهم ، وهو لا يختلف عن اعتقادنا اليوم عندما نقوم بتلقين الميت في قبره »[21] . وكانت الخنساء ترثي أخاها صخراً بالدمع حتى عميت ، وبالشعر حتى ضربت بها الأمثال . وكانت ترتدي صدرية من الشعر ، وتعلق نعلي صخر على صدرها . وقد حلقت شعرها ولبست السواد . وهذا طقس وثني ، فأهل القتيل لن يقرّ لهم قرار حتى يقتلوا قاتله ، فإذا لم يجد القتيل من يأخذ بثأره فإنه يتحول إلى هامة (طير) تخرج من القبر وتصيح : اسقوني دماً .. اسقوني دماً .

قال ذو الإصبع العدواني :

يا عمرو إن لم تدع شتمي ومنقصتي أضربك حتى تقول الهامة اسقوني[22]

وقد ورثت الجاهلية كثيراً من الطقوس والعادات ذات الجذور الدينية القديمة وهي طقوس كثيرة ، كإمساك العرب عن بكاء قتلاها حتى تطلب بثأرها ؛ فإذا أدركته بكت حينئذ قتلاها !!

وكحكمهم إذا أصاب إبلهم العرّ السليمَ منها ليذهب العرّ عن السقيم .

وكحكمهم إذا أحب الرجل منهم امرأة وأحبته ، فلم يشق برقعها ولم تشق هي رداءه فإن حبها يفسد ، وإذا فعلاه دام أمرهما .

وكتعليقهم الحلي والجلاجل على السليم ليفيق .

وكفقئهم عين الفحل إذا بلغت إبل أحدهم ألفاً ، فإن زادت عن الألف فقؤوا العين الأخرى يقولون : إن ذلك يدفع عنها الغارة والعين .

وكسقيهم العاشق الماء على خرزة تسمى السلوان فيسلوا .

---

(21) القيس . د . نوري . وصاحباه . تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام ص 53 .

(22) ابن قتيبة . الشعر والشعراء 476/2 .

وكإيقادهم خلف المسافر الذي لا يحبون رجوعه ناراً ، ويقولون : أبعده الله وأسحقه وأوقد ناراً إثره .

وكضربهم الثور إذا امتنعت البقر من الماء ! ويقولون : إن الجن تركب الثيران فتصد البقر عن الشراب .

وكزعمهم أن المقلات وهي التي لا يبقى ولد إذا وطئت قتيلاً شريفاً بقي ولدها وإنما تفعل النساء ذلك بالشريف إذا كان مقتولاً غدراً أو قوة .

وكزعمهم أن الرجل إذا خدرت رجله فذكر أحبّ الناس إليه ذهب عنه الخدر .

وكحذف الصبي منهم سنه إذا سقطت في عين الشمس وقوله : أبدليني بها أحسن منها ، وليجر في ظلمها إياتك ! وزعم العرب أن الصبي إذا فعل ذلك لم تنبت أسنانه عوجاً ولا ثعلاً .

وكزعمهم أن المهقوع وهو الفرس الذي به هقعة إذا ركبه رجل فعرق الفرس اغتلمت امرأته وطمحت إلى غير بعلها .

وكعقدهم السّلع والعُشْر في أذناب الثيران وإضرامهم النار فيها وإصعادهم إياها على تلك الحالة في جبل يستسقون بذلك ويدعون الله ، وهذا إذا حبست السماء قطرها .

وكعقدهم خيطاً يسمونه الرتم في غصن شجرة أو ساقها ، إذا سافر أحدهم وعند رجوعه تفقد ذلك الخيط ، فإن وجده على حاله قضى بأن أهله لم تخنه ، وإن رآه قد حل حكم بأنها قد خانته .

وكزعمهم أن الرجل إذا أراد قرية فخاف وباءها فوقف على بابها قبل أن يدخل فعشّر كما ينهق الحمار ، ثم دخلها لم يصبه وباؤها .

وكزعمهم أن من علق على صدره كعب أرنب لم تقربه الجن ... إلخ)[23] .

وخلاصة القول أن بدايات الشعر غامضة ، وقد زاد ضياع النصوص الأدبية المغرقة في القدم الغموض عتمة ، ولكن الثابت أن الشعر كان إنشاداً دينياً بظن الناس أن أفئدة الآلهة تهش إليه ، ولم يكن النثر أقل حظاً من الشعر .. لكن العرب أمة شعر ، ونرجّح أن الشعر سبق النثر الفني لأسباب كثيرة نوجزها على النحو الآتي :

1 ـ النثر الفني ، وليس النثر الاعتيادية ، لغة العقل ، بينا يكون الشعر لغة العواطف التي تدغدغ الحواس ، وعليه فإن الإنسان القديم كان أسير حواسه وعواطفه ، ومن خلالها يفهم الطبيعة والناس ، وقد احتاج في فترة لاحقة إلى النثر الفني حين نضج عقلياً فازداد وعيه بالمفهومات والمجردات .

2 ـ الإنسان الأول كان ميالاً للإشارة ، فهي عبارته ولغته فقد عبّر عن حاجاته من خلال الإشارة بحركات اليد والوجه والجسد كاملاً ، بما يذكرنا بتمثيل ظهر ابتداء في روما القديمة سمي : (Pantomine) وهو على أي حال فعل يعتمد كلياً على المحاكاة ، وربما اختلط التعبير الواقعي بالتعبير الرمزي الديني ، فكان الرقص ذروة الإشارة وبؤرة اللغة ، فالراقص يعيد إنتاج حياته بالحركات الإيقاعية ! الصيد والحب والجوع والرهبة والرغبة ، وهذا الصنيع أقرب إلى الترانيم الإيقاعية والعاطفية المحمومة ، فنهد الشعر بتكويناته البدائية ليلبي حاجة هذه الطقوس وتخلّف عنه النثر .

3 ـ احتاجت المعابد ضرباً من الإنشاد الموسق بين الشعر والسجع لمخاطبة الآلهة ، وقد لاحظ ذلك المؤرخ هيرودوتس حين زار بابل ، فقد وجد الكهنة يؤلفون بين الكلمات ويكثفون الرموز المتناغمة مع الحركة الطقوسية ، والكلمة الدينية ، بينا تردّد

---

(23) العلوي . محمد أحمد بن طباطبا ت 322 . عيار الشعر ص 37 (سنن العرب وتقاليدها) تح : عباس عبد الساتر . ط1 دار الكتب العلمية بيروت . 1982 .

الجوقة ترانيم الكاهن ، لكي يحفظها المحتفلون ، ويرددوها كي تستمتع الآلهة بترانيمهم[24] وغالباً ما تكون الترانيم موسقة ومقفاة قارن « نستجير بك يا خير ، فكل ما يحدث هو مما صنعت ، بموسم صيد خِنوان مئة أضحية سفحت ، ورأس قبيلة (ذي قسد) رفعت ، وصدر علهان ذي يحير شرحت ، والفقراء في المآدب خبزاً أطعمت ، والعين من أعلى الوادي أجريت ، وفي الحرب والشدة قويت ، ومن يحكم بالباطل محقت ، وغدير (تفيض) لما نقص زيدت ، ولبان (إلْعَز) دائماً ما بيضت ، وسَحَر اللات إن اشتد ظلامه بلّجت ، ومن يجأر ذاكراً نعمك رزقت ، رزقت ، والكرم صار خمراً لما أن سطعت ، وللإبل المراعي الوافرة وسّعت ، والشرع القويم صحيحاً أبقيت ، وكل من يحفظ العهد أسعدت ، وكل أحلاف ذي قسد أبرمت ، والليالي الغدر بالإصباح جليت ، وكل من اعتدى علينا أهلكت ، وكل من يطلب الحظ مالاً كسبت ، وفي (الشعيب) الخصب أزجيت ، وبئر (يذكر) حتى الجمام ملأت ، الحمد يا خير على نعمائك التي قدرت ، وعدك الذي وعدت به أصلحت ، اعتنتنا يا شمس إن أنت أمطرت ، نتضرّع إليك فحتى بالناس ضحيت » .

ومن يقرأ النص الأصلي لهذه الترنيمة الدينية يجدها موسقة ، ويتألف كل بيت من أبياتها السبعة والعشرين من أربع كلمات باستثناء مقطع[11] . وينتهي كل بيت بقافية . لاحظ القوافي التي وردت : هقحك / نسحك / قسحك / فقحك / فذحك / وصحك / هسلحك / كشحك / ربحك / ذو ضحك / فتحك / برحك / كشقحك / فسحك / هصححك / فشحك / هبصحك / تصبحك / نوحك / ربحك / كفقحك / هلجحك / ميحك / توحك / صلحك / تنضحك / مشحك[25] .

---

(24) علي . د . فاضل عبد الواحد . عشتار ومأساة تموز ص 130 مط الجمهورية بغداد 1973 . الحوت . محمود سليم . في طريق الميثولوجيا عند العرب ص 50 . طب مؤسسة خليفة بيروت 1979 . باقر . طه . مقدمة في أدب العراق القديم ص 31 طب دار الحرية بغداد 1976 .

(25) عبد الله . د . يوسف محمد . ترنيمة الشمس (نقش القصيدة الحميرية/صورة من الأدب في اليمن القديمة) ص 22 ثم انظر ص 19 . طب مركز الدراسات والبحوث اليمني . صنعاء 1989 .

4 ـ وإذا كان الشعر إيقاعاً ورموزاً ولم يستوعب الإنشاد والرقص ذلك الإيقاع السمعي البصري الرمزي ، فإن الدارس غالباً ما يجد في الكهوف القديمة صوراً مكررة لرموز يخافها الإنسان مثل الشمس والأسد والأفعى فيرسمها مكررة على الجدران لكي يتسلط عليها وفق مبدأ السحر التشاكلي ، وإلى جانب الصور المكررة خطوط ونقاط ملغزة تسهم بنظرهم في توكيد أحقية الرغبة في التحقيق[26] وربما يكون ذلك نواة للإيقاع البصري والشعر البصري الذي دعت إليه مدارس حداثوية مثل الدادية ولم ينافس النثر الفني الشعر في فتوحاته حتى استعار كثيراً من آلياته مثل التقفية في السجع والتكثيف والترميز والتخييل .. وهذه أمور جعلت النثر تابعاً والشعر متبوعاً .

وأخيراً فإن هذه الأدلة التي اجتهدنا أنها تعزز فكرة أولية الشعر وأسبقيته ، بيد أنها ـ الأدلة ـ لا تمنع تعددية الآراء وتقاطعية الاجتهادات ، فهناك من يرى غير الرأي الذي عرضناه ، لاحتفاظه بمسوغات وأسباب تجعل الأولية للنثر حين يكون النثر حالة أولى (مخنثة) من حالات امتزاج جنسي الشعر والنثر .. ثم وضحت الحدود وانمازت الجنسية .. ويطرح د . حسين الحاج حسن هذا السؤال : أيهما أسبق في الوجود الشعر أم النثر ؟ .

ويذكر رأياً لأرسطو جاء في كتابه فن الشعر الذي ترجمه ابن سينا ينص : (التخييل أسبق في الزمن من التصديق) ، ثم يربط بين رأي أرسطو بأسبقية الشعر وبين رأي د . طه حسين الذي يرى أن الشعر أسبق وجوداً من النثر .. ويعدد أدلة طه حسين التي تسند نظرية أولية الشعر ! ثم يعرض د . حسين رأياً معارضاً لنظرية أولية الشعر فيقول : (نرى أن الرأي المناسب والقريب من الحقيقة أكثر هو أن النثر قد سبق الشعر في النشأة الأدبية في اللغة العربية وفي غيرها من اللغات الأخرى) !! ثم يعدد أدلة أولية النثر على هذا النحو :

(26) الصائغ . د . عبد الإله . الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام ص 241 .
الصائغ . د . عبد الإله . الصورة الفنية معياراً نقدياً ص 17 انظر التمهيد (عرف الإنسان الصورة ورسمها في كهفه شعيرة سحرية ....) .

1 ـ إجماع المستشرقين كلاً أو جلاً على أن السجع هو المرحلة التي سبقت كينونة الشعر ..

2 ـ وجود فنون من النثر الجاهلي قديمة أشار إليها الشعر .

3 ـ الكتب الدينية القديمة نزلت بلغات قومها قبل أن نسمع بالشعر أو النثر .. والأرجح أن لغة هذه الكتب آلت إلى النثر الفني ..

4 ـ الشعر مقيد بالوزن والقافية والنثر أكثر حرية من الشعر[27] ويمكن مناقشة هذه الآراء وجعلها في صالح أولية الشعر ، فهي تتحدث عن الشعر في حالته التي وصلت إلينا من جودة السبك ومتانة الإيقاع .. وهذا الضرب من الشعر لم يدر بخلد أصحاب نظرية أولية الشعر ، فالشعر المقصود هو الترانيم الموسقة التي تعتمد الإشارة قبل العبارة ، والإيقاعات والتكرارات التي لا يشترط الكثير منها الوضوح الدلالي ، وإنما الاشتراط منصرف إلى الوضوح الجمالي ومهما يكن الأمر فما أجمل أن يختلف الباحثون وأن يجتهدوا شريطة أن لا يقعوا في وحل الوهم بامتلاك الحقيقة ، وحرمان الآخرين من حق التحليل والتأويل .. وللمثال فقط نذكر أن جرجي زيدان مطمئن إلى أولية الشعر في حضارة العرب الجاهليين لسبب متفق عليه ، هو أن اللغة العربية أقرب روحاً إلى الشعر لما تمتلكه من حروف يؤدي تجاورها إلى إيقاعات مأنوسة ، ويعدد أسباب التماهي بين العربي ولغته .

1 ـ العربي بفطرته ذو نفس حساسة وشعور راق سريع الطرب ، سريع الغضب ، فيه بديهة وارتجال .

2 ـ إن لغتهم شعرية لما فيها من أساليب الكناية ، والاستعارة ، ودقة التعبير ، وكثرة المترادفات ، مما يسهّل وجود القافية .

(27) الحاج حسن . د . حسين . أدب العرب في عصر الجاهلية . ص 25ـ28 طب المؤسسة الجامعية للدراسات . بيروت 1984 ثم انظر : العاكوب . د . عيسى علي . التفكير النقدي عند العرب ص 113 . طب دار الفكر . دمشق 1997 .

3 ـ صفاء جوهم وتفرغهم للتأمل في الطبيعة ، فإن أهل الجو الصافي تكون أذهانهم صافية وخصوصاً إذا كانوا أهل خيال وتصور مثل العرب[28] .

(28) زيدان . جرجي . تاريخ آداب اللغة العربية 58/1 .

الفصل الثاني

الشعر الجاهلي بين الرواية والتدوين وطبقات الرواة

أثر الشعر في نفس العربي كبير وعميق ، ذلك أمر لا يشك فيه أحد ، فالعربي يعشق الشعر ، ويمحضه اهتمامه وذائقته ، قال رسول الله ﷺ : « لا تدع العرب الشعر حتى تدع الإبل الحنين » .

وقال ﷺ أيضاً : « الشعر كلام من كلام العرب جزل ، تتكلم به في بواديها ، وتسلّ به الضغائن من بينها » .

وقال عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) : الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه[1] .

فإذا أيقنا هذا الجدل المتين بين العربي والشعر ، أيقنا أيضاً أن من طبيعة الإنسان المحافظة على الشيء العزيز ، وبخاصة إذا كان هذا العزيز عرضة للضياع والعطب .

وقد احتفظت الذاكرة الجاهلية بالشعر ، وحافظت عليه ، وكانت أمينة على ما احتفظت وحافظت ، وآية ذلك الآتي :

1 ـ كثرة الشعر الذي وصل إلينا وقلة النثر ؛ لأن الذاكرة بطبيعتها (وطبيعة الشعر) قادرة على الإمساك بالشعر ، وهي أقل قدرة على الإمساك بالنثر ..

---

(1) الجمحي . أبو عبد الله محمد بن سلام . طبقات الشعراء ص 51 وبعدها (الشعر ديوان علم العرب) .
القيرواني . ابن رشيق . العمدة 27/1 (باب في الرد على من يكره الشعر) .
الجرجاني . عبد القاهر . دلائل الإعجاز ص 65 (في الكلام على من زهد في رواية الشعر وحفظه) .

2 ـ احتفاظ الذاكرة الشعرية بنصوص قيلت ، سبقت ظهور الإسلام بقرن ونصف ، أو قرنين (على رأي الجاحظ) . ولم تشأ هذه الذاكرة تحميل طاقتها فوق ما تحتمل ، ولم تشأ أيضاً ادعاء الاحتفاظ بنصوص لا تدخل في حدودها .

3 ـ أهملت الذاكرة شعر فترة طويلة تزيد على العشرين قرناً بسبب من عدم وجود وثائق علمية ومسوّغات لغوية ، فطرحت شعر العرب البائدة ، فإذا قرأنا في هذا المصدر أو ذاك شعراً مزعوماً لشعراء تلك الفترة (الغاطسة) فذلك إنما جاء على سبيل الوهم أو الطرافة .. ومثل ذلك حدث في نصوص الجغرافية والتاريخ والحديث الشريف دون أن يعكّر الوهم الضئيل قيمة اليقين الكبير .

4 ـ لم يكن العرب كما مرّ بنا أجلافاً متوحشين ، بل كانوا أصحاب معارف وعمران وزراعة وتجارة .. فضلاً عن معرفة القراءة والكتابة وقد انصرفت دلالة الأمية (على رأي د . ناصر الدين الأسد ود . علي فهمي خشيم) إلى الأمية الدينية .

5 ـ كانت الرواية في العصر الجاهلي علماً ، وكان الرواة المحترفون ذوي حافظة فائقة ، وخبرة متراكمة ، ومروءة عالية فضلاً عن أنهم علماء يعتمد عليهم الشعراء وجمهورهم معاً في حفظ الشعر ، والتعديلات التي أجريت عليه والمناسبات التي قيل فيها ، فمن الرواة من كان شاعراً أو ابن شاعر .. فراوية الأعشى كان عالماً بلغات العرب وأيامهم والبيطرة ، وصديقاً ملازماً للشاعر في أسفاره ، ومعظم الرواة كان كاتباً حريصاً على تدوين الشعر .

6 ـ أسهم المخضرمون : شعراء ورواة في إيصال محفوظاتهم إلى علماء التدوين في صدر الإسلام مثل لبيد ، وحسان ، والخنساء ، وأبي ذؤيب ، والحطيئة ، وعبيد بن شرية الجرهمي وسواهم كثير .. قال لبيد :

الشاعرون الناطقون أراهم سلكوا سبيل مرقّش ومهلهل[2]

(2) العامري . لبيد بن ربيعة . ديوانه . ص 128 .

وقد ورث الأمويون وبخاصة معاوية وعبد الملك بن مروان صناديق ملأى بمدونات الشعر الجاهلي ! ويبدو أن الفرزدق كان محتفظاً بقصائد جاهلية كثيرة .. فهو القائل :

وهب القصائد لي النوابغ إذ مضوا ... وأبو يزيد وذو القروح وجرول
والفحل علقمة الذي كانت له ... حلل الملوك كلامه لا ينحل
وأخو بني قيس وهن قتلنه ... ومهلهل الشعراء ذاك الأول
والأعشيان كلاهما ومرقّش ... وأخو قضاعة قوله يتمثل
وأخو بني أسد عبيد إذ مضى ... وأبو دؤاد قوله يتنحل
وابنا أبي سُلمى : زهير وابنه ... وابن الفُريعة حين جد المقول
والجعفري وكان بشر قبله ... لي من قصائده الكتاب المجمل
ولقد ورثت لآل أوس منطقاً ... كالسّم خالط جانبيه الحنظل[3]

وقد ذكر الفرزدق في :

ب 1 ـ نابغة بني جعدة وبني ذبيان وذا القروح امرأ القيس الذي أهداه يوستنيانوس عباءة مسمومة .

ب 3 ـ أخا بني قيس : طرفة .

ب 4 ـ أعشى قيس وباهلة .

ب 5 ـ أخا قضاعة : الطمحان القيني .

ب 6 ـ أبا دؤاد : جارية بن عمران .

ب 7 ـ الجعفري : لبيد .

ب 8 ـ أوس بن حجر .

لقد بلغنا الشعر الجاهلي وقد اكتملت آلته ، وتبلورت شعريته ، وامتدت همومه على مساحة عصره فعبّر عنها أحسن تعبير ، وكان من عادة الشعراء الجاهليين اتخاذ

(3) الفرزدق ت 110 هـ . ديوانه ص 463 . شرح علي فاعور . طب دار الكتب العلمية . بيروت 1987 .

رواة لهم ، ووظيفتهم تشبه وظيفة المستشار من جهة والسكرتير العلمي وليس السكرتير الإداري ، فالراوي ملازم للشاعر في حله وترحاله ، أفراحه وأتراحه ؛ يدوّن ما يسمع ، ويحفظ ما يدوّن ، ويقفّي للشاعر ويذكّر ، وقد يسأله الشاعر عن معنى خفي أو عبارة مختلطة فيجيبه ، أو يستشيره في أمر يتصل بالشعر والتجربة فيشير عليه ، وكان من عادة الرواة أنهم يعتمدون على قوة حافظتهم وذاكرتهم أولاً ، ثم يدونون محفوظاتهم في صفحات ذات طبائع مختلفة ، مثل الرق (جلد الغزال) والرقّ (الطين الرقيق المشوي مع الرصاص) ، والقضيم (الجلد الأبيض) ، والأدم (الجلد المدبوغ) ، والمهارق (القماش) والعسب (جريد النخل) ، واللخاف (الحجارة) ، وعظام الكتف والأضلاع والموسولييني (قماش موصلي) ، والدمقسي (قماش دمشقي) والقتب (خشب الرحل) والجدران الصقيلة والقرطاس والورق والأزلام (الأسهم) .

وقد وردت هذه المسميات في الشعر الجاهلي دليلاً على شيوعها !

أ . حسان بن ثابت :

عرفت ديار زينب بالكثيب　　كخط الوحي في الورق القشيب

ب . طرفة بن العبد :

كسطور الرق رقشه　　بالضحى مرقش يشمه
وخد كقرطاس الشآمي ومشفر　　كسبت اليماني قِدّه لم يجرّد

جـ . امرؤ القيس :

لمن طلل أبصرته فشجاني　　كخط زبور في العسيب يماني

د . الأعشى :

ربي كريم لا يكدّر نعمة　　وإذا يناشد بالمهارق أنشدا

هـ . الحارث اليشكري :

حـذر الجور والتعـدّي وهـل ينـ ـقض مـا في المهـارق الأهـواء

و . لبيد العامري :

فـدافـع الريـان عرّى رسمهـا خلفـا كما ضمن الـوحي سلامهـا

ز . النابغة الذبياني :

كأن مجرّ الرامسـات ذيـولهـا عليـه قضيم نمقتـه الصـوانـع

ح . المرقش الأكبر :

الـــدار قفر والرســـوم كما رقّش في ظهر الأديم قلم

ط . حاتم الطائي :

أتعرف أطـلالاً ونـؤيـاً مهـدّمـا كخطـك في رق كتـابـاً مننمـا

ى . معقل بن خويلد :

وإني كما قـــال مملي الكتـــا ب في الرقّ إذ خطّـــه الكاتب

وقد اعتادت العرب كتابة عهودها وعقودها ومواثيقها وقصائدها وتعليقها على أماكن مهيأة لها في أبواب المدن ، وأسواقها وأستار الكعبة ، ومداخل الأحياء .

ونقل إلينا ابن هشام خبر الصحيفة المشؤومة التي كتبتها قريش وركزت فيها على مقاطعة بني هاشم وأهل بيت النبي ﷺ : (اجتمعوا وائتمروا بينهم أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني عبد المطلب على أن لا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعوهم شيئاً ولا يبتاعوا منهم ، فلما اجتمعوا لذلك كتبوه في صحيفة ،.. ثم علقوا

الصحيفة في جوف الكعبة ...، وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة فدعا عليه رسول الله ﷺ فشل بعض أصابعه)[4] .

وكان أبو جهل يحسن الكتابة[5] أما الشفاء العدوية فقد احترفت التعليم في الجاهلية ، كما احترف العباديون الذين استوطنوا الحيرة واليمامة تعليم القراءة والكتابة والحساب ، وحين أشرق الإسلام كان عدد الذين يقرؤون ويكتبون غير قليل ، ولنا أن نتذكر كيف طلب النبي ﷺ من أسرى قريش مفاداة أنفسهم بأن يقوم كل أسير بتعليم عشرة من صبيان المسلمين .

وذكر البلاذري أن زيد بن ثابت كان يكتب ويقرأ بالعربية والعبرية ، وذكر أسماء الشعراء الذين يحسنون كتابة قصائدهم مثل عدي بن زيد العبادي ولقيط بن يعمر الإيادي وسويد بن الصامت الأوسي ، والربيع بن زياد العبسي ، والمرقش الأكبر وأخيه حرملة وكعب بن مالك الأنصاري ، ولبيد العامري ، وزهير بن أبي سُلمى ، وعبد الله بن رواحة ، وبجير وكعب ابني زهير[6] أما صاحب حصن الأخيضر قرب عين التمر وأمير دومة الجندل ، فكان يكتب القصائد والأخبار ، وقد استعانت قريش بأخويه بشر وحسان لتعليم رجالها وصبيانها ففعلا ، وكان أمير الدومة أكيدر بن عبد الملك السكوني يفخر على قريش بصنيع أخويه[7] فالكتابة لم تكن معدومة كما تهيأ لعدد من الدارسين ، فقد استدعت الحياة عهد ذاك كتاباً يمسكون الحسابات التجارية ، وكهنة يطالعون التوراة والإنجيل وقيل : إن الجاهليين كانوا يعرفون صحف إبراهيم عليه السلام ، ويقرؤون فيها ، وقد قال الأعشى حين نوى الإسلام لأبي سفيان :

(4) هارون عبد السلام محمد . تهذيب سيرة ابن هشام ص 75 (خبر الصحيفة) .

(5) هارون . عبد السلام محمد . تهذيب سيرة ابن هشام ص 123 .

(6) البلاذري . أحمد بن يحيى بن جابر 279 . فتوح البلدان ص 477 ثم 305 . طب مكتبة النهضة مصر 1956 .

(7) انظر في ذلك : الحموي . ياقوت بن عبد الله ت 626 هـ معجم البلدان 325/2 طب إحياء التراث العربي بيروت 1997 . وانظر الآلوسي . محمود شكري بن عبد الله ت 1342 . بلوغ الأرب 382/3 تح محمد الأثري . مط الرحمانية مصر 1924 .

إنني قرأت في الكتب أن نبياً قد بعث ، وقد حذق الأعشى العربية والفارسية والتركية وحذق لقيط الإيادي وعدي بن زيد العبادي العربية والفارسية ، واشتغل كل منهما ترجماناً في بلاط كسرى ، أما ورقة بن نوفل ورهطه فكانوا يكتبون بالعربية العبرية ، وسواهم كان يكتب بالسريانية والرومية والقبطية والحبشية[8] وقد علل د . ناصر الدين الأسد ود . علي فهمي خشيم دلالة الأمية التي وصم بها الجاهليون على نحو تختلف عن الفهم السائد ! والدكتور الأسد يرى أن الأمية التي وردت في [آل عمران : 75/20] [الجمعة : 2/62] ليست أمية قراءة وكتابة (غير أن هذا الوصف بالأمية لا يعني الأمة الكتابية ولا العلمية وإنما يعني الأمية الدينية أي أنهم لم يكن لهم قبل القرآن الكريم كتاب ديني ومن هنا كانوا أميين دينياً ، ولم يكونوا مثل أهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين كان لهم التوراة والإنجيل) ، ثم استشهد بآيتين من سورة [البقرة : 79/78] ليقرر بعدها (أن معرفة الجاهليين بالكتابة العربية قد امتدت في الجاهلية ثلاثة قرون على أقل تقدير وأن ذلك ثبت بالبرهان القاطع والدليل المادي الملموس الذي لا سبيل إلى دفعه)[9] .

وكما شاعت مفردات تتصل بآلية الكتابة مثل : رقّش نمق سطّر ، غنم ، خطّ ، زخرف ، نحت ، حكك ، رسم ، زُبُر ، أقلام ، أديم ، نمق ، نظم[10] فقد شاعت أيضاً مفردات الصحيفة والكتاب .

أ . لقيط الإيادي :

سلام في الصحيفة من لقيط ... إلى من في الجزيرة من إياد
هذا كتابي إليكم والنذير لكم ... لمن رأى رأيه منكم ومن سمعا[11]

(8) انظر هامش 5 ص 44 والأصبهاني . أبو الفرج . الأغاني 101/2 .

(9) الأسد . د . ناصر الدين . مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ص 44 ثم ص 26 .

(10) الصائغ . د . عبد الإله . الصورة الفنية معياراً نقدياً ص 23 (فقرة ، رذاذ الصور في الشعر الجاهلي) .

(11) الصائغ . عبد الإله . صحيفة لقيط الإيادي (تحليل نص) . مجلة الطليعة الأدبية . عدد الشهر الثاني 1979 . بغداد .

ب ـ زهير بن أبي سلمى :

يؤخرّ فيوضع في كتاب فيدّخر ليوم الحساب أو يعجّل فينقم[12]

جـ ـ لبيد العامري :

بين ابن قطرة وابن هاتك عرشه ما إن يجود لوافد بخطاب[13]

العرب من خلال نصوص الشعر والوثائق التاريخية ، أمة عرفت الكتابة ، وكانت تؤرّخ جل الأحداث ، وقد كشفت الحفريات في شمال الجزيرة عن عدد من النقوش لا يستهان به ، بينها نقش وُجد على قبر امرئ القيس بن عمرو ملك العرب في النمارة ، يعود ميقاته إلى سنة (328 ميلادية) ، وحروف هذا النقش عربية !![14] فكل دراسة لتدوين الشعر الجاهلي تظل مبتورة (ما دامت رمال الجزيرة تضن بهذه الكنوز التي ترقد في بطونها)[15] .

أما في جنوب الجزيرة فما فتئ الإرث الشعري أسير الحدس والفرضيات رغم الكشوفات (المفرحة) التي أنقذت مئات الألواح الطينية من التلف والغياب ، إلا أن جل الألواح المكتشفة تمثل توريخات الجماعات العربية بما يعوّل عليها قول أشياء جديدة ، يقول الأستاذ عبد العزيز المقالح : « إن تاريخ اليمن القديم لم يكتب حتى الآن » ، والذي كتب منه يمثل أقل القليل ، ومن هذا الأقل نهضت (الحقيقة التي أثبتها الباحثون) كما يقول الأستاذ المقالح وهي : « إن سفر أيوب إنما كتب في بلاد

---

(12) التبريزي . أبو زكريا يحي بن علي ت 502 هـ . شرح القصائد العشر ص 115 طب دار الجيل بيروت (د : ت) .

(13) العامري . لبيد . ديوانه ص 19 .

(14) علي . د . جواد . المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام 124/3 .

(15) الأسد . د . ناصر الدين . مصادر الشعر الجاهلي ص 31 .

العرب اليمنيين في القرن العشرين قبل الميلاد ، وقد نظم هذا السفر شعراً ، ثم ترجمه اليهود إلى العبرية نثراً ، وأدخلوه ضمن أسفارهم المقدسة »[16] .

والنقوش التي اكتشفت ووثقت في أنقاض محرم بلقيس ستضيء عتمات كثيرة تتصل بحروف المسند وأواصرها بالحروف التقليدية ، ومعظم المعلومات التي قالتها النقوش تمتلك فاعلية باقية ، فقد ذكرت عدداً من القبائل اليمنية المعروفة اليوم مثل (بني كبسي) فضلاً عن ورود مفردتي (عرب/أعراب)[17] .

ولكننا لن ننتظر خواتيم عمليات التنقيب ، فقد تستمر قرناً أو أكثر في حياتنا البطيئة التي تغمض عينيها ، وتغلق أذنيها عن المتغيرات العجائبية التي شهدتها التسعينيات ، من نحو ثورة المعلومات التي تمثلت في الأنترنيت ، وبرامج الحاسوب كما تمثلت في الهندسة الوراثية والاستنساخ .!!. لكن الذي لا يدرك كلُّه لا يترك جلُّه ، فإن بمقدورنا ترميم صورة تاريخ التدوين الأدبي استناداً إلى آلياتنا التقليدية المتاحة ، يقول الشاعر والمفكر الأستاذ عبد العزيز المقالح : « ومعلوم أن لكل شعب أكثر من تاريخ ، وفي المقدمة التاريخ الرسمي الذي يدوّن الحوادث من وجهة نظر سياسية ، تحتمل الصواب والخطأ ، وتاريخ علمي يعتمد الآثار والنقوش ، وأصحابه لا يقبلون أحياناً بأقل من أن يمسكوا التاريخ بأيديهم ، ولذلك يمكنهم نفي أهم الأحداث التي أجمع عليها كل المؤرخين ، وإذا لم يجدوا تمثالاً أو نقشاً لهارون الرشيد ، أو صلاح الدين الأيوبي فإنها شخصيتان أسطوريتان !! وثالث التواريخ هو التاريخ الأدبي إذا جاز لي استخدام هذا الوصف ـ وهو الذي يعتمد الشعر والأساطير والحكايات والمرويات التي تتناقلها الأجيال ، وهو في تقديري ـ لا يقل أهمية عن التاريخين السابقين ، لأنه يقوم

---

16) المقالح . د . عبد العزيز (تقديم) نقوش مسندية وتعليقات تأليف مطهر علي الإرياني . ص 17 سبينوزا . رسالة في اللاهوت والسياسة . ص 292 وقد أشار سبينوزا وهو يهودي إلى أن شاعراً من اليمن كتب أجزاء من التوراة لليهود . ترجمة د . حسن حنفي طب الهيئة المصرية 1971 .

17) الإرياني . مطهر علي . نقوش مسندية وتعليقات ص 104 نقش 12 ثم ص 42 نقش 1 .

على رصد الوشائج العميقة التي تربط الإنسان بأسلافه من جهة ، ولأنه ـ من جهة ثانية ـ يشكل الجزء المهم من المخزون الحي للذاكرة الشعبية التي قد تضيف بعض الألوان إلى الحدث لكنها لا تختلف ولا تنسى)[18] وقد مرّ بنا عناية الشعراء وقبائلهم وجمهورهم بالرواية والرواة ، وكان الراوي متميزاً بالحفظ والتذكّر والمروءة ، فأبو ضمضم ، ولم يكن بأروى الناس كما يقول ابن قتيبة ، بلغ التّسعين وأنشد لصبيان جاؤوه ليسمروا عنده لمئة شاعر ، وقال مرة أخرى لثمانين شاعر كلهم اسمه عمرو[19] وهناك آلية معتمدة لكشف فساد الرواية ، فقد يكون الرجل عالم سيرة بيد أنه لا يصلح لرواية الشعر « وكان ممن هجن الشعر وأفسده ، وحمله كل غثاء محمد بن إسحاق ، وكان من علماء الناس بالسير وكان يعتذر ، ويقول : لا علم لي بالشعر ، وإنما أوتى به فأحمله)[20] ويقول الجمحي في خلف الأحمر : « أجمع أصحابنا أنه كان أفرس الناس ببيت شعر وأصدقهم لساناً ، كنا لا نبالي إذا أخذنا عنه خبراً أو أنشدنا شعراً أن لا نسمعه من صاحبه »[21] أما حماد الراوية فقد قال فيه الأصمعي : « كان حماد أعلم الناس » .

وسأل الوليد بن يزيد حماداً : « بم استحققت هذا اللقب فقيل لك الراوية ؟ فقال : إني أروي لكل شاعر تعرفه يا أمير المؤمنين أو سمعت به ، ثم أروي لأكثر منهم ممن تعرف أنك لم تعرفه ، ولم تسمع به ، ثم لا أنشد شعراً لقديم ولا محدث إلا ميزت القديم منه من المحدث ، فقال : إن هذا العلم وأبيك كبير ، فكم مقدار ما تحفظ من الشعر ؟ قال : كثير ، ولكنني أنشدك على كل حرف من حروف المعجم مئة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعر الجاهلية ، قال : سأمتحنك في هذا ، وأمره بالإنشاد فأنشد الوليد حتى ضجر ، ثم وكل به من استخلفه أن يصدقه عنه ، ويستوفي عليه ،

(18) المقالح . د . عبد العزيز . البحث عن طفولة بلقيس في قرية سحر يوميات الثورة . جريدة الثورة اليمنية في 1998/11/24 .

(19) ابن قتيبة . الشعر والشعراء 22/1 (مقدمة الكتاب) .

(20) الجمحي . طبقات الشعراء ص 44 .

(21) المصدر نفسه ص 50 .

فأنشده ألفين وتسع مئة قصيدة للجاهليين)[22] وهذا يرينا القدرة العجائبية للراوي وطرائق المعنيين في اختبار آليات الراوي ، وأمانته وعلمه ، وفي كتب الأدب الموثوقة أخبار كثيرة عن قدرات الراوي في الموازنة بين الشعراء ومعرفة أساليبهم ، وربما نافس الشاعر راويته في القدرة على استظهار ما يحفظ ، وكان بشار يحفظ كلّ شعره قال مرة : « لي اثنا عشر ألف قصيدة ، لعنها الله ولعن قائلها إن لم يكن في كل واحدة منها بيت عين » .

وحين يتعجب الناس من فصاحته وبراءته من الخطأ كان يقول : « ومن أين يأتيني الخطأ وقد ولدت ها هنا ، ونشأت حجور ثمانين شيخاً من فصحاء بني عقيل ، ما فيهم رجل يعرف كلمة من الخطأ » . ثم ذكر أنه نشأ في وسط فصيح شمل النساء أيضاً ، وذهب إلى البادية للفصاحة « وإن دخلت إلى نسائهم فنساؤهم أفصح منهم ، وأيفعت فأبديت إلى أن أدركت فمن أين يأتيني الخطأ)[23] ولا نريد الاستطراد ، فإذا كان هذا حال العصر الأموي والعباسي ، وقد شغل هذان العصران بمشاغل لا حصر لها .. ولثبت القدرة على النحو الذي مرّ بنا .. فما حال رواة العصر الجاهلي وشعرائه ، وكانوا منصرفين للشعر والرواية ، وليس ثمة شيء حقيقي يشغلهم ، وقد عرف الجاهليون الوراقة ضمن دائرة ضيقة ، ولم يجد المسلمون مشقة في كتابة الوحي والأحاديث الشريفة ، حتى إن الخليفة عمر (رضي الله عنه) أحرق عدداً من الكتب التي كتبها الكهنة والنسّابون الجاهليون مخافة أن تضل الناس ، وكان الشعر الجاهلي حسن الحظ فقد وجد من العلماء الكبار من يتعصّب له ويقيّده ويعتدّه معياراً للجودة فيدرسه ويحلله ، ويميّز أصيله من دخيله ، نذكر من هؤلاء 1 ـ دغفل بن حنظلة بن زيد الذهلي (ت 65 هـ) . 2 ـ عبيد بن شرية الجرهمي (ت 67 هـ) . 3 ـ عبد الله بن عباس (ت 87 هـ) . 4 ـ الفرزدق (ت 115 هـ) . 5 ـ أبا عمرو بن العلاء

(22) الأصبهاني . أبو الفرج . الأغاني (كتبخانة) 3/24ـ26 .

(23) المصدر نفسه 5/156 .

(ت 154 هـ) . 6 ـ حمـــاد الراويـــة (ت 156 هـ) . 7 ـ المفضّـل الضبي (ت 178 هـ) . 8 ـ خلف الأحمر (ت 180 هـ) . 9 ـ محمـــد بن الســـائب الكلبي (ت 204 هـ) . 10 ـ أبو عبيـدة معمر بن المثنى (ت 210 هـ) . 11 ـ أبـو عمرو الشيبـاني (ت 213 هـ) . 12 ـ الأصمعي (ت 216 هـ) . 13 ـ ابن الأعرابي . محمـد بن زيـاد (ت 231 هـ) . 14 ـ ابن سلام الجمحي (ت 232 هـ) .

وفي المصادر الأدبية أمثلة ووثائق غنية في الطرافة تعكس لنـا (استهتـار) معظم أولئك العلماء الرواة بالشعر الجاهلي ، حتى ليمكن نعتهم بأنهم عصبة الشعر الجاهلي دون أي شعور بالمبالغة أو التجني فدغفل كما يقول الجاحظ : « لم يدرك الناس مثله لسـاناً وعلمـاً وحفظـاً »[24] وعبيـد بن شريـة ذكر أخبـاره السجستـاني في (المعمرون والوصايا) . فقد عاش شطراً من حياته في الجاهلية ، وعمّر فكان معـاويـة يستقـدمـه ويستكتبه في أشعار العرب وأيامها[25] وعبد الله بن عباس كان يقرأ حمل جمل ، فـإذا سئل عن معنى في القرآن الكريم قال : « إذا سألتم عن شيء من غريب القرآن فالتمسوه في الشعر الجاهلي » ، ومحاوراته مع نافع بن الأزرق معروفة[26] .

أمـا الفرزدق فقـد مرّت بنـا أخبـاره ، قـال يونس النحوي (ت 182) : « لولا شعر الفرزدق لـذهب نصف أخبـار العرب »[27] . وننقل عن أبي عمرو العلاء : « قـال الأصمعي جلست إلى أبي عمرو عشر حجج ما سمعته يحتج ببيت إسلامي ! وقـال مرة : لقد كثر هذا المحدث وحسن ، حتى هممت أن آمر فتياننا بروايته ! وقـال أبو عبيـدة : كان أبـو عمرو أعلم النـاس بـالعرب والعربيـة ، وبـالقراءة ، والشعر ، وأيـام النـاس .

(24) الجاحظ . البيان والتبيين (تح السندوبي) 304/8 .

(25) السجستاني . أبو حاتم سهل بن عثمان ت 250 . المعمرون والوصايا . تح عبد المنعم عـامر . طب إحيـاء الكتب ـ القاهرة 1961 .

(26) السيوطي . المزهر 302/2 وانظر : ابن الأزرق . نـافع الحروري ت 65 . سؤالات نـافع بن الأزرق إلى عبد الله بن عباس . تح إبراهيم السامرائي . مط المعارف بغداد 1968 .

(27) الجاحظ . البيان والتبيين (السندوبي) 304/1 .

وكانت كتبه التي كتبها عن العرب الفصحاء قد ملأت بيتاً له إلى السقف ! وكان عامة أخباره عن أعراب قد أدركوا الجاهلية »[28] .

أما ابن الكلبي فيكفيه أنه أنجز ثلاثة كتب مهمة وهي (الأصنام) و (الخيل) و (الأسواق) وهذه الكتب حفظت أفانين من الشعر الجاهلي لا يمكن إغفالها !!

أما أبو عمرو الشيباني فكان معمّراً ، شغوفاً بالشعر الجاهلي ، ولديه منه ما يثقل ظهر أربعة جمال بازلة ، تنتقل معه حيث شاء ، وقد تتلمذ على المفضل الضبي[29] .

وحكاية تعصّب ابن الأعرابي للشعر القديم (الجاهلي) معروفة ، فهو الذي تلعّبه أبو تمام حين قرأ عليه أرجوزته ، وكذب عليه مدعياً أنه عثر عليها في سفط قديم فأمر ابن الأعرابي خادمه أن يكتب هذه الأرجوزة العزيزة ! وحين اطمأن أبو تمام إلى إعجاب الشيخ بأرجوزته : (هذا والله لهو الديباج الخسرواني) اعترف لشيخه أن الأرجوزة كتبت لليلتها فغضب الشيخ ، وقال لغلامه : « خرّق خرّق لا جرم أنها بادية السخف فطيرة النسج » .

وقد نقل إلينا شاهد عيان ما يفيد أنه كان يقرأ كتباً في الشعر الجاهلي ينظر فيها ويوازن بينها فإذا دعاه داع احتج بوعكة أو ضيف حتى لا يترك ما بين يديه[30] .

وصفوة القول أن الشعر الجاهلي كنز لم يفرّط فيه العرب ، بل اهتموا به اهتماماً بالغاً ، فهو ديوانهم وعلمهم الصحيح ، فحلّلوه تحليلاً علمياً ، ولم يهملوه على مرّ تاريخهم ، فكل حدث يحيلهم إلى الشعر ، وآية ذلك أن كتّاب الشعر ومدوّنيه لم يطلسوا الشعر الذي ورد فيه ذكر الأصنام ، والغزل الماجن والخمرة الصريحة ، والهجاء المقذع ،

---

(28) المصدر نفسه 303/1 .

(29) ابن خلكان . وفيات الأعيان 65/1 .

(30) انظر أخباره : البيان والتبيين (فهرست الأعلام) ثم انظر الزجاجي . أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق ت 339 هـ . مجالس العلماء (فهرست الأعلام) تح عبد السلام هارون . مط المدني ، مصر 1983 .

والرثاء الموجع ، والمديح الكاذب ، مع عمق إيمانهم ، وثبات عقيدتهم ، فهم ذوو منهج يضع الشعر الجاهلي في إطار عصره الذي سبق الإسلام ، وإنما نهى الإسلام الشعراء المسلمين عن محاكاة الشعر الجاهلي في ضلالته ومروقه ..

طبقات الرواة

راوي الشعر ليس بنكاً يحفظ فيه الشعر ويسحب منه ، متى أراد الشاعر أو جمهوره فحسب ، وإنما هو عالم بفنون الشعر وأساليبه وطرائقه ، وهو إلى هذا ناقد حصيف قادر على التمييز بين الغث والسمين ، والجميل والأجمل ، فضلاً عن إلمامه بعدد من علوم زمانه ، مثل التاريخ ، والنسب والراوي مثل ربان سفينة الشعراء وبيده سكانها !

دار بين الخليل بن أحمد وبين ابن مناذر كلام فقال له الخليل : إنما أنتم الشعراء تبع لي ، وأنا سكان السفينة إن قرّضتكم ، ورضيت قولكم ، نفقتم وإلا كسدتم »[31] .

وكان الراوية خلف الأحمر ناقداً لا يجاريه في زمانه ناقد . « أبو عمرو بن العلاء وأصحابه لا يجرون مع خلف الأحمر في حلبة هذه الصناعة ، أعني النقد ، ولا يشقون له غباراً لنفاذه فيها وحذقه بها وإجادته لها .. وحكي أن رجلاً قال لخلف الأحمر : ما أبالي إذا سمعت شعراً استحسنته ما قلتَ أنت وأصحابك فيه !! فقال له : إذا أخذت درهماً تستحسنه ، وقال لك الصيرفي : إنه رديء ، هل ينفعك استحسانك إياه ؟ »[32] .

فالرواية ليست عملاً (بنكياً) وإنما هي صناعة صعبة تتطلب صبراً ومروءة ، وثقافة عريضة ، وموهبة أكيدة ، حتى قال الباقلاني : « علماء الشعر أندر من الكبريت الأحمر » . وسبب الندرة يُحيلنا إلى مشقة الرواية ومكابداتها ! يقول الجمحي : « وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات)[33] .

(31) الأصبهاني . الأغاني (كتبخانة) 16/17 .

(32) القيرواني . العمدة 117/1 .

(33) الجمحي . طبقات الشعراء (تح الطباع) ص 43 .

وإذا صنفنا رواة الشعر الجاهلي ألفيناهم خمس طبقات ، قارن..

1 ـ الرواة الشعراء 2 ـ رواة الشعر 3 ـ رواة القبيلة 4 ـ الرواة العلماء 5 ـ الرواة الوضاعون .

1 ـ الرواة الشعراء :

تختلط وظيفتا الشعر والرواية في العصر الجاهلي فقد يكون الشاعر راوياً ، والراوي شاعراً ، وبدهي أن يكون الشاعر راوية نفسه حين يستدعي الأمر ، وقد يروي لشاعر آخر بدواعي التلمذة ، أو الإعجاب ، أو مصلحة القبيلة ، والشاعر الفحل عند النقاد هو الشاعر الراوي ؛ لأنه يضيف خبرة إلى خبرة ، ويوشّ أسلوباً إلى أسلوب فيغتني شعره ، ولنا أن نلاحظ سلاسل الرواية ـ وكأنها مدارس ، على تعبير زماننا ، وقد تمتد السلسلة إلى عصور لاحقة فزهير كان راوية لخاله بشامة بن الغدير وراوية أيضاً لزوج أمه أوس بن حجر : أوس بن حجر ← زهير بن أبي سُلمى ← كعب بن زهير ← الحطيئة ← هدبة بن الخشرم ← جميل بن معمر ← كثير[34] .

قال الأصبهاني : « وهدبة شاعر فصيح كان يروي للحطيئة ، والحطيئة يروي لكعب بن زهير ، وكعب يروي لأبيه زهير ، وكان جميل راوية هدبة ، وكثير راوية جميل . فلذلك قيل : إن آخر فحل اجتمعت له الرواية إلى الشعر كثير »[35] .

وقال ابن قتيبة : « وكان زهير راوية أوس بن حجر . وكان زهير أستاذ الحطيئة ، ومع أن أبا زهير كان شاعراً إلا أنه لم يرو زهير له »[36] .

---

(34) الجادر . د . محمود عبد الله . شعر أوس بن حجر ورواته الجاهليين ص 75 طب دار الرسالة بغداد 1979 .

(35) الأصبهاني . الأغاني (كتبخانة) 169/21 .

(36) ابن قتيبة . الشعر والشعراء 73/1 ثم 77 .

ولهذه المدرسة أسلوبها الخاص ، وكان الأصمعي يقول زهير والحطيئية وأشباههما عبيد الشعر ؛ لأنهم نقحوه ، ولم يذهبوا به مذهب المطبوعين[37] وكان الأعشى يروي للمسيّب بن علس .

2 ـ رواة الشعر :

اعتمد الشاعر الجاهلي على راوية يحفظ شعره ، ويستذكره ، وكان راوية الأعشى مثلاً عالماً بالرواية ، والشعر ، وأيام العرب ، والإبل ، وهو صحيبه في حله وترحاله واسمه (عبيد) ذكره الأعشى في شعره مشيراً إلى خبرته بطب الإبل ..

لم تعطفنّ على حـــوار ولم يقـ طـع عبيـد عروقهـا عن خَمال

(عن عبيد راوية الأعشى قال قدمت على النعمان فأنشدته :

إليك أبيت اللعن كان كلالها تروح مع الليل التام وتغتدي

حتى أتيت على آخرها فخرج إلى ظهر النجف ، فرأيته قد اعتمّ بنباتة بين أحمر وأصفر وأخضر ، وإذا فيه من هذه الشقائق شيء لم أر مثله ، فقال : ما أحسن هذه الشقائق احموها ، فحموها فسمي شقائق النعمان[38] .

وكان عبيد يسأل الأعشى عن معاني شعره الخبيئة ، فقد سأله مرة عن معنى :

ومدامة مما تفتّق بابل كدم الذبيح سلبتها جريالها

(وكان عبيد يصحب الأعشى ويروي شعره ، وكان عالماً بالإبل)[39] .

وقيل : إن للأعشى راوية آخر هو يحي بن متى ، وقيل أيضاً : إن يحي هو عبيد .

---

(37) المصدر نفسه . الشعر والشعراء 77/1 .

(38) المصدر نفسه 161/1 .

(39) المصدر نفسه 161/1 .

أما امرؤ القيس فكان راوية لأبي دؤاد الإيادي ، وقد أملى امرؤ القيس كثيراً من أشعاره على راويته وكذلك لبيد وبقية الشعراء الجاهليين ، حتى باتت الرواية جانباً مظهرياً ، فقد تعرف قيمة الشاعر من خلال قيمة الراوي ومنزلته الاجتماعية والعلمية بين الناس ..

3 ـ رواة القبيلة :

صراع القبائل العربية على السلطة والمجد ، أحوجها إلى سلاح الشعر ، فقد كانت القبيلة تحتفل إذا نبه اسم شاعر فيها ، فتقيم الولائم والأفراح ، فقد كان عند النعمان بن المنذر ديوان فيه أشعار الفحول ، وما مُدح به هو وأهل بيته ، وربما أثيرت مسألة النحل بسبب تفاخر القبائل العربية بالمآثر والحروب ، وقد « استقل بعض العشائر شعر شعرائهم وما ذهب من ذكر وقائعهم ، وكان قوم قلت وقائعهم وأشعارهم وأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار ، فقالوا على ألسن شعرائهم » .

ويطمئن ابن سلاّم الحريصين على دقة الرواية فيقول : « وليس يشكل على أهل الظلم زيادة ذلك ، ولا ما وضع المولدون » .

وكان أبو عبيدة يسأل داود بن متمم بن نويرة عن شعره أبيه ! ويرينا ابن سلام خارطة الشعر الجاهلي وفق القبائل فيقول : « وكان شعراء الجاهلية في ربيعة أولهم المهلهل ، والمرقشان ، وسعد بن مالك ، وطرفة بن العبد ، وعمرو بن قميئة ، والحارث بن حلزة ، والمتلمس ، والأعشى ، والمسيب بن علس ، ثم تحول في قيس فمنهم النابغة الذبياني وهم يعدوّن زهيراً وابنه كعباً ولبيداً والنابغة الجعدي والحطيئة والشماخ ومزرداً وخداش بن زهير من غطفان ثم آل ذلك إلى تميم »[40] .

ولشدة تعلق قبيلة تغلب بشاعرها عمرو بن كلثوم فقد حفظت معلقته وافتخرت بها على القبائل حتى قيل :

(40) الجمحي . طبقات الشعراء (تح الطباع) 55 .

ألهى بني تغلبٍ عن كل مكرمـة قصيدةٌ قالهـا عمرو بن كلثوم

وكما سأل أبو عبيدة ابن متمم عن شعر أبيه ، فقد كان عدي عُمّر طويلاً ، وروى عن أبيه حاتم ، ويسأل عن أبيه فيجيب ، وقيل : إن (سعيد بن غريض) وقد عُمّر هو الآخر ، وكان ينشد شعر أبيه السموءل لمعاوية . وروي أن النبي ﷺ سأل عمن يستطيع إنشاده شعر أمية بن أبي الصلت فنهض الشريد بن سويد ، وهو من ثقيف قبيلة أمية بن أبي الصلت ، وأنشده شعر أمية وهو مغتبط ؛ لأن النبي ﷺ استنشده شعر فرد من قبيلته[41] وتنقل أخبار عبد الملك بن مروان أنه أحب أن يسمع قصيدة ذي الإصبع العدواني كاملة :

عـــذير الحي من عـــدوان كانـــوا حيـــة الأرض

فنهد شيخ من عدوان وقال أنا أحفظها ، وبدأ يقرأ عليه وعبد الملك مغتبط ، وحين أتم الشيخ إنشاد القصيدة كافأه عبد الملك مكافأة مجزية ، وأنس به قائلاً : « ادن مني فإني أراك بقومك عالماً »[42] .

4 ـ الرواة العلماء :

الرواية علم وفن ، والعرب ذوو عناية بالغة بآلية الرواية ، وقد مرّ بنا أمر العلماء الرواة ، وقد نضيف إلى ذلك المروءة ، فأبو عمرو بن العلاء أحرق كتبه التي كانت تملأ غرف داره إلى السقوف ، لأنه خشي أن يكون فيها حرف لا يرضي الله ، وهو من هو في المروءة العلمية والأمانة .

وكان الأصمعي يتحرّج فلا يروي شعر الأنواء ، وإنما ينصح السائل أن يذهب إلى راوٍ آخر يمنحه ما يريد ، وكان أولئك الصفوة من العلماء مخازن ثمينة للشعر والمعلومات

(41) السيوطي . عبد الرحمن جلال الدين . ت 911 هـ . المزهر 209/2 تح محمد جاد المولى وصاحبيه . طب دار إحياء الكتب . مصر . (د : ت) .

(42) الأصبهاني . الأغاني (كتبخانة) 4/3 .

التي تمثل ثقافة العصر ، فثمة راو لأشعار الفراسة ، وآخر اختص بالفروسية ، وثالث بالأنواء ، ورابع بالأخلاق وخامس بأيام العرب ، وسادس بالغزل ، وسابع بالهجاء والقائمة تطول . وكيف لا يكون الرواة علماء أمناء ، وهم مسكونون بهاجس خدمة القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف ، والنحو ، والصرف ، والبلدان ، وكان أولئك العلماء سبباً في تسليط الضوء على قيمة الشعر الجاهلي .

يقول ابن سلام : « أجمع أصحابنا أنه ـ خلف الأحمر ـ كان أفرس الناس ببيت شعر ، وأصدقهم لساناً ، كنا لا نبالي إذا أخذنا عنه خبراً أو أنشدنا شعراً أن لا نسمعه من صاحبه ، وكان أبو عبيدة والأصمعي من أهل العلم . وأعلم من ورد علينا من غير أهل البصرة المفضل الضبي الكوفي ، ففصلنا الشعراء من أهل الجاهلية والإسلام والمخضرمين فنزّلناهم منازلهم ، واحتججنا لكل شاعر بما وجدنا له من حجة ، وما قال فيه العلماء »[43] .

5 ـ الرواة الوضّاعون :

الخيانة العلمية ، ليست ابنة عصر دون عصر ولا قرينة مكانٍ دون آخر ، فما دامت الآفتان ؛ الرغبةُ والرهبةُ هما المتحكمتين في مصائر الناس ، فإن علينا أن نتوقع شُللاً وطوائف من العلماء أو أدعياء العلم ممن يبيعون ضمائرهم لرغبة أو لرهبة ، فحبّرت صفحات في أحاديث نبوية منحولة ، وصفحات في أحداث تاريخية مكذوبة ، وصفحات في قصائد جاهلية منحولة ، وربما كانت حاجة الناس والسلطان في ذلك الزمان والذي لحقه إلى رواة حفظة يسامرونهم في الليل ، ويطردون عنهم كآبة الفراغ وتبكيت الضمير في النهار . كانت وراء وضع بعض الرواة وانحطاطهم ، وربما شجع الخليفة على الوضع ، فقد ذكر « أن دغفلاً النسّابة دخل على معاوية ، فقال له : من رأيت من علية قريش ؟ فقال : رأيت عبد المطلب بن هاشم وأمية بن عبد شمس ، فقال صفهما لي . فقال : كان عبد المطلب أبيض مديد القامة ، حسن الوجه في جبينه

(43) الجمحي . طبقات الشعراء (تح الطباع) ص 50 وبعدها .

نور النبوة ، وعز الملك ، يطيف به عشرة من بنيه كأنهم أسد الغاب قال فصف أمية ، قال : رأيته شيخاً قصيراً نحيف الجسم ضريراً يقوده عبده ذكوان . فقال معاوية : مه ذاك ابنه أبو عمرو ، فقال دغفل هذا شيء قلتموه بعد وأحدثتموه وأما الذي عرفت فهو الذي أخبرتك به »[44] .

وكان معاوية وعبد الملك شغوفين بمسامرة الرواة ، وقد يستمر السمر إلى الصباح ، وكان معاوية قد وظف عدداً كبيراً من الكتبة يدونون له ما يسمعون عن الرواة من الأشعار وأيام العرب[45] . وقد أنس معاوية بعبيد بن شرية الجرهمي ، فكان يدني مجلسه من مقعد الخلافة ، ويحتمل تخريفاته بسبب الشيخوخة ، حتى يحصل منه على الأخبار والسير الجاهلية ، وحكاية معاوية مع النخار معروفة ، فقد قال له مرة : يا ابن أوس ابحث عمن يساعدك في الرواية .. فحزن النخار ، وسأله السبب في ذلك فقال معاوية معتذراً : لكي أستريح منك إليه ، ومنه إليك[46] قال الجاحظ : « وما سمعنا بأحد كان يرى إعادة بعض الألفاظ وتردد المعاني عياً إلا ما كان من النخار بن أوس العذري ، فإنه إذا تكلم في الحمالات والصفح والاحتمال وإصلاح ذات البين وتخويف الفريقين من التفاني والبوار كان ربما ردد كلاماً على طريق التهويل والتخويف ، وربما حمي فنخر »[37] .

وقد مرت بنا حكاية ابن إسحاق حين كتب السيرة ووضع شعراً منحولاً ، ثم اعترف وقال : « لا علم لي بالشعر أوتي به فأحمله »[48] . وسنلاحظ دور هؤلاء الرواة الوضاعين حين ندرس نظرية الشك بالشعر الجاهلي إلا أن علينا أن لا نبالغ في الأمر

(44) الأصبهاني . الأغاني (كتبخانة) 7/1 .

(45) المسعودي . علي بن الحسين ت 306 . مروج الذهب ومعادن الجوهر 52/2 تح محمد محي الدين . مط السعادة مصر 1964 .

(46) الجاحظ . البيان والتبيين 314/1 وانظر 453/2 .

(47) المصدر نفسه 112/1 .

(48) الجمحي . طبقات الشعراء (طباع) ص 9 .

فالوضع طبيعة في نفوس بعض الرواة (وما آفة الأخبار إلا رواتها) ورحم الله القائل :

نظرنا بأمر الحاضرين فرابنا فكيف بأمر الغابرين نصدق

نحن الآن نعايش الحدث ، ونشهد عليه ، ثم نقرأ الصحف ونسمع الأخبار .. فإذا بالصحف والقنوات الإعلامية تكذب جهاراً نهاراً .. فأي غرابة في أن ينحرف راوٍ أو اثنان أو ثلاثة ولكن الغرابة أن نعتد الكذب سمة كل الرواة !!

الفصل الثالث

نظرية الشك بالشعر الجاهلي (آراء القدامى والمستشرقين والمحدثين) !

نظرية قبالة نظرية (محاورة منطق الشك)

تنهض نظرية الشك ، وتسمّى الوضع مرة والنحل مرة أخرى ، على مفهوم محدد هو : أن الأدب الجاهلي الذي وصل إلينا غير صحيح ، وأنه ملّفق كتبه حماد الراوية ، وخلف الأحمر بعد أن كسد سوق الشعر !! وأشهر القائلين بهذا الرأي هو المستشرق مارجليوث الذي وضع كتاب (أصول الشعر العربي) ومن العرب طه حسين الذي وضع كتاب (في الشعر الجاهلي) وفي المستشرقين من ينكر نظرية الشك ! فإغناطيوس كراتشوفسكي قال : إن الأدب الجاهلي أدب صحيح ، وإن مسوغات الشك به لا تثبت أمام المنطق العلمي ؛ وكذلك شارلس ليال .

ومعظم الدارسين العرب قدامى ومحدثين ، لا يذهب مذهب الشك بالأدب الجاهلي ، وإنما يذهب إلى أن هناك أدباً منحولاً ، وهو ضئيل لا يعتدّ به ! ولعل أول إشارة وردت عن الأعشى (جاهلي) :

فما أنا أم ما انتحالي القوا ... ف بعد المشيب كفى ذاك عارا
وقيدني الشعر في بيته ... كما قيد الآسرات الحمارا[1]

---

(1) الأعشى . ديوانه ق 5 ب 69/68 .

وأوردت الفرزدق (ت 115 هـ) :

والفحل علقمة الذي كانت له حلل الملوك كلامه لا ينحل
وأخو بني أسد عبيد إذ مضى وأبو دؤاد قوله يتنخّل[2]

وزعم أن أبا عمرو بن العلاء (ت 154) قال : « ما زدت في شعر العرب قط إلا بيتاً واحداً للأعشى هو :

وأنكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث إلا الشيبَ والصّلعا »[3]

كما زعم أن الخليل بن أحمد (ت 170 هـ) قال : « إن النحاريرمن العرب ربما أدخلوا على النباس ما ليس من كلام العرب »[4] . وأمثلة ورود إشارات إلى النحل كثيرة ، لعل أهمها ما أورده ابن سلام الجمحي (ت 232) وهي :

أ ـ وكان ممن هجن الشعر وأفسده ، وحمل كل غثاء محمد بن إسحاق ، وكان من علماء الناس بالسير ، فنقل الناس عنه الأشعار ..، ثم جاوز ذلك إلى عاد وثمود .. أفلا يرجع إلى نفسه فيقول من حمل هذا الشعر ومن أداه منذ ألوف من السنين .

ب ـ فلما قل كلامها ـ طرفة وعبيد ـ حمل عليهما حمل كثير .

جـ ـ فلما راجعت العرب رواية الشعر وذكر أيامها ومآثرها استقل بعض العشائر شعر شعرائهم ، وما ذهب من ذكر وقائعهم ، فقالوا على ألسن شعرائها ، ثم كانت الرواة بعدُ فزادوا في الأشعار .

---

(2) الفرزدق . ديوانه ص 493 .

(3) ثعلب . أحمد بن يحي ت 291 . مجالس العلماء ص 180 . تح عبد السلام هارون طب دار المعارف مصر 1369 .
ابن جني . أبو الفتح عثمان ت 392 . الخصائص 15/1 تح محمد علي النجار طب دار الهدى . بيروت
السيوطي . المزهر 415/2 .

(4) السيوطي . المزهر 171/1 .

د ـ فلما نفد شعر أبيه ـ متمم بن نويرة ـ جعل يزيد في الأشعار ويضعها لنا . وإذا كلام دون كلام متمم ..

هـ ـ وكان أول من جمع أشعار العرب وساق أحاديثها حماد الراوية وكان غير موثوق به . كان ينحل شعر الرجل ، ويزيد في الأشعار[5] .

ووردت إشارات إلى النحل في كتب الجاحظ وابن جني وأبي العلاء المعري وأبي الفرج الأصبهاني وسواهم[6] .

أما المستشرقون فقد ذكرنا أشهرهم وهو مارجليوث ، ولسوف ننتقي إشارات أوردها ريجيس بلاشير :

أ ـ يدهشنا في النصوص الشعرية والنثرية القديمة عدم تجانس أسلوب بعض مقطوعاتها ، وإذا أضفنا إلى هذا التقرير ما يلازم الرواية الشفهية من الشكوك ، وتدخل كبار الرواة ، وطريقة علماء العراق السقيمة في التدوين وجدنا أنفسنا مجبرين على التسليم في هذه النصوص بتواجد (كذا) عناصر مختلفة في المنشأ والزمن .

ب ـ وفي سنة (1864) تناول المستشرق (نولدكة) أول مرة الموضوع بمجموعه مشيراً إلى الشكوك التي يثيرها مظهر الشعر الجاهلي . وبعد ثماني سنين تناول المستشرق (آهلوارد) المسألة بدوره دون أي تجديد فيها ، فعرضها بدقة لم يتوصل إليها سلفه ، وضع المستشرق المذكور المبدأ الآتي : إن القصائد المروية غير موثوق بصحتها سواء من ناحية المؤلف ، أو ظروف النظم ، أو ترتيب الأبيات . فمن الواجب إخضاع كل أثر من القرن السادس وأوائل السابع لفحص دقيق قبل قبوله .

---

(5) الجمحي . طبقات الشعراء ص 44 ثم ص 55 وبعدها 56 .

(6) الجاحظ . الحيوان والبيان والتبيين . ابن جني . الخصائص . أبو العلاء المعري . رسالة الغفران . الأصبهاني . الأغاني .

جـ ـ وشايع العلماء أمثال (موير وباسيه ، وليال ، وبروكلمن) طوال ثلاثين سنة المستشرقين (نولدكة وآهلوارد) في موقفهما الحذر ، على أننا نلحظ عند (ليال) شكاً متصاعداً في قيمة المعطيات الإخبارية ، وبالتالي في أهمية النصوص المعترف بجاهليتها ، ويظهر الموقف ذاته حوالي (1904) عند (كليمان هوار) .

د ـ ظلت الحالة على ما هي عليه إلى اليوم الذي هبت فيه عاصفة هوجاء من إنكلترا عكرت صفاء هذه البحيرة فقد أعاد المستشرق (مرغليوث) البحث عن قضية الشعر الجاهلي بكتاب نشره سنة (1925 م)[7] .

لقد شملت مقولة الشك بالمدونات العربية التاريخ ، والجغرافية ، والحديث النبوي الشريف ، والشواهد النحوية ، وهي مقولة لها ما لها ، وعليها ما عليها ، لا تقبل كلاً ولا ترد كلاً !! ففي التاريخ مثلاً ثمة دراسات معمقة شككت بالتاريخ لأنه في رأيها يحابي الملوك والمنتصرين والقادة ، ويتجاهل الجماهير صانعة التاريخ ، فضلاً عن أنه يسوّغ أسباب القهر التي مارستها السلطات ضد المفكرين والمجتهدين .

ونهدت الدراسات للتشكيك بالراهن الجغرافي فأضافت مساحات لهذه البلد وحذفت أخرى من بلد آخر ! علماً أن الاستقرار الجغرافي المستند على التاريخ ينصف مرة ويبخس أخرى . فقامت الحروب المدمرة وما زالت بسبب هذيانات الجغرافية التاريخية أو التاريخ الجغرافي !

ومثل ذلك لحق بالحديث النبوي الشريف فقيل : إن منه مئات النصوص الموضوعة والضعيفة ، وإن بعضاً من رواة ادّعوا الدراية بجلّ الأحاديث ، الأمر الذي لم يدّعيه الخلفاء الراشدون الذين عايشوا النبي ﷺ ! فتنادى الغيارى لمواجهة هذا التحدي ، فكان علم (الجرح والتعديل) الذي وضع مقاييس صارمة ودقيقة لمعرفة الحديث الصحيح من الحديث الموضوع .

---

(7) بلاشير . تاريخ الأدب العربي . ص 196 و 197ـ199 .

إذن مسألة الشك بالشعر الجاهلي ليست بدعاً في حياتنا وحضارتنا الثقافية ! وربما تعمّقت في وعينا بعد وصول آراء (Rene Descartes 1596-1650) الفيلسوف الرياضي الفيزيائي الفرنسي ، وديكارت ذو نزعة عقلية رأى أن الشك سبيل لليقين ، فالوجود مقترن بالشك ! وإذا قرن ديكارت بين الوجود والشك فجعل الأول علة الثاني ، فإن اليونان جعلوا الشك علة الحرية ! وكما بالغ المثقفون العرب في استثمار آليات المنطق اليوناني حين ترجم في العصر العباسي ، فأفسدوا النحو وعلم الكلام والمنطق ، فقد بالغ المثقفون العرب في استثمار آليات الشك في العصر الحديث ، ونال حَيْفهم عدداً من الثوابت النصية ، والشعر الجاهلي واحد من هذه الثوابت .. فشككوا به .. وبنوايا الرواة فلا يوجد في زعمهم امرؤ القيس ولا عنترة ، وليس ثمة معلقات ولا ولا !! وصبّ البعض جام غضبهم على مدونات الشعر الجاهلي !

قال طه حسين : « إني شككت في قيمة الشعر الجاهلي وألححت في الشك ... ذلك أن الكثرة المطلقة مما نسميه شعراً جاهلياً ليست من الجاهلية في شيء وإنما هي منتحلة مختلقة بعد ظهور الإسلام ... أعلن إليك وإلى غيرك من القراء أن ما تقرؤه على أنه شعر امرئ القيس أو طرفة أو ابن كلثوم أو عنترة ليس من هؤلاء الناس في شيء وإنما هو انتحال الرواة أو اختلاق الأعراب أو صنعة النحاة أو تكلف القصاص أو اختراع المفسرين والمحدثين والمتكلمين)[8] ويصدقنا طه حسين القول بأن ثورته العارمة جاءت بسبب تأثره بمنهج ديكارت (أريد أن أصطنع في الأدب هذا المنهج الفلسفي الذي استحدثه (ديكارت) للبحث عن حقائق الأشياء ... إن القاعدة الأساسية لهذا المنهج هي أن يتجرّد الباحث من كل شيء كان يعلمه من قبل وأن يستقبل موضوعه خالي الذهن مما قيل فيه خلواً تاماً .. فلنصطنع هذا المنهج حين نريد أن نتناول أدبنا العربي القديم وتاريخه بالبحث والاستقصاء)[9] والذي نراه أن المرحوم طه حسين بالغ كثيراً حتى بات شكه هدماً وعصبية قبل أن يكون علماً وموضوعية ولو امتد به العمر إلى

(8) حسين . د . طه . في الشعر الجاهلي ص 21 طب دار المعارف سوسة تونس 1997 .

(9) المرجع نفسه ص 23 وبعدها .

التسعينيات من القرن العشرين لعدّل آراءه وربما نقضها بسبب من الاكتشافات الأثرية من جهة والعثور على مخطوطات بالغة القيمة وتحقيقها من جهة أخرى .. إذا كانت مرحلة ثورة طه حسين تعاني نقصاً فادحاً في تحليل الوثائق[10] لا يمكننا إلغاء كل الشعر الجاهلي ولا نصفه ولا ربعه .. فالشعر الجاهلي كان درة ثمينة عرف قدرها الجاهليون ، ومن ثم الإسلاميون وحافظوا عليها ، واحتفظوا بها .. وقد اقتربنا في فصل الرواية السابق ورأينا أن الرواة ليسوا بشراً اعتياديين وإنما هم استثناء في مجتمعاتهم ، يمتلكون قدرة عجائبية على الحفظ والاستظهار تشبه الخرافة فالراوي يحفظ شعر الشاعر جله ، ويحفظ آلاف القصائد الطوال ، ويحفظ الشعر ، وفق حالات متعددة ! الحالة الأولى التي شهدت ميلاد النص ، والحالة الثانية التي شهدت تعديله ، والثالثة التي حذف فيها الشاعر وأضاف ! وكان راوية الأعشى يحفظ كل شعره وشعر أربعين شاعراً سواه !! وقد رافقه في زياراته إلى فارس وفلسطين والحبشة وكابل ! وحين أشرق الإسلام وأضاء بنوره الأرواح التفت المسلمون إلى الشعر الجاهلي .. وكانوا يتذاكرون به في مساجدهم فإذا أشكل عليهم معنى في القرآن الكريم التمسوه في الشعر الجاهلي كدأب الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ، وعبد الله بن عباس .

وشجع النبي الأمين الشعراء الذين نافحوا عن الإسلام وأيّ شرف ناله شاعر في الدنيا مثل الشرف الذي ناله حسان بن ثابت ؟ قال أبو عبيدة : فضل حسان الشعراء بثلاث : كان شاعر الأنصار في الجاهلية ، وشاعر النبي ﷺ في النبوة ، وشاعر اليمن كلها في الإسلام[11] وجاء حسان بن ثابت إلى نفر فيهم أبو هريرة فقال : أنشدك الله : أسمعت رسول الله ﷺ يقول لي : « أجب عني » ، ثم قال : « اللهم أيده بروح القدس » . فقال أبو هريرة : اللهم نعم[12] .

(10) الصائغ . عبد الإله . طه حسين اعتسف الشعر الجاهلي . وجريدة الأخبار التونسية عدد يوم 1992/1/11 .

(11) الأصبهاني . الأغاني (كتبخانة) 3/4 وبعدها .

(12) المصدر نفسه .

وقال النبي ﷺ وهو في سفر : « أين حسان ؟ » . فقال حسان : لبيك وسعديك يا رسول الله قال : « احْدُ » فجعل ينشد ، ويصغي إليه النبي ، ويستمع إليه وهو سائق راحلته حتى كان رأس الراحلة يمسّ الورك حتى فرغ من نشيده ، فقال النبي ﷺ : « لهذا أشد عليهم من وقع النبل »[12] .

ويكفي حساناً من الشرف أن النبي زوجه سيرين أخت مارية أم إبراهيم بن رسول الله ﷺ فولدت له حساناً[13] .

وكان قد نصب منبر لحسان في مسجد رسول الله ﷺ ينشد منه الشعر والنبي والصحابة يصغون إليه ! أما كعب زهير بن أبي سُلمى فحكايته معروفة إذ أهدر النبي دمه ، ثم غفر له وأهداه بردته الخضراء عندما أنشده رائعته : (بانت سعاد) ، وكان ﷺ يستذكر شعر قس بن ساعدة ويطلب إلى أبي بكر إنشاد الشعر الذي وشى به خطبته في سوق عكاظ ! بل إن النبي ﷺ سأل عنه وفد قبيلة إياد : « وأين صاحبكم » فقالوا لقد هلك يا رسول الله .. فحزن عليه ! والنبي الأمين يقول : « لا يدع العربي الشعر حتى تدع الإبل الحنين » . ويقول أيضاً : « ما وصف لي أعرابي في الجاهلية وأحببت أن أراه إلا عنترة » . ثم يطلب إلى أبي بكر أن ينشد شعر عنترة في التأبّي والتعفُّف فينشده :

ولقد أبيت على الطوى وأظله ... حتى أنال به كريم المأكل
وأغض طرفي ما بدت لي جارتي ... حتى يواري جارتي مثواها

والنبي الأمين معجب بقولي طرفة بن العبد والأعشى في :

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ... ويأتيك بالأخبار من لم تزود
قلدتك الشعر يا سلامة ذا التفـ ... ـضال والشيء حيثما جعلا

(13) ابن قتيبة . الشعر والشعراء 193/1 .

أما الخلفاء الراشدون فكانوا يأنسون إلى الشعر ، فأبو بكر وعلي شاعران ولأبي بكر وعلي وعمر آراء غاية في الأهمية تقوّم الشعر والشعراء[14] فإذا بدأ عصر تدوين الشعر الجاهلي كان أكثر الرواة على قيد الحياة ، فضلاً عن أبنائهم الذين يحتفظون بالمدونات ، فكانت المدونات توضع بين يدي الكتبة ، ولم يعتسف الكتبة المسلمون الشعر الجاهلي لعلمهم أن الشعر الجاهلي ثمرة عصره ، فلم يحذفوا شعر الخمرة ، ولم يطلسوا شعر الأصنام ، دونوا كل شيء بأمانة العالم ، ومروءته ، فابن الكلبي وضع كتاباً في الأصنام ، وآخر في الأسواق ، وأورد الشعر الذي قيل فيها ، وابن قتيبة وضع كتاباً في الأنواء ، وآخر في النساء ، وثالثاً في السلاح . والأصمعي صنع كتاباً في خلق الإنسان ، والخيل ، والنبات . والمرزوقي في الأزمنة ، والأمكنة ! وغير صحيح القول : إن الكتبة المسلمين قد تشددوا في تقبل أصناف من الشعر الجاهلي ، وألغوا كثيراً منها وكيف نقرّ بذلك وكبار الصحابة والتابعين كانوا يستأنسون بالشعر حتى في مساجدهم . وقد أجاز المازني وسواه قراءة الشعر الغزلي في المسجد !! لقد دوّن الشعر ، وبلغنا مثلما دوّن ، ونفترض أن بعض المدونات التي ضاعت بسبب الجهل أو الإهمال أو بسبب النكبات التي لحقت بالمخطوطات العربية كتلك التي حدثت بعد دخول المغول إلى بغداد .. والتي حدثت بعد سقوط الحكم العربي في الأندلس . وحريق كهف الأوسكريال في إسبانية ، وعدوان الهندوس على المخطوطات الإسلامية في الهند فترة استقلال الباكستان .

وقد ذكر أصحاب نظرية الشك أسباباً تعزّز نظريتهم في نحل الشعر ، وهي لا تبعد عن تأثيرات السياسة والدين والشعوبية وشهوة الحديث عنه الراوي ، والعصبية القبلية ، وهذه أمور لا ننكر أثرها بيد أننا لا نقبل بأن تكون سبباً لنكران حضارة الشعر الجاهلي برمتها ، فربما أسهمت هذه التأثيرات في إفساد جزء يسير من الشعر الجاهلي بيد أنها غير قادرة على إفساد كل الشعر وتفتيته وتذويبه .

---

(14) الجبوري . د . يحيى . الإسلام والشعر طبعة بغداد 1964 .

وإذا كنا قد نعينا على أصحاب نظرية الشك غلوّهم في إنكار الشعر الجاهلي بله إعدامه ، واعتداد كل ما وصل إلينا ضرباً من الكذب الملفق ، فإننا ننعي كذلك على أصحاب نظرية اليقين غلوهم في إثبات صحة كل الشعر الجاهلي واعتداد ما وصل إلينا من الشعر ضرباً من المقدس الذي يمسخ من يشك فيه مبخّساً !! فقد ثارت ثائرة أصحاب اليقين حين أصدر طه حسين كتابه في الشعر الجاهلي ، فنقلوا المعركة من ميدانها العلمي إلى ميادين الشعبية والمساجد وأقبية الشرطة ، فكفّر طه حسين لأنه شكك بالشعر الجاهلي ، ولا ندري الصلة التي تربط بين الشعر الجاهلي والدين ؟! ولكن العصبية عمياء فتظاهر الناس في القاهرة وبغداد والشام وعواصم عربية أخرى انتصاراً للشعر الجاهلي ودحضاً لمنهج الشك ! وحذّر أئمة المساجد عهد ذاك من (البدع والضلالات التي روّج لها أعمى صعيدي درس في باريز) . وبلغ الأمر أن ضرب طه حسين ، وركل بالأرجل فهرب إلى بيروت ، ولبث فيها زمناً حتى انجلت الغمة ، وهدأت ثائرة الغوغاء ، وفي المكتبة الآن كثير من كتب أصحاب نظرية اليقين ، وقد ألّفت لترجم طه حسين كما يرجم الشيطان (كذا) وحين هدأت العاصفة أو كادت تنازل طه حسين . عن كثير من آرائه المتطرفة في كتابه (في الشعر الجاهلي) وأصدر كتاباً ينافق فيه الشارع الثقافي وهو (في الأدب الجاهلي) !

والسؤال المحيّر حقاً هو لماذا ثار الشارع الثقافي على طه حسين علماً بأنه ليس أول معاصر يخرق (تابو) الشعر الجاهلي ؟! لماذا تجاهل الشارع الثقافي آراء مصطفى صادق الرافعي (ت 1937 م) التي سبقت آراء طه حسين بعقد ونصف ، إذ أصدر مصطفى الرافعي كتابه (تاريخ آداب العرب) عام (1911 م) وأصدر طه حسين كتابه (في الشعر الجاهلي) عام (1926 م) ولعل الرافعي لم يحاول الارتقاء بآرائه إلى مستوى النظرية ولم يستعمل اللغة المتعالية التي استعملها طه حسين ، وقد أورد الدكتور ناصر الدين الأسد الإشارات التالية حول جهد الرافعي :

أ ـ حشد الرافعي في كتابه من المادة ما لم يجتمع مثله من قبله ولا من بعده حتى

يومنا هذا في صعيد واحد من كتاب ، لم فيه أشتات الموضوع من أطرافها كلها ، واستقصاه استقصاء .

ب ـ اكتفى الرافعي في أكثر حديثه بالسرد المجرد والحكاية عمن مضى ، ولم يتجاوز ذلك إلى البحث في هذه الأخبار والروايات بحثاً علمياً[15] .

☆ أدلة أصحاب نظرية الشك :

1 ـ التشابه بين لغة القرآن الكريم ولغة الشعر الجاهلي يحيلنا إلى أن حماداً البصري وخلفاً الكوفي وغيرهما قد صنعا الشعر الجاهلي على مثيل لغة القرآن (كذا) . وقد عكس طه حسين مقولة ابن عباس : « إذا أشكل عليكم معنى في القرآن فالتمسوه في الشعر الجاهلي » . فقال : « فإذا أردت أن أدرس الحياة الجاهلية فلست أسلك إليها طريق امرئ القيس والنابغة والأعشى وزهير لأني لا أثق بما ينسب إليهم وإنما أسلك إليها طريقاً آخر وأدرسها في نص لا سبيل إلى الشك في صحته .. أدرسها في القرآن »[16] .

2 ـ الصلة بين الشعر والسحر والكهانة والتنبؤ والجنون جعلت صفة الشعر غير جديرة بالمسلم ، فكان أن أهمل المسلمون الشعر الجاهلي حتى يغلقوا الباب أمام الريبة .

3 ـ ثمة معان فيها دعوة للوثنية والإباحية والعصبية القبلية والمكانية والمديح الكاذب والهجاء المقذع مما زهّد المسلمين بتدوين الشعر الذي تكمن شعريته في هذه المعاني .

4 ـ وجود شعر منسوب إلى سيدنا آدم أو نوح ، وشعر منسوب إلى عاد وثمود وسواهما .. وشعر منسوب إلى الجن والعفاريت .. بما يعزز الظن بأن هذا الشعر وسواه مصنوع للتسلية والمسامرة لتزجية الوقت أو للعبرة والموعظة .

---

(15) الأسد . د . ناصر الدين . مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ص 377 .

(16) حسين . د . طه . في الشعر الجاهلي ص 27 ـ 28 .

5 ـ الكتابة كانت نادرة في العصر الجاهلي ولو عرف الجاهليون الكتابة لوصلت إلينا كتب عنهم كما وردتنا كتب عن السومريين والآشوريين والبابليين .

6 ـ اللغة مرآة صافية تعكس حركة المجتمع وتطوره ، وإذا كان المجتمع الجاهلي متخلفاً فينبغي أن تكون لغته متخلفة ! فكيف جاءنا الشعر الجاهلي ناضجاً صافياً ؟! وليس من تفسير سوى أن الشعر كتب بعد أن شاعت أسلوبية القرآن المنظمة .

7 ـ رواة القرنين الثاني والثالث كانوا موضع شك ، وهم يتبادلون الاتهامات فيما بينهم من نحو حماد وجناد وخلف وأبي عمرو وأبي عبيدة والأصمعي وأبي عمرو الشيباني وابن إسحاق والمبرّد ، وإذا كان الأمر كذلك فمن حقنا (القول لأصحاب نظرية الشك !!) أن نشكك بأوراقهم وقد سمعنا عن رواة تزيّدوا بسبب طلب الخلفاء والأمراء والجمهور المتزايد للقصص والمغامرات ليالي الشتاء الطويلة وسمعنا عن وعّاظ المساجد الذين يمزجون مواعظهم بالشعر والقصص .. فاستحدث شعر قالته أمم بادت وبقي من موروثها شيء !!

8 ـ الشعراء الجاهليون منتمون إلى أمكنة شتى ولكل مكان لغته فمفردات بعض اللغات العربية كانت مترادفات أو أضداداً لمفردات اللغات الأخرى فكيف تأتى لنا أن نقرأ قصائد الشعراء الجاهليين وقد كتبت بلغة واحدة هي لغة قريش ثم عبّرت عن لواعج متشابهة فكأنهم نسخ مكررة ، فلغة الشمال كما هو متفق عليه غيرها لغة الجنوب ، وأين عيوب اللهجات مثل الكشكشة والكسكسة والعجعجة والاستنطاء والوثم والغمغمة والتلتلة ؟ .

9 ـ ورود معان قرآنية إسلامية مثل الحلال والحرام والموت والانبعاث نظير قول زهير :

فلا تكتمن الله ما في نفوسكم ليخفى ومهما يكتم الله يعلم
يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ليوم حساب أو يعجّل فينقم

وقول الأعشى :

ربي كريم لا يكـــدّر نعمـــة وإذا يناشد بالمهارق أنشدا

وقول ذي الإصبع العدواني :

إن الذي يبسط الدنيا ويقبضها إن كان أغناك عني سوف يغنيني

وقول النابغة :

فألفيت الأمـانـة لم تخنهـا كـذلـك كان نـوح لا يخـون

وقول ابن ساعدة الإيادي :

دنت الســاعــة وانشـق القمر لغـــزال صـــــدّ عني ونفر!

10 ـ المعاني المركزية التي دارت القصائد الجاهلية حولها وبخاصة المعلقات تجعلنا غير قادرين على قبول الشعر الجاهلي .. إلا إذا افترضنا (ما لا يمكن افتراضه) إلغاء شروط الزمان والمكان وما يحدث بينهما .

11 ـ موسيقى الشعر اكتشفت في القرن الثاني الهجري ، فكيف تسنى للقصائد والمقطعات الجاهلية الانتظام وفق أنساق البحور التي قعّدها الخليل الفراهيدي !

12 ـ وضوح الوضع في مناسبة عدد من الأبيات الجاهلية لقواعد النحو بحيث تصلح لتكون شواهد نحوية لعدد من اللغات والاستثناءات فشواهد نحاة البصرة استدعت أبياتاً مختلفة عن شواهد نحاة الكوفة ، وكذلك صلاحية عدد من الأبيات التي تفسّر معاني جديدة وردت في القرآن الكريم ، وكان رواد التفسير مثل ابن عباس يفسرون القرآن بالشعر ، وثمة أبيات كأنها موضوعة لتثبت مزاعم القدريين والحلوليين والمعتزلة .

13 ـ لم يعكس لنا الشعر الجاهلي الحياة الدينية عهد ذاك ، فالعرب الذين وقفوا موقفاً عنيفاً من الدعوة الإسلامية والشعراء طليعتهم لا يمكن أن يفلت أثر الدين من

شعرهم ، ولو لم يكن الشعر منحولاً .. لكان نقل إلينا طقوس الصلاة والنحر والحج والطواف والأضاحي والأدعية وأسماء الأصنام وأمكنتها .

14 ـ وإذا كان الجاهليون مشهورين بعلوم تعبير الرؤيا ، والأنواء ، والأنساب ، والفراسة ، فلماذا لم ينقل الشعر إلينا مفردات الذهنية التي أنتجته وطقوسها ؟

15 ـ إهمال الشعر الجاهلي لمفردات العمل مثل الزراعة والرعي والعمارة والتجارة .

16 ـ وردت اعترافات وتقديرات تتصل بالنحل :

1 ـ اعتراف أبي عمرو بن العلاء بأنه وضع بيتاً ونسبه إلى الأعشى .. وأن لسان حمير وأقاصي اليمن مختلف عن لسان قريش .

2 ـ العرب قبائل ورواة يتزيدون من الشعر ..

3 ـ ابن إسحاق كاتب السيرة هرف بما لم يعرف ، فنسب شعراً لشعراء لم يقولوه .. وشعراء أمم بادت ..

17 ـ ذكر طه حسين أن دوافع النحل تكمن في (السياسة ، والدين ، والقصص ، والشعوبية ، والرواة) .

☆ نقيض نظرية الشك :

1 ـ ليس التشابه بين لغة القرآن الكريم ولغة الشعر الجاهلي دليلاً كافياً على أن الشعر الجاهلي منحول ، وقد يكون التشابه دليلاً على صحة الشعر !! فالقرآن تنزّل بلغة قريش ، والشعراء الجاهليون حريصون على كتابة قصائدهم بلغة قريش حتى يصلوا إلى أفهام كل العرب ، لأن لغة قريش كانت مفهومة لدى كل العرب .

2 ـ لم يهمل المسلمون الشعر الجاهلي ، ربما لهيت العرب عنه حقبة الفتوحات الأولى ، فالشعر رفيق العربي في حله وترحاله ، سلمه وحربه ، ولولا الرواة المسلمون لضاع جل الشعر الجاهلي .

3 ـ الشعر الجاهلي محمّل بشحنات عصره ، ولم يتدخل الرواة المسلمون في أساليبه أو موضوعاته ، وقد تعاملوا معه علمياً .. فهو شعر يعبّر عن مرحلة تجاوزها الإسلام ، وكان الرواة المسلمون يميّزون بين الشعر والأخلاق فأبو عمرو بن العلاء حين سئل أيهما أشعر لبيد أم الأعشى ؟ أجاب : إن لبيد رجل صالح ، وإنما الشاعر هو الأعشى !!

والأصمعي كان يردد في مجالسه ! الشعر إذا أدخلته في طريق الخير لان .. والحصيلة هي أن الشعر الجاهلي وصلنا على علاته ومجونه وعنجهيته فالراوي المسلم مبتهج لذلك .. حتى يوازن المسلم بين أخلاق الإسلام العظيمة وأخلاق الجاهلية !

4 ـ الشعر المنسوب إلى سيدنا آدم أو نوح أو المنسوب إلى طسم وجديس والجن لا يمكن قبوله ، وقولنا هذا ليس إتلافاً له ، لأن الشعر الجاهلي شعر شفاهي في أغلبه ... أي (دزاينات) وقوالب ، فهو يمتلك (الشعر الشفاهي) أهمية علمية بالغة (مع أنه غير صحيح) ، فمن خلال طرائق الجاهليين في التأويل والتعليل والإظهار والتغييب تتوضع أشياء كثيرة ، فأهمية ملحمة جلجامش أو الخليقة العراقيتين وملحمة الإلياذة .. ليست كامنة في صحة الأخبار التي وردت فيها ودقة الأقاويل .. فهذه الملاحم تتحدث عن الصراعات بين الآلهة والبشر .. لتكشف لنا عن ذهنية ذلك العصر وهمومه .

5 ـ نعم الكتابة لم تكن منتشرة بين الجاهليين ، بيد أنها معروفة ومألوفة .. فالعباديون وهم سكان اليمامة والحيرة كانوا يجوبون الجزيرة العربية لتعليم القراءة والكتابة لدوافع اقتصادية أو تبشيرية ، ودلالة أمية الجاهليين على رأي د . ناصر الدين الأسد ود . علي فهمي خشيم ليست منصرفة إلى القراءة والكتابة ، وإنما هي منصرفة إلى الدين ! وكان الجاهليون يكتبون شعرهم ويحتفظون به كما مرّ بنا ، وليس صحيحاً أن المجتمع الجاهلي متخلف لغوياً ولا مدنياً ، فكان الشعراء عهد ذاك ذوي أساليب جميلة أشار إليها القرآن الكريم ، وكان الجاهليون يستخدمون تفوّقهم في المجادلة لإثبات باطلهم قارن : [غافر : 5/40] [النساء : 10/4] و [الحج : 68/8/3/22] و [الكهف : 56/18]

وقد جاء في سورة [الزخرف : 58/43] :

﴿ وقالوا أآلهتنا خيرٌ أم هو ما ضربوهُ لكَ إلا جدلاً بل هم قومٌ خصمُون ﴾ وعلماء الاجتماع المسلمون يعون أن الله سبحانه كان يرسل كل نبي بآية تناسب هموم الناس الذين يدعوهم ، فسيدنا موسى آيته إبطال سحر اليهود ، وكشف مكرهم . وسيدنا عيسى بهر قومه بالطب والتسامح . ونبينا الأمين ﷺ أعجز العرب وهم أصحاب بيان بمعجزة القرآن الكريم ، وقد رأينا في مبحث الرواية كيف أورد الشعر الجاهلي إشارات تدل بوضوح على معرفة العرب للكتابة .

6 ـ الاتهامات بين الرواة لا تنهض دليلاً على الشك بمصداقية الشعر الجاهلي ، فاختلافهم دالة اجتهاد وحضارة ، واختلافهم يفهم من خلال التنافس بينهم وعدو المرء من يعمل عمله ، ومعظم الرواة كانوا على بينة من أمرهم ، وقد شهد لهم ثقاة عصرهم بالمروءة والنبوغ .. فأبو عمرو بن العلاء كان قارئاً نابغاً ومناضلاً عن الدين واللغة والوطن ، وقد أهدر الحجاج دمه ، وقد أحرق كتبه التي تصل إلى السقف خشية أن يكون فيها حرف لا يرضي الله .. فكيف نصدّق مثلاً أنه وضع بيت شعر واحد على لسان الأعشى .. علماً أن الدراسات الأسلوبية أثبتت أن هذا البيت ضمن شعر الأعشى أما الطعن بخلف الأحمر ، وحماد الراوية .. فهو طعن الحسّاد ووعّاظ السلاطين فقد كان هذان معجزة في الرواية والحفظ ، وقد تحدثنا في أمرهما في مبحث الرواية .

7 ـ المبدعون العرب قبل الإسلام تخففوا من لهجاتهم ومحلياتهم ، وكتبوا شعرهم بلهجة قريش التي شاعت في عصرهم بسبب من كونها لغة المثقفين والمتدينين والتجار ، فأسهموا في وحدة اللسان العربي ، ولو أصرّ الشعراء العرب في جنوب الجزيرة أو شرقها على لهجاتهم لما وجدوا جمهوراً يصغي إليهم ! وكانت الأسواق العربية المختبرات التي صهرت اللهجات وأسهمت في وحدة اللغة والذوق .

8 ـ مفردات الحلال والحرام ولفظ الجلالة والمقدس والمدنس والدنيا والآخرة لم

تكن غريبة على عرب ما قبل الإسلام وأرضهم دون سواها التي احتضنت الديانتين اليهودية والمسيحية .. ومعظم العرب كان على ملة إبراهيم « فهم يتزوجون بعقد ، ويطلقون بعقد ، ويحجون البيت ويلبّون ، ويعتمرون ، ويتمسحون بالحجر الأسود ، ويسعون بين الصفا والمروة ، ويقفون بعرفات ، ويأتون مزدلفة ، ويهدون الهدايا ، ويرمون الجمار ، ويعظّمون الأشهر الحرم ، ويحرمونها ، ويغتسلون من الجنابة ، ويغسلون موتاهم ، ويصلون عليهم ، وكانت صلاتهم أن يحمل الميت على سرير ، ثم يقوم المفجوع فيه فيذكر محاسنه كلها ، ويثني عليه ، ثم يقول : رحمه الله وبعدها يدفنه وكان أكثر العرب مؤمنين بالدار الآخرة ويتشددون في صلات الرحم ، فلا ينكحون البنات والأمهات والأخوات والعمات والخالات ، ومن سننهم أنهم يقطعون يد السارق ويحتقرون الغادر ، وكانوا يتمضمضون ، ويستنشقون ، ويتسوكون ، ويقصون الشارب ، ويختنون ، ويحلقون شعر العانة ، وينتفون الإبطين ، ويقلمون الأظافر ، ويستنجون ، ولا يأكلون الميتة ، ويوفون بالعقود ، وكانوا يربطون الناقة جنب القبر ويعقرونها ، ظناً منهم أن صاحبها حينما ينهض من موته سوف يستعملها ، وتسمى الولية ، وثمة البحيرة ، والوصيلة ، والبلية »[17] .

9 ـ الهموم المشتركة في الشعر الجاهلي التي اتضحت في المعلقات أكثر من سواها تعكس رغبة الشعراء وحذقهم في اجتذاب المتلقين إلى هموم قصائدهم ، ولن يتمتع الشاعر بالنجومية وهدايا الموسرين دون أن يشهد له الجمهور بالنبوغ ، ويتجاوب معه ،

---

(17) ابن حبيب . المحبّر ص 309ـ340 وانظر ص 181 ، 236 ، 237 .
ابن طباطبا العلوي . عيار الشعر ص 32ـ37 .
الشهرستاني . الملل والنحل (معتقدات العرب) ص 241ـ245 و (تقاليد العرب التي أقرها الإسلام) ص 245ـ249 .
السيوطي . الوسائل إلى مسامرة الأوائل ص 49 .
الألوسي . بلوغ الأرب 286/2 .
الصائغ . عبد الإله . الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام (سنن العرب) ص 20 ، 21 .

الشعراء الجاهليون إنما يلبّون حاجات الشارع الثقافي ، ولأن مجتمع قريش كان العنصر السيد عهد ذاك فقد انبهر العرب في الأطراف بهمومهم وطموحاتهم ، كما ينبهر العربي الآن بأي مجتمع متحضّر ومتفوّق مدنياً ! والشعراء الجاهليون ربما تفوقوا على شعراء زماننا في موضوعة مخاطبة الجمهور ، والاستحواذ عليه من خلال وسائل الإيصال التقليدية أو المبتكرة .. فكان جمهور الشاعر الجاهلي يحاكي جمهور كرة القدم الآن .

10 ـ ليس صحيحاً أن الشعراء الجاهليين كانوا يجهلون موسيقا الشعر وقد مرّ بنا استعمالهم لطريقة التنعيم واعتمادهم عليها في وزن أشعارهم ، ومرّ بنا كيف التفت النقاد الجاهليون لظاهرة الإقواء في أشعار بشر بن أبي خازم والنابغة الذبياني وكيف عالجوها !

وكتب العديد من الشعراء الجاهليين قصائدهم بإيقاعات صافية وأساليب سلسلة لكي تغنى ويرقص عليها .. يقول الأعشى :

ولقد شربت الراح تركض حولنا ترك وكابل
إذا قلت غني الشرب قامت بزهر يكاد إذا دارت له الكف ينطق

11 ـ الشعر ديوان العرب الذي أودعوه لغتهم وأساليبهم ورغباتهم ورهباتهم ! وليست جريرة أن يكون في الشعر الجاهلي شواهد يستفيد منها النحاة أو اللغويون أو المناطقة أو الجغرافيون أو المؤرخون . وقد صنع العلماء المسلمون كتباً متخصصة ، مثل كتب (الأنواء) و (الأزمنة) و (الأصنام) و (الأمكنة) و (المطر) و (الخيل) و (خلق الإنسان) و (السلاح) و (أيام العرب) .

وكان اعتمادهم الأول على شواهد من الشعر الجاهلي .

12 ـ أما أن السياسة والدين والقصص والشعوبية والرواة قد أسهمت في نحل الشعر .. فإن أثرها كان ضئيلاً .. ولا يمكن التضحية بالكل من أجل الجزء ، والثابت الأكثر بالمنحول الأقل .

الفصل الرابع

شياطين الشعراء

تعد الذهنية القديمة كل فعل ردّة فعل معلومة لفعل مجهول[1] وإذا كان الشعر الجاهلي فعلاً معلوماً فإنما هو صدى لأفعال الجن (كذا) ، والصلة ماثلة بين الشاعر والرئي ، مما هيأ الشاعر لرؤية ما لا يُرى ، فإذا مدح رفع وإذا هجا وضع ، وإذا رثى هدأت روح الميت .

ونقل الأصمعي عن راوٍ سأل الشرف بن القطامي : « ما كانت العرب تقرأ في صلاتها على موتاها ؟ » فقال ابن القطامي : لا أدري ! فقال له الراوي : « كانوا يقرؤون شعراً :

وما كنتَ وكواكا ولا ابن أُوَيّل رويدك حتى يبعث الخلقَ باعثه[2]

وقد تطيّر الجاهلي من الهجاء ، متوهماً أن كلمات الهجاء تنزل الأذى الفادح بالمهجو ، وربما أشاع الشعراء هذا الوهم لكي يتفادى الناس هجاءهم .. وبين أيدينا حكاية هجاء لبيد للربيع بن زياد .. فقد غرّب لبيد هيأته حالقاً نصف شعره وشاربه وحاجبه صابغاً نصف وجهه بالقطران والرماد ، متقلداً سمطاً من الودع والعظام والأحجار ، جاعلاً واسطة العقد نعلاً عتيقاً .. ثم طاف حول سرادق النعمان بن المنذر ،

---

(1) بريل . ليفي ، العقلية البدائية ص77 ، تر : محمد القصاص ، ط مكتبة مصر (د : ت) .

(2) ابن النديم ، أبو الفرج محمد بن إسحاق ت385 . الفهرست ص118 ، تح الشيخ إبراهيم رمضان ، ط دار المعرفة بيروت 1997 .

وكان أقام وليمة احتفالاً بقدوم الربيع .. فدبك لبيد دبكات تجاوبت مع أرجوزته التي يهجو فيها الربيع[3] :

(لا تزجر الفتيان عن سوءِ الرّعه) (يا رُبَّ هيجا هي خيرٌ من دَعَه)
(يا ابن الملوك السادةِ الهبنقعه) (أنا لبيد ثمّ هذي المنزعه)
(في كلّ يوم هامتي مقزّعه) (قانعةً ولم تكن مقنّعه)
(نحن بنو أمّ البنينَ الأربعة) (ونحن خيرُ عامر بن صعصعه)
(يا واهبَ المالِ الجزيلِ من سَعَهْ) (إليك جاوزنا بلاداً مُسبعه)
(إذا الفلاة أوحَشت في المعمعه) (يخبرُك عن هذا خبير فاسمعه)
(مهلاً أبيت اللعن لا تأكل معه) (إن استه من برص ملمّعه)[4]

والذهنية الجاهلية مسكونة بهاجس السحر ، فبات مألوفاً ظهور طبقة من المشعوذين الذين يدّعون أن لهم علاقات خفية بالجن والنجوم ، وتعددت النعوت والوظائف من متنبئ وكاهن وساحر وحازي إلى عالم وممسوس وشاعر ! وأهل بابل يمزجون بين هذه النعوت ، وتلك الوظائف ويوحدونها في صفة (نبو) ونبوخذنصر لم يكن إنساناً اعتيادياً في نظرهم ، فهو كل هؤلاء .. وكأن الأبطال والكهنة أنصاف آلهة في نظرهم ، ولا عجب أن يزعم الجاهليون أن النبي الأمين ﷺ كان كاهناً أو شاعراً أو ساحراً أو مجنوناً . وينقل ابن هشام حواراً بين الوليد بن المغيرة ، وقريش بشأن النبي ﷺ : « قالوا نقول كاهن . قال لا والله ما هو بكاهن لقد رأينا الكهّان فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه ! قالوا فنقول مجنون . قال ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون

(3) المرتضى ، أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد) 191/1 .

(4) لبيد . ديوانه ق 32 ، ص 92 ـ 94 .

الرعة : الحمق . الهيجا : الحرب . الزجر : المنع والتشاؤم . الرعة : الحمق . الهيجا : الحرب . الدعة : الحياة الهانئة . الهبنقعه : الكبرياء والشمم . المنزعة : القوس . مقزعة : محلوقة . الهامة : الرأس أو الشعر . القانعة : مقنعة بغطاء أو قناع . مسبعه : كثيرة السباع . المعمعه : صوت الحريق في القصب كناية عن صوت الشجعان في الحرب وشدة الحر .

وعرفناه ... قالوا فنقول : شاعر . قال ما هو بشاعر ، لقد عرفنا الشعر كله ، رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه ، فما هو بالشعر ، قالوا فنقول : ساحر ، قال ما هو بساحر ، لقد رأينا السحار وسحرهم فما هو بنفثهم ولا عقدهم »[5] .

وقد وردت في القرآن الكريم آيات تنسخ مزاعم أهل الجاهلية ..

بسم الله الرحمن الرحيم

1 ـ ﴿ إنه لقولُ رسولٍ كريمٍ ☆ وما هو بقولِ شاعرٍ قليلاً ما تؤمنونَ ☆ ولا بقولِ كاهنٍ قليلاً ما تذكَّرون ﴾ [الحاقة : 40/69 ـ 42] .

2 ـ ﴿ فذكِّر فما أنتَ بنعمتِ ربِّكَ بكاهنٍ ولا مجنُونٍ ﴾ [الطور : 29/52] .

3 ـ ﴿ وما علَّمنَاهُ الشِّعر وما ينبغي لـهُ إن هُوَ إلاَّ ذكرٌ وقرآنٌ مبينٌ ﴾ [يس 69/36] .

4 ـ ﴿ بل قالُوا أضغَاثُ أحلامٍ بل افتراهُ بل هُوَ شَاعِرٌ ﴾ [الأنبياء : 5/22] .

5 ـ ﴿ أم يقولون شاعر نتربّص به ريب المنون ﴾ [الطور : 30/52] .

6 ـ ﴿ والشُّعراءُ يتَّبعهم الغـــاوون ☆ ألم تَر أنَّهم في كلِّ وادٍ يهيمـونَ ﴾ [الشعراء : 224/26 ـ 225] .

7 ـ ﴿ وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون إنَّه لمجنون ﴾ [القلم : 51/68] .

8 ـ ﴿ فتولّى بركنه وقال ساحر أو مجنون ﴾ [الذاريات : 39/51] .

9 ـ ﴿ كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحرٌ أو مجنون ﴾ [الذاريات : 52/51] .

---

(5) هارون عبد السلام محمد : تهذيب سيرة بن هشام ص57 ، الزمزمة : الهمس . النفث والعقد : كان الساحر يعقد خيطاً أو منديلاً وينفث فيه !!

10 ـ ﴿ قالَ للملأ حوله إنّ هذا لساحر عليمٌ ﴾ [الشعراء : 34/26] .

11 ـ ﴿ فقال لهُ فرعونُ إنّي لأظنُّك يا مُوسى مسحُوراً ﴾ [الإسراء : 101/17] .

12 ـ ﴿ ويقولون أئنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون ﴾ [الصافات : 36/37] .

وكان النبي ﷺ يقول : « لا تنبروا باسمي إنما أنا نبي الله »[6] .

وقوله ﷺ كان تصويباً لكلمة (النبّاء) التي وردت في شعر العباس بن مرداس :

يـــا آخرَ النبّـــاء إنّـــك مرســـل بـالخير كلّ هـدى السبيـل هـداكا[7]

وقرّ في روع الجاهلي أن لكل شاعر شيطـاناً يلهمـه الشعر ! وأن هؤلاء الشيـاطين يتخـذون من وادي عبقر قريـة لهم !! ونحـاول في الآتي اقتبـاس المعلـومـات من معجم البلدان (294/3) :

1 ـ أرض كان يسكنها الجن ! يقال في المثل كأنهم جن عبقر ، قال المرار العدوي :

أعرفت الـــدار أم أنكرتهـــا بين تبراك فشسّي عبقر

والشس : المكان الغليظ !

وقال الأعشى :

(كهولاً وشباناً كجنة عبقر)

وقال امرؤ القيس :

كأن صليـــل المرو حين تطيره صليـل سيـوف ينتقـدن بعبقرا

2 ـ عبقر من أرض اليمن ، موضع مسكون ، وبلد مشهور بـه صيـارف ، بلـد كان قديماً وخرّب كان ينسب إليه الوشي ، فلما لم يعرفوه نسبوه إلى الجن .

---

(6) ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث والأثر 3/5 .

(7) ابن مرداس ، العباس ، ديوانه ق 31 . ب 1 ص 95 .

ثم نقتبس معلومات أخرى من لسان العرب (عبقر) :

1 ـ عبقر موضع بالبادية كثير الجن ..

2 ـ قال أبو عمر بن العلاء : الأصل عبٌّ قُر ؛ والعب اسم للبرد الذي ينزل من المزن والعين مبدلة من الحاء والقر البرد .. قال الشاعر :

كأن فاها عبٌّ قرّ بارد أو ريح مسك مسّه تنضاح ركّ

3 ـ قال الجوهري العبقر موضع تزعم العرب أنه من أرض الجن ! قال لبيد :

ومَن فاد من إخوانهم وبنيّهم كهول وشبان كجنة عبقر

ثم نسبوا إلى عبقر كلّ شيء تعجبوا من حذقه أو جودة صنعه .

4 ـ قال أبو عبيدة : ما وجدنا أحداً يدري أين هذه البلاد ، ولا متى كانت ، قال زهير :

بخيلٍ عليها جِنّةٌ عبقرية جديرون يوماً أن ينالوا فيستعلوا

إن تشكيك أبي عبيدة بفكرة عبقر يحيلنا إلى الإرث القديم الذي ورثه الجاهليون عن أسلافهم ! وقد أفرد أبو زيد القرشي ، من رجال القرن الثالث ، مبحثاً في (جمهرة أشعار العرب) ص40ـ54 قارن :

1 ـ قال أعرابي سألت جنياً : أتروي من أشعار العرب شيئاً فقال نعم وأنشد :

طاف الخيال علينا ليلة الوادي من آل سلمى ولم يلمم بميعاد

أنى اهتديت إلى من طال ليلهم في سبسب ..... إلخ

فلما فرغ من إنشاده قلت له : هذا الشعر لعبيد بن الأبرص الأسدي !! فقال : ومن عبيد لولا هبيد وأنشأ يقول :

أنا ابن الصلادم أدعى هبيدا حبوت القوافي قِرْمَى أسد

عبيداً حبوت بمأثوره وأنطقت بشراً على غير كد

ولاقى بدرك رهْط الكميت ملاذاً عزيزاً ومجداً وجد

قلت : فأخبرني عن مدرك ؟ فقال هو مدرك بن واغم صاحب الكميت وهو ابن عمي ..

2 ـ قال مظعون بن مظعون الأعرابي أحببت إذا علمت أن لشعراء العرب شياطين تنطق بالشعر على ألسنتها أن أعرف ذلك ورجوت أن ألقى هاذراً أو مدركاً اللذين ذكرهما الهبيد لأبي !!

3 ـ قال أعرابي لمضيفه أتروي من أشعار العرب شيئاً ؟ قال نعم وأنشدني للنابغة ثم قال : أتحب أن أنشدك من شعري أنا ؟ قلت نعم . فاندفع ينشد لامرئ القيس والنابغة وعبيد ... ثم اندفع ينشد للأعشى : فقلت : لقد سمعت بهذا الشعر منذ زمان طويل ! قال للأعشى ؟ قلت : نعم ؛ قال فأنا صاحبه ، قلت : فما اسمك ؟ قال : مسحل السكران ابن جندل ؟ فعرفت أنه من الجن ، ثم سألته : من أشعر العرب ؟ قال : ارو قول لافظ بن لاحظ ، وهياب ، وهبيد ، وهاذر بن ماهر !! أما لافظ فصاحب امرئ القيس ، وأما هبيد فصاحب عبيد وبشر ، وأما هاذر فصاحب زياد (النابغة) وهو الذي استنبغه .

4 ـ وسأل رجل من زرود أعرابياً غريب الهيئة : أتروي من أشعار العرب شيئاً ؟ قال : نعم ، وأنشد (قفا نبك) فلما فرغ قال له هذه لامرئ القيس ! فقال الأعرابي أنا والله منحته ما أعجبك منه ! قال فما اسمك ؟ قال لافظ بن لاحظ ! وأنشدتني ابنة الشيخ :

(نأت بسعاد عنك نؤىً شطون فبانت والفؤاد بها حزين)
فألفيت الأمانة لم تخنها كذلك كان نوح لا يخون

5 ـ ووجّه السؤال إلى أعرابي آخر : من أشعر العرب ؟ قال من قال :

وما ذرفت عيناك إلا لتضربي بسهميك في أعشار قلب مقتّل

ثم سأله : من قائل :

وتبرد برد رداء العرو س في الصيف رقرقت فيه العبيرا
وتسخن ليلـــة لا يستطيـع نبـاحـاً بهـا الكلب إلا هريرا

يريد في الأولى امرأ القيس وفي الأخرى الأعشى ! فقال له ثم من فأنشد :

تطرد القرّ بحر صـــــادق وعكيـك الصيف إن جـاء بقر

ويريد طرفة !!

6 ـ وسأل أحدهم عن قائل :

كأن لم يكن بين الحجـون إلى الصفـا أنيس ولم يسمر بمكـــة ســـامر
بلى نحن كنّـا أهلهـا فـأبـادنـا صروف الليـالي والجـدود العـواثر

قلت : نعم هذا شعر الحارث بن مضاض الجرهمي ! قال ذلك مؤديه وأنا قائله في الحرب التي كانت بينكم معشر خزاعة وبين جرهم .. وأنشد أعرابي غريب الهيئة :

ولرب راج حيـل دون رجائـه ومـؤمّـل ذهبت بـه الآمـال

فقال له السائل : أيها الشيخ من أنت ؟ وما شأنك ؟ فقال : أنا السفاح ابن الرقراق الجني !!

7 ـ ذكر أن رجلاً أنشـد الفرزدق (ت 110 هـ) شعراً لم يستحسنـه ! فضحـك الفرزدق وقال لـه : يا ابن أخي إن للشعر شيطانين يدعى أحدهما الهوبر ، والآخر الهوجل ، فمن انفرد بـه الهوبر جاد شعره وصح كلامـه ، ومن انفرد بـه الهـوجـل فسد شعره ... ا.هـ .

ولم يكن الجاهليون بدعاً في صناعة هذه الأوهام التي تفسّر الموهبة الشعريـة ، فقد اصطنع الآشوريون تمثال امرأة جميلة وأطلقوا عليه : ربة الشعر ، ومن جهة ثانيـة نجد أن أفلاطون كان يرى الإلهام مصدراً للفن « وكان اليونانيون يرون أن للفنون ربات ،

ذلك أن الأسطورة اليونانية تروي : أنه كان لكبير الآلهة زوس القابع على جبل الأولمب تسع بنات هن ربات الفنون وتسميهن الأسطورة (The Muses) أي عرائس الشعر ، وكل ربة تختص برعاية فن من الفنون ، فللشعر ربة ، وللخطابة ربة ، وللدراما ربة ، وللكوميديا ربة وهكذا ، وقد جرت العادة في الأكاديمية التي يعلم فيها أفلاطون ويلقي محاضراته أن يحتفل تلاميذه بعيد هذه الربات كل عام على شبه طقوس دينية موجهة إلى الربات ... واستمرت هذه الاحتفالات حتى عهد جستنيان مطلع القرن الثالث الميلادي الذي حظر تلك الاحتفالات الوثنية بعدما آمن بالنصرانية »[8] .

إن محلل النص مكتشف لا محالة هذه الديباجات الملفقة القائمة على الوهم ، فالقدماء استناداً إلى جيمس فريزر (الغصن الذهبي) لا يتعبون عقولهم حين يحللون وحين يؤولون ، فهم إيثاراً للراحة يوكلون جل الظواهر إلى الجن والسحرة .. لحل المعضلات ، وإذا كنا قد أوردنا إيمان العرب بشياطين الشعر ، فإن الأمر ليس تعميماً ، ولعلنا نتذكر اتجاه أوس بن حجر ، وبشامة بن الغدير ، وزهير بن أبي سلمى ، وكعب بن زهير ، وسواهم ... هذا الاتجاه يلغي فكرة الإلهام والشياطين ويميل إلى فكرة صناعة الشعر ، أو الشعر الصناعة ، فخير الشعر عندهم الحولي المحكّك .. وإذ قال الجاحظ (ت 255 هـ) : « الشعر صناعة ، وضرب من الصياغة ، وجنس من التصوير »[9] فإنما الجاحظ لم يصطنع رأيه من الفراغ ، وإنما هو صدى لآراء الفريق الذي يرفض وهم ربط الشعر بالشياطين .. ومهما يكن الأمر فنحن ندرس ظاهرة وجدت لها مساحة في التاريخ ، وقد زعم أن شياطين الشعر فحول وإناث ، وقد مرّ بنا عدد من الشياطين الذكور ، وثمة إناث من نحو (السعلاة) شيطانة النابغة ،

(8) البقاعي . د . شفيق ، الأنواع الأدبية مذاهب ومدارس ، ص177 وبعدها ، طب مؤسسة عز الدين ، بيروت 1985 . واستند د. البقاعي في توثيق المعلومة على : أبو ريان . د. محمد علي كتاب تاريخ الفكر الفلسفي 126/1 .

(9) الجاحظ ، الحيوان 444/2 .

و (المعلاة) شيطانة علقمة بن عبدة ... ويبدو أن أوهام الشعراء تحبّذ إليهم الإناث ، فإذا كان الشيطان ذكراً تذمّر الشاعر :

إني وكل شـــــــاعر بن البشر شيطـــانـــه أنثى وشيطـــاني ذكر

لكن الأعشى كان سعيداً بصاحبه (الذكر) :

أ- ومـا كنت شـاصردا ولكن حسبتني إذا مسحل سـدّى لي القـول أنطـق
شريكان فيما بيننـــا من هـــوادة صفيـــان جني وإنسي مـــوفـــق
يقـول فـلا أعيـا لشيء أقـولـه كفـــاني لاعيّ ولا هـــو أخرق

ب- حبـــاني أخي الجني نفسي فـــداؤه بـأفيـح جيـاش العشيـات خضرم
فقـال ألا فـانـزل على المجد سـابقـاً لـك الخير قلّـد إذا سبقت وأنعم[10]

ثم قارن شعر سويد بن أبي كاهل اليشكري :

فرّ مني هـاربـاً شيطـانـه حيث لا يعطي ولا شيئـاً منـع
ورأى مني مقـامـاً صـادقـاً ثـابت الموطن كتّـام الوجـع
ولسـانـاً صيرفيـاً صـارمـاً كحسام السيف مـا مسى قطـع
وأتـــاني صـــاحب ذو غيث زفيـان عنـــد انفـــاد القرع
قـال لبيـك ومـا استصرختـه حـاقراً للنـاس قـوّل القـذع
ذو عبـــاب زبـــد آذيـــه خمط التيار يرمي بالقلع[11]

(10) الأعشى ، ديوانه أ . ق 33 ب 32 ـ 33 ـ 34 ، ب ـ ق 15 ، ب 51 ـ 52 ، ب 43 :
دعوت خليلي مسحلاً ودعوا لـه جهنـام جـدعـا للهجين المـذمم
شـاصردا : متعلم . مسحل : شيطـان الأعشى . سـدّى : أحسن . الهوادة : اللين والرفـق . العي : العاجز . الأخرق : الجاهل . جدعاً : جدعه الله والجدع القطع . الهجين : غير الأصيل . أفيح : بحر واسع الخضرم البئر القديم والكثير الماء .. كناية عن الجواد المتفضل .

(11) الضبي : المفضليات رقم 40 ب 100 وبعدها . لا ينفعه : إشارة للفرار . موقر : منقل . كتّام الوجع : صبور . الصيرفي : المجرّب . حسام السيف : شفرته . ذوغيث : سريع الاستجابة . الزفيان : السريع الخفيف . الإنفاد : الذهاب . النفاد . القرع : مفردها قرعة وهي القربة . القذع : قبيح الكلام . ذو إ=

وقد يستعذب الشاعر وهم الجني أو الجنية ، ويجد جمهوراً مغرماً بعجائبية الصلة بين الشاعر والجن ، فيجنح إلى أبعد نقطة من الخيال .. فتأبط شراً فخورٌ بأنه تزوّج من الغيلان :

أنا الذي نكح الغيلان في بلد ... ما طلّ فيه سماكي ولا جادا
في حيث لا يعمت الغادي عمايته ... ولا الظليم به يبغي تهيّادا
وقد لهوت بمصقول عوارضها ... بكر تنازعني كأساً وعنقادا
ثم انقضى عصرها عني وأعقبه ... عصر المشيب فقل في صالح بادا[12]

ثم يزعم في موقف آخر أنه صادق الغول مفتخراً بذلك أمام صاحبته سليمى التي شكت إلى جارتها أن (ثابت) وهو تأبط شراً أصبح شيخاً أقرب إلى القبر منه إلى عشق النساء :

تقول سليمى لجارتها ... أرى ثابتاً يفنأ حوقلا
لها الويل ما وجدت ثابتاً ... ألفّ اليدين ولا زمّلا
ولا رعش الساق عند الجراء ... إذا بادر الحملة الهيضلا
... وأدهم قد جبت جلبابه ... كما اجتابت الكاعب الخيعلا
إلى أن حدا الصبح أثناءه ... ومزّق جلبابه الأليلا
على شيم نار تنورتها ... فبت لها مدبرا مقبلا
فأصبحت والغول له جارة ... فيا جارتا أنتِ ما أهولا
وطالبتها ... فالتوت ... بوجه تهوّلَ فاستغولا
فقلت لها : يا انظري كي تري ... فولّت فكنت لها أغولا
فطار بقحف ابنة الجن ذو ... سفاسق قد أخلق المحملا
إذا كلّ أمهيته بالصفا ... فحدّ ولم أره صيقلا

عباب : موج كثير . الآذي والتيار : الموج . خمط : مضطرب . القلع : الصخرة الكبيرة مشبه به للموجة !!.

(12) تأبط شراً ، ديوانه وأخباره ق 9 ص 77 .

عظـــاءة قفر لهـــا حلتـــان من ورق الطلـــح لم تغـــزلا
فمن كان يســـأل عن جـــارتي فـإن لهـا بـــاللـوى منزلا[13]

والخلاصـة : إن كتب الأخبـار ونصـوص الشعراء نقلت إلينـا أن الجـاهليين كانـوا يظنـون أن الشـاعر لا يستطيـع أن يقـول الشعر دون أن يلهمـه الجني شعره ، وأن جن الشعر أو شياطينه وجدوا في وادي عبقر قريـة يـأنسون إليهـا ، ويسكنون فيهـا وذلـك جزء من عقيدة ذلك العهد التي توحد بين الشاعر والساحر والنبي ، فللشاعر شيطانـه ، وللسـاحر رأيـه ، وللنبي وحيـه ، وقـد أبطـل الـدين الإسـلامي العظيم هـذه الأوهـام والأباطيل .. كما أبطل الكثير من المعتقدات الجاهلية الوثنية[14] !!

---

(13) المصدر نفسه ق 27 ص 162 وبعدها ص 164 وبعدها .
اليفن : الشيخ الفاني . الحوقل : الزاهد بالنساء . الزمل : الجبان . الجزاء : الركض . الهيضل : الجماعة من النـاس ، والهيضـل من النسـاء الضخمـة والهيضـل : الجيش . الخيعـل : قميص بـلاأكمام . الكاعب : البنت . الأدهم : الليل . جبته : دخلت فيه الأثناء : النواحي والجوانب . ليل أليل : شديد الظلمـة . الشيم : النظر إلى البرق أو النار لمعرفة المصدر . تنوّر : أبصر النـار . مـدبراً مقبلاً : كنـايـة عن الحـذر والقلق فهـو يتحرّك حتى لا يغفـل أو ينعس . الجـارة : الـزوج أو الخليلـة . استغـول : تلـوّن وتغيّر . أغـولا : فتـاكاً . القحف : عظم فـوق الجمجمـة . ذو سفـاسـق : السيف والسفسقـة شطبـة السيف أو طريقته . أخلق المحمل : بليت حمـائلـه لثقلـه وكثرة لبسـه . كلّ : التعب والكلال . أمهيتـه : جعلتـه رقيقاً حاداً . الصيقل : المغن بشحذ السيوف وجلائهـا . العظـاءة : حشرة تشبـه أبو بريص . الطلح : شجر . اللوى : موضع .
(14) الصائغ : عبد الإله ، الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام ص 28 .

الفصل الخامس

المعلقات وشعراؤها

المعلقات قصائد متميزة احتازت أهميتها البالغة في الوسط الأدبي بسبب جمال معانيها ومتانة مبانيها ، أنجزها شعراء كانوا نجوماً ساطعة في الزمن الجاهلي ، ولم يكن حب الناس لها وتعلّقهم بها ؛ لأن شعراءها معروفون ومحبوبون ، فمثل هذا لم يكن ضمن مفردات الصلة بين الناس والشعر ، فالناس تبحث عن الشعر قبل الشاعر ، ولم يكن قد ظهر النقد المنافق بعد ، فأم جندب كما تزعم الأخبار فضلت شعر علقمة على شعر زوجها امرئ القيس ، وعلقمة غريب وامرؤ القيس حبيب ، وعلقمة فقير وامرؤ القيس أمير !! فانتصار الذائقة الجاهلية كانت للشعر قبل الشاعر ، وذلك ما يشجعنا على القول : إن المعلقات هي أجمل قصائد طويلة في رأي جمهور زمانها ، وفي رأي جل الدارسين على تعاقب الأزمنة ومختلف الأمكنة ، فأساليبها مبتكرة حاذقة ، وصورها مؤثرة مونقة ، وعبارتها بسيطة عميقة ، وأخيلتها مجنحة ، وعواطفها مشبوبة ، وموسيقاها مأنوسة .

أما عدد المعلقات ففيه اختلاف ، جعلها تمتد من ست معلقات إلى عشر !! ولم نقرأ خبراً أنقصها عن الست أو زادها على العشر ! ولنلق نظرة عجلى على العلماء العرب والأجانب الذين اختلفوا في عددها :

☆ المعلقات الست :

1 ـ ابن الكلبي ، محمد بن السائب (ت 204 هـ) مقدمة شرح المعلقات السبع الطوال الجاهليات (ابن الأنباري) تح عبد السلام هارون ، طب دار المعارف بمصر 1963 .

2 ـ الأصمعي . أبو سعيد عبد الملك بن قريب (ت 216 هـ) ، كتاب القصائد الست ، انظر الفهرست ص 79 .

3 ـ البطليوسي . أبو بكر عاصم بن أيوب (ت 464 هـ) ، شرح الأشعار الستة الجاهلية ، تح ناصيف عواد ، طب دار الحرية بغداد 1979 .

4 ـ المستشرق الورد . العقد الثمين في دواوين الشعراء الستة الجاهلين ، طب ليدن .

☆ المعلقات السبع :

1 ـ أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت 210 هـ) : أصحاب السبع التي تسمى السمط ، نقلاً عن العمدة 96/1 .

2 ـ ابن قتيبة (ت 216 هـ) الشعر والشعراء 143/1 ، قال في معلقة عمرو بن كلثوم (وهي من جيد شعر العرب القديم وإحدى السبع) .

3 ـ ابن كيسان (ت 299 هـ) ، شرح السبع الطوال الجاهليات مخطوطة برلين رقم 7440 ، نقلاً عن بلاشير ، تاريخ الأدب العربي ص 175 .

4 ـ ابن عبد ربه (ت 327 هـ) ، العقد الفريد 259/2 ، تح أحمد أمين وصاحبيه ، طب لجنة التأليف مصر 1950 .

5 ـ القرشي . أبو زيد (ت القرن الرابع) ، جمهرة أشعار العرب ، طب دار صادر .

6 ـ الأنباري ، أبو بكر محمد بن القاسم (ت 328 هـ) ، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، تح عبد السلام هارون ، طب دار المعارف بمصر .

7 ـ القيرواني ، ابن رشيق (ت 456) ، العمدة 96/1 تح محمد محيي الدين عبد الحميد ، طب دار الجيل بيروت 1972 .

8 ـ الزوزني . أبو عبد الله الحسين بن أحمد (ت 486 هـ) ، شرح المعلقات السبع ، طب دار صادر بيروت 1958 .

9 ـ ابن خلدون . عبد الرحمن بن محمد (ت 808 هـ) ، مقدمة ابن خلدون ص 581 ، طب مؤسسة الأعلمي ، بيروت (د : ت) .

10 ـ أبو سعيد الضرير وابن جابر ، شرح المعلقات السبع ، مخطوطة بدار الكتب العربية ، نقلاً عن د . يحي الجبوري ، الشعر الجاهلي ص 119 .

11 ـ الجبوري ، د . يحي ، الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه ص 111 ، طب بيروت 1972 .

12 ـ البهبيتي ، نجيب محمد ، المعلقات سيرة وتاريخاً ص 5 ، طب دار الثقافة ، المغرب 1982 .

☆ المعلقات الثمان :

طبانة . د . بدوي معلقات العرب ، طب دار الثقافة بيروت 1974 .

☆ المعلقات التسع :

النحاس . أبو جعفر أحمد بن محمد (ت 338 هـ) ، شرح القصائد التسع المشهورات . تح أحمد خطاب العمر ، مطـ الحكومة بغداد 1973 .

☆ المعلقات العشر :

1 ـ التبريزي . أبو زكريا يحي بن علي (ت 502 هـ) ، شرح القصائد العشر ، تح . د . فخري قباوة ، طبـ المكتبة العربية ، حلب 1973 .

2 ـ الشنقيطي ، أحمد بن الأمين (ت 1331 هـ) ، المعلقات العشر وأخبار شعرائها ، طب دار الكتب العلمية ، بيروت 1997 .

ونحن نرجّح أن عدد المعلقات لا يزيد عن السبع ، بسبب من قداسة رقم سبعة عند العرب ، فثمة أيام الأسبوع ، وسبعة العريس وسبعة الميت ، وسبعة الختان ، وثمة العجائب السبع ، والسماوات السبع ، والأرضين السبع ، والقراءات السبع ، حتى قيل :

إن العرب سبعيون[1] وقد تقبل الدارسون فيما بعد الترقيم العشري للمعلقات كما تقبلوا التسميات العديدة للمعلقات ! فهي المعلقات والسموط ، والمذهبات ، والسبعيات ، والمشهورات ، والسبع الجاهليات والمنتقيات ، والسبع الطوال ، والقصائد الطوال .

أما شعراء المعلقات ومطالع قصائدهم فكما يلي :

1 ـ امرؤ القيس (قفا نبك) :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

2 ـ طرفة بن العبد (لخولة أطلال) :

لخولة أطلال ببرقة ثهمد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

3 ـ زهير بن أبي سلمى (أمن أم أوفى) :

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم بحومانة الدراج فالمتثلّم

4 ـ لبيد بن ربيعة العامري (عفت الديار) :

عفت الديار محلها فمقامها بمنى تأبّد غولها فرجامها

5 ـ عنترة (هل غادر الشعراء) :

هل غادر الشعراء من متردّم أم هل عرفت الدار بعد توهّم

6 ـ الحارث بن حلّزة اليشكري (آذنتنا ببينها أسماء) :

آذنتنا ببينها أسماء ربَّ ثاو يملّ منه الثواء

7 ـ عمرو بن كلثوم التغلبي (ألا هبي) :

ألا هبي بصحنك فاصبحينا ولا تبقي خمور الأندرينا

---

(1) الصائغ ، الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام (سلطان الأعداد) 49 .

8 ـ ميمون بن قيس البكري : الأعشى (ودع هريرة)

ودع هريرة إن الركب مرتحـل وهل تطيق وداعاً أيها الرجل

9 ـ النابغة الذبياني (يا دار مية) :

يـا دار ميـة بـالعليـاء فـالسنـد أقوت وطال عليها سالف الأمد

10 ـ عبيد بن الأبرص (أقفر من أهله) :

أقفر من أهلـــه ملحـــوب فـالقطبيـات فـالـذنـوب

ونحن غير ميالين إلى اعتداد عبيد بن الأبرص صاحب معلقة ! لأن بـائيتـه ليست بمستوى المعلقـات ، فهي محرومـة من جمـالي المعنى والمبنى وهي إلى هـذا مضطربـة معنىً وإيقاعاً ، وربما وضع اسمه في قائمة شعراء المعلقات نكاية بملك الحيرة الذي رضي لمملكته أن تأتمر بأمر الأكاسرة !! وتعاطفاً مع موت عبيد المأساوي « وكان عبيد شاعراً جاهليـاً قديمـاً من المعمرين وشهـد مقتل حجر أبي امرئ القيس ! وقتلـه النعمان بن المنـذر يوم بؤسه ، ويقال : إنه لقيه يومئذ فقال له هلا كان هـذا لغيرك يـا عبيـد ! أنشـدني فربمـا أعجبني شعرك ، فقال له عبيد : حال الجريض دون القريض »[2] .

يقول ابن سلام : « وشعره مضطرب ذاهب »[3] والقـدمـاء يقـولـون : إن قصيـدة (أقفر من أهلـه) في أصلـه خطبـة ثم استقـام لهـا الـوزن !! وقـد يـلاحـظ الـدارس انكسارات في الوزن ، وقال فيها أبو العلاء المعري :

وقـد يخطئ الرأي امرؤ وهـو حـازم كما اختـل في وزن القريض عبيـد[4]

---

(2) ابن قتيبة. الشعر والشعراء 166/1 ، الجريض : الموت . القريض : الشعر .

(٣) الجمحي . طبقات الشعراء 79 .

(4) التبريزي . شرح القصائد العشر ص 323 قارن هامش (2) .

تقويم المعلقات

قال ابن خلدون (ت 808 هـ) في مقدمته ضمن الفصل التاسع والأربعين الخاص بـ (ترفّع أهلى المراتب عن انتحال الشعر) ما يلي :

اعلم أن الشعر كان ديواناً للعرب ، فيه علومهم وأخبارهم وحكمهم ، وكان رؤساء العرب منافسين فيه ، وكانوا يقفون بسوق عكاظ لإنشاده ، وعرض كل واحد منهم ديباجته على فحول الشأن وأهل البصر ؛ لتمييز حوله ، حتى انتهو إلى المناغاة في تعليق أشعارهم بأركان البيت الحرام موضع حجهم وبيت إبراهيم كما فعل امرؤ القيس بن حجر والنابغة الذبياني وزهير بن أبي سلمى وعنترة بن شداد وطرفة بن العبد وعلقمة بن عبدة والأعشى وغيرهم من أصحاب المعلقات السبع ، فإنما كان يتوصّل إلى تعليق الشعر بها من كان له قدرة على ذلك بقومه وعصبيته ومكانته في مضر على ما قيل في تسميتها بالمعلقات . ا . هـ[5] .

وقد مسّ ابن خلدون شغاف المعلقات وأثرها في أفئدة جمهور الشعر عهد ذاك ، بل إن الجماهير العربية الجاهلية كانت جماهير شعر ، وكان الشعر معبّراً عن عواطفهم وأحلامهم ورغباتهم ورهباتهم ، ولم يرتق أي فن أو شأن مراقي الشعر ، وموضع افتراقنا مع ابن خلدون ، رحمه الله ، هو أنه أوكل شهرة المعلقات وتعليقها على قدرة الشاعر (بقومه وعصبيته ومكانته في مصر) وهذا القول ينتقص من قيمة المعلقات وشعرائها بقدر ما ينتقص من ذائقة جمهور الشعر ومروءتهم .

والذي نراه دون تردد هو أن المعلقات كانت ذات جاذبية لا تقاوم ، فأحبها العربي والأعرابي والشمالي والجنوبي .. دون أن تتدخل عوامل العصبية القبلية أو المكانية ، قارن رأي الدكتور يحي الجبوري « المعلقات قصائد طوال جياد ، اختيرت من أحسن الشعر الجاهلي ، قوة ومتانة وجمال أسلوب ، فهي الصورة الناضجة الكاملة التي انتهت

(5) انظر ص 580 .

إليها تجارب الجاهليين في التعبير الأدبي ، ولذلك غطت شهرتها ما سواها من الشعر الجاهلي ؛ وصار لقائليها من الذكر والشهرة ما لم يظفر به غيرهم من الشعراء ، واتخذها الأدباء والشعراء ـ قدوة يحاكمونها حين ينظمون ، متأثرين بأسلوبها ولغتها ، وطريقة نظمها ، وتسلسل أفكارها ، محاولين أن يبلغوا في قصائدهم مبلغ أولئك الجاهلين في معلقاتهم »[6] .

وقد ضغطت مقولة الدكتور يحي الجبوري على ورقة مهمة هي أن جمال المعلقات كان مسوّغ عناية جمهور الشعر بها ، وقد رجّح الدكتور الجبوري المعلقات على سواها من الشعر الجاهلي ، وهو أمر يتفق مع آليات تحليل النص بيد أن غلق الباب وراء المعلقات ، يلحق حيفاً بقصائد غير قليلة سبقتها ، أو عاصرتها أو عقبتها .. فثمة قصائد كثيرة لها قوة المعلقات وشعريتها .. يقول الدكتور ريجس بلاشير : « إن المكانة التي أفردها علماء المسلمين لمجموعة المعلقات الصغيرة قد أسهمت إلى حد بعيد في تغبيش الرؤية أمام النقد الغربي ، ولا تعتبر القصائد المذكورة بالرغم من شهرتها أكثر بقايا الشعر الجاهلي قدماً وصحة .. ولعل من الحذر ألا نرجحها على غيرها من النتاج الشعري الذي قد يكون أقل ألقاً ، ولكنه أدّل على التفجر العفوي للشعر »[7] .

إن المعلقات قصائد مهمة حقاً ، يقتضينا تقويمها الإلمام بطبيعة هذه المعلقات وشعريتها بمنظور لا يعتسف طريقة الجاهليين في تقويم الشعر .. ولنا أن نقترح عدداً من الإشارات التي تؤوّل أهمية هذه القصائد النفيسة :

1 ـ أجمع أهل الجاهلية على انتقاء هذه القصائد دون غيرها ، رغم استحالة الإجماع أو صعوبته نظراً للعصبيات وتعدد الولاءات فالمعلقات ثمرة الذائقة الجمعية التي يعتدها المنهج الإحصائي مؤشراً كبيراً .

---

(6) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه ص 111 .

(7) تاريخ الأدب العربي ص 178 (م . س) .

2 ـ حذق شعرائها لأفانين التأثير في المتلقّين بمخاطبة حساسياتهم الجمالية حتى حدا الأمر بعنترة وهو الشاعر الفنان إلى تحدّي الشعراء بمعلقته :

هـل غـادر الشعراء من متردم أم هـل عرفت الـدار بعـد تـوهّم

أما الأعشى فقد كان مولعاً بتغريب قصيدته ، حتى لا تشبه القصائد ، وإحكام أسبابها ، لتشغل الملوك والكافة فيتساءلون عمن قالها :

وغريبـة تـأتي الملـوك حكيمـةٍ قـد قلتهـا ليقـال من ذا قـالهـا

بعض الشعراء وقف باكياً ومستبكياً ! والآخر بدأ معلقته بالسؤال ، والثالث توّجع وتفجّع ، والرابع استرجع الماضي ، والخامس خلط المجاز بالواقع ، والحديث يطول في ابتكارات المعلقات التي استحوذت بها على إعجاب جماهير غفيرة ..

3 ـ جماليات الموسيقا ، ابتداء بالبحر مروراً بمخارج الحروف وصلاتها ببعضها وانتهاء بالقافية مع ملاحظة التقابلات النغمية بين العبارات والكلمات والصياغات ..

4 ـ ولع المعلقات بالتصوير الفني فهي تصف بمهارة عالية المفردات التي تدخل في دائرتها ، فنرى مع الشاعر ونسمع ونشم ونذوق ونلمس ، بل نأسى ونفرح أيضاً ، لقد استثمرت المعلقات طاقات الحواس الخمس في استقبال الصور وتلوينها ، وتكفي الإشارة إلى فرس امرئ القيس الذي انحدر من الأعالي مثل صخرة جرفها السيل ..

5 ـ سلاسة الأسلوب وجزالته ، بالابتعاد عن الكلمات الغريبة الكزة ، وخلوص العبارة من المعاضلة والتعقيد مع وضوح العبارة وذكاء الإشارة .

6 ـ وحدة البيت ، وهذا الموضوع ليس حكراً على المعلقات ، وإنما هو سمة في الشعر التقليدي بيد أن المعلقات أكثر عناية بوحدة البيت بحيث يبدو البيت مغتنياً بنفسه عن البيت السابق والبيت اللاحق ، ووحدة البيت لا تؤدي إلى تفكيك وحدة الموضوع ، أو الوحدة العضوية كما تهيأ لعدد من الدارسين ، بل إن وحدة البيت تسهم بفاعلية فذة في شدّ القصيدة إلى بعضها وإحكام بنيتها العميقة والظاهرة ..

7 ـ وحدة الموضوع ، فكل معلقة ترصد موضوعاً بعينه تدور حول محوره ، وهذه الوحدة لا تلغي وجود وحدات صغيرة تتجادل مع بعضها ، وتتحاور ثم تتقارب ، وتتكاثف لتشكل الوحدة الكبرى (القصيدة) ، وما أشبه وحدة القصيدة بالجدار المتماسك المتألف من وحدات أصغر هي الآجرّات ! ووحدة الموضوع ليست مقصورة على المعلقات ، بل هي مرة أخرى الصفة العامة للشعر الجاهلي لكن المعلقات أكثر تشبثاً من سواها بهذه الوحدة .

8 ـ حافظت المعلقات على وحدة اللغة الشعرية ، فتخففت من أعباء اللهجات حين أصرّ شعراؤها على كتابتها وفق لغة قريش ، متناسين لهجاتهم واشتراطاتها الدلالية والصوتية ، فشعراء اليمن وكندة والحيرة واليمامة وبصرى ودومة الجندل وغيرهم ، تخلوا عن لغاتهم وكرّسوا لغة قريش حتى يفهم قصائدهم القاصي والداني فأسهموا في بناء وحدة العرب اللغوية والذوقية .

9 ـ المعلقات (نصوصاً) قدوة الشعراء الذين جايلوها أو جاؤوا بعدها .. فأضحت تقليداً حمل الشعراء على محاكاته وتمثله والإضافة إليه ! ومعلوم أن القصيدة الناضجة جمالياً والناجحة جماهيرياً تكون موضع اهتمام الشعراء الطامحين بمجد كمجدها ، فهم يدرسونها ويحللونها ، ليكتشفوا أهم قيمها الدلالية والجمالية ، ليكتشفوا ما نسمّيه الآن (الشعرية) ، وبهذا خلقت المعلقات نشاطاً شعرياً وحضارياً منقطع النظير بسبب جاذبيتها !

10 ـ وجدد عدد من علماء النغم (د . إبراهيم أنيس مثلاً) أن للمعلقة وسيلة استثنائية في المزج بين المعنى والمبنى لتوليد حالة ثالثة عالية الشعرية ، فقد تجاوبت البحور والقوافي وعوائل الحروف مع همّي القصيدة : الجمالي والدلالي ، حتى ليمكن القول : إن معلقة عمرو بن كلثوم لا يمكن أن تكون بهذه الجودة ، لو لم تكتب على الوافر وتنتقي النون مشبعة الفتحة ، وأن امرأ القيس أحسن تماماً في انتقاء الطويل بحراً لقصيدته واللام قافية .. وهذه إشارات يفقهها محللو النص ! قارن الآتي :

جدول (١)

الترتيب	البحر	عدد المعلقات	المعلقة نسبة الى الشاعر
1	الطويل	3	امرؤ القيس - زهير - طرفة
2	البسيط	3	النابغة - الأعشى - عبيد بن الأبرص.
3	الكامل	2	لبيد - عنترة.
4	الخفيف	1	الحارث بن حلزة.
5	الوافر	1	عمرو بن كلثوم.

جدول (٢)

الترتيب	القافية	العدد	المعلقة /الشاعر
1	د	2	(لخولة أطلال - طرفة) (يادارمية - النابغة)
2	م	2	(أمن أم أوفى-زهير) (هل غادر الشعراء-عنترة)
3	ل	2	(قفا نبك- امرؤ القيس)-(ودع هريرة-الأعشى)
4	هـ	1	(عفت الديار-لبيد)
5	ن	1	(ألاهبي-عمرو بن كلثوم)
6	ب	1	(أقفر من أهله-عبيد)
7	د	1	(آذنتنا ببينها-الحارث)

المعلقات بين دلالتي اللغة والاصطلاح

(فكرة التعليق على أستار الكعبة)

تكتنز مادة (علق) دلالات وفيرة تبدو مؤتلفة أحياناً ، ومختلفة أخرى ، بيد أن لها قواسم مشتركة في الأغلب الأعم نحو :

١ ـ علق : أمسك وتشبث ... قال الأعشى ، ثم قال امرؤ القيس :

+علقتها عرضاً وعلقت رجلاً غيري وعلق أخرى غيرها الرجل
وعلقته فتاة ما يحاولها من أهلها ميت يهذي بها وهِل
وعُلّقتني أخيرى ما تلائمني فاجتمع الحب حبا كله تبِل
+تعلّق قلبي طفلة عربية تنعم بالديباج والحلي والحلَل

2 ـ العِلْق (كسر العين سكون اللام) : الشيء النفيس والأعلاق النفائس ويسمّى الحجر الكريم الثمين الذي يتوسّط القلادة عِلقاً ، وينقل بلاشير من (Lgall) : « إن المعلقات مشتقة من العِلْق وهو ما يضنُّ به من الأشياء والحلي والثياب ، ومما يدعو إلى قبول هذا الرأي أن ابن رُستِه أحد جَغْرافيي العرب في القرن الثالث للهجرة أسمى كتابه (الأعلاق النفيسة) فمعنى المعلقات إذن عقود من أحجار كريمة تعلق »[8] .

3 ـ العَلَق (فتح العين واللام) حشرة دودية طفيلية استعملها الأطباء منذ عهد الأكديين والآشوريين ، لامتصاص القيح من الدملة .

4 ـ العَلْق (فتح العين وسكون اللام) : معضد أو مقلد من قماش أو معدن يتفاءل به الناس ظناً منهم أنه يقيهم شرور الحسد والمرض والجن ولونه الغالب أخضر أو أسود .. وهذه عادة جاهلية ، وقيل : بابلية ، فكان البابلي يلبس معضداً من غصن الغار ، أو يشد به رأسه ، أو وسطه لكي يستجلب الخير لنفسه وأحبائه .

(8) بلاشير ، تاريخ الأدب العربي 176 .

5 ـ وللتعليق دلالات كثيرة (لسان العرب) علق بينها :

× بقاء القول في الذاكرة والقلب .

× كتابة القول المهم وتعليقه على الحائط ، أو وضعه في خزانة .

× تأجيل البت في الأمر .

× صناعة هامش تفسيري أو تأويلي للنص الأدبي .

وقد مرّ بنا أن النعمان بن المنذر وسواه من الملوك ، كان شغوفاً بالشعر فإذا سمع قصيدة وأعجبته أمر بتعليقها ، « ويعتقد ـ فون كريمر ـ أن الكلمة مشتقة من علق أي كتب ، ويسوّغ ذلك تنقل تلك القصائد عن طريق الرواية الشفهية التي أعقبها التدوين !! » .

ويعلّق المترجم د . إبراهيم الكيلاني على اعتقاد فون كريمر قائلاً : « إن هذا التعليل لا يتفق وعادة العرب المغرمين بالعناوين المجازية ، فإذا كان المستشرق المذكور يعتمد على عبارة ابن النحاس التي وضعها على لسان أحد ملوك العرب القدماء الذي كان إذا استحسن قصيدة قال علقوها ، وأثبتوها في خزانتي (زيدان 90/1) فإنه وضع تسمية مكان أخرى كما أن فعل (علّق) بمعنى (دوّن) استعمال متأخر مقصور على أوساط النسّاخ ، فهي إذن تسمية أطلقها الأدباء ، ولا يسعنا إلا رد مصدر التسمية التي اقترحها أهلوارد القائل بأن المعلقات معناها تعلق معنى البيت ببيت يليه ! أليس ذلك ما هو كائن في كل قصيدة ؟ ولماذا نسب هذا الاسم إلى القصائد المذكورة ولم ينسب إلى غيرها ؟ »[9] .

أما المعلقات في الحقل التواضعي ، الاصطلاحي ، فهي كما أشرنا قصائد جاهلية طويلة وجميلة ، أنجزها شعراء كبار ، فاتفق العرب على جمال عبارتها ، ومعناها ، وموسيقاها ، وجدة أسلوبها ، وقوة أثرها ، واختلف الدارسون قدامى ومحدثون حول عددها فهي كما مرّ بنا ست معلقات ، وسبع ، وثمان ، وتسع ، وعشر ، والاختلاف

(9) المرجع نفسه ص 176 .

رحمة ! واختلف الدارسون أيضاً في تعليقها على أستار الكعبة ، أو على القباطي نسبة إلى قماش مصري تكسى به الكعبة كل عام ، فمن مؤكد على أن هذه القصائد علقت على أستار الكعبة إلى رافض فكرة التعليق جملة وتفصيلاً .. وإذا اتفق الدارسون على عدد معين للمعلقات فإنهم ضمن هذا العدد لم يتفقوا على الشعراء المنضوين ضمن هذا العدد !! يقول بلاشير : « إن الخلافات عديدة حول عناوين القصائد التي تؤلف مجموعة المعلقات ، وكذلك حول أسماء الشعراء ، فإن قصائد امرئ القيس وزهير ولبيد موجودة في المجموعات كافة شكلاً وترتيباً ، ولعل ذلك يؤلف النواة الأصلية للمجموعة التي أضيفت إليها فيما بعد قصائد أخرى بدوافع ونوازع أدبية وسياسية ، والأصمعي عرف في زمنه مجموعة مؤلفة من ست قصائد ، كما أن أبا عبيدة عرف مجموعة مؤلفة من سبع قصائد ، وأيد ابن قتيبة وصاحب الجمهرة هذا العدد ، غير أن الأخير يستثني منها قصيدة عنترة فيكون التحقيق كما يلي : قصيدة امرئ القيس ، وزهير ، والنابغة ، والأعشى ، ولبيد ، وعمرو بن كلثوم ، وطرفة بن العبد . ويظهر على هذا الإحصاء سلطة أبي عبيدة الذي أوجد في هذا التسلسل نوعاً من التسلسل القيمي .

ونجد عدد السبعة عند ابن النحاس ، ولكن التحقيق يختلف عنده فهو يذكر قصائد امرئ القيس ، وطرفة ، وزهير ، وعبيد ، وعمرو بن كلثوم ، والحارث ، وعنترة ، مستثنياً قصيدة النابغة لشكه في صحتها والتي استعيض عنها بقصيدة عنترة المشهورة ، كما أنه لأسباب سياسية ألحقت بقصيدة عمرو بن كلثوم المجدة لتغلب قصيدة الحارث المجدة لبني بكر ، ونجد عند الزوزني تأكيداً لعدد السبعة مستنداً بذلك على تحقيق ابن النحاس ، وأخيراً ففي زمن يصعب تحديده ، ولعله زمن ابن النحاس نفسه مزج بين تحقيق الجمهرة وتحقيق ابن النحاس ، وأصبح ما جمعه وحققه الأخير بداية المعلقات مضافاً إليها المعلقة الثامنة والتاسعة ، وقصيدتي النابغة والأعشى اللتين هما الثالثة والرابعة في الجمهرة وبعد مضي عشرين عاماً جاء شارح آخر هو التبريزي (ت 502) فأحصى عشر معلقات ، سبعاً من جمع ابن النحاس مضافاً إليها قصيدتا

النابغة والأعشى ثم قصيدة مشهورة للبيد[10] ، أما فكرة تعليق المعلقات على أستار الكعبة فلا يوجد دليل علمي قاطع على أنها علقت أو أنها لم تعلّق ، وكل فريق من هذين الفريقين (الذي يقول بالتعليق والذي لا يقول) إنما اعتمد على أدلة تخمينية يؤدي الحدس فيها وظيفة لا تخفى وإن تطرف كل فريق إلى الحد الذي يقذف فيه الفريق الآخر بالعمه والضلال والسخف ، قارن تعبيرات العلامة نجيب محمد البهبيتي وهو من الفريق الذي يقول بتعليق المعلقات على أستار الكعبة !!

1 ـ أثبت للرافعي ولأتباعه أنهم خدعوا أنفسهم حين استندوا في إنكارهم (فكرة تعليق المعلقات على أستار الكعبة) على توقف الشراح عند تسميتها بـ (السبع الطوال) وعدم تسميتها بـ (المعلقات) ..

2 ـ وقد لجأ تابعوه إلى محاولة باغية برمي ابن الكلبي المؤرخ بالكذب .

3 ـ إنه (ابن الكلبي الذي قال بالتعليق) كان عرضة لطعن سفيه باطل في القديم وفي الحديث المعاصر .

4 ـ اتهم البهبيتي الفريق الذي لا يرى تعليق المعلقات على أستار الكعبة بـ « فساد المنهج وفساد في القياس والاستدلال وجهل بمنزلة المراجع والمصادر »[11] . فإذا كان الأستاذ البهبيتي ، وهو العالم الجليل يعبّر عن حماسته لفكرة تعليق المعلقات على أستار الكعبة بعبارات قاسية ومتحاملة فما بالنا بأولئك الذين يقرزمون الكتابة في الأدب الجاهلي ، ويتعلمون الكتابة فيه كما يتعلم الصبي الضال أسباب النضج والبلوغ !! ولسوف نقتبس توليف الدكتور يحي الجبوري الخاص بفكرة التعليق نظراً لأهميته وريادته « إن أقدم الرواة الذين أشاروا إلى التعليق صراحة هو ابن الكلبي (ت 204)

(10) بلاشير . تاريخ الأدب العربي ص 177 وبعدها ، وإنما تمادينا في الاقتباس لاكتشافنا أن معظم الدارسين العرب اعتمدوا كلياً أو جلياً أو بعضياً على جهد بلاشير دون أن ينوهوا بجهوده القيمة !!

(11) البهبيتي ، نجيب محمد ، المعلقات سيرة وتاريخاً ص 6 ـ 8 ، طب دار الثقافة ، الدار البيضاء ، المغرب 1982 .

فقد قال : أول شعر علق في الجاهلية شعر امرئ القيس ، علق على ركن من أركان الكعبة أيام الموسم حتى نظر إليه ثم أحدر فعلقت الشعراء بعده ، وكان ذلك فخراً للعرب في الجاهلية ، وعدوا من علق شعره سبعة نفر » ا. هـ .

وقال بالتعليق كذلك ابن عبد ربه (ت 327 هـ) : « لقد بلغ من كلف العرب به وتفضيلها له أن عمدت إلى سبع قصائد تخيرتها من الشعر القديم فكتبتها بماء الذهب في القباطي المدرجة ، وعلقتها بين أستار الكعبة » ا. هـ .

ونص على التعليق أيضاً ابن رشيق القيرواني (ت 456 هـ) فقال : « وكانت المعلقات تسمى المذهبات ، وذلك لأنها اختيرت من سائر الشعر فكتبت في القباطي بماء الذهب ، وعلقت على الكعبة » ا. هـ .

وتابعهم بعد ذلك ابن خلدون (ت 808 هـ) الذي قال : « إن التعليق كان بأركان البيت الحرام » ا. هـ .

وقد شرح البغدادي (ت 1093 هـ) معنى المعلقة بأنه الشعر المعلق على ركن من أركان الكعبة ا. هـ »[12] .

ويسلّط الدكتور الجبوري الضوء على أن هذه النصوص أعلاه التي أوردها تشير علانية إلى فكرة تعليق المعلقات على أستار الكعبة ، بيد أن هناك نصوصاً أخرى لعلماء تكلموا في المعلقات لم تشر إلى فكرة التعليق ، وهؤلاء هم ابن سلاّم الجمحي (ت 232 هـ) ، والجاحظ (ت 255 هـ) ، وابن قتيبة (ت 276 هـ) ، والمبرد (ت 285 هـ) ، وابن الأنباري (ت 328 هـ) ، وأبو جعفر النحاس (ت 347 هـ) ، والأصفهاني (ت 356 هـ) ، والباقلاني (ت 403 هـ) وغيرهم .

ولاحظ أن هناك فريقاً ثالثاً من العلماء أنكر فكرة التعليق تماماً وفي طليعة أولئك أبو جعفر النحاس الذي قال في شرحه للمعلقات : « إن الملك إذا استحسن

(12) الجبوري . د . يحيى ، الشعر الجاهلي ص 116 .

قصيدة قال : علقوا لنا هذه وأثبتوها في خزانتي ، وأما قول من قال : إنها علقت بالكعبة فلا يعرفه أحد من الرواة » .

وقد استفاد أبو البركات بن الأنباري من جهد النحاس فقال : « ولم يثبت ما ذكره الناس من أنها كانت معلقة على الكعبة » .

وقد استفاد من جهد النحاس كذلك ياقوت الحموي في مبحث ترجمته لحماد .

أما المعاصرون فثمة من أنكر فكرة التعليق مثل مصطفى صادق الرافعي في تاريخ آداب العرب 192/3 ، وأحمد الحوفي ، وشوقي ضيف .

أما المستشرقون الذين أنكروا فكرة التعليق فهم نيكلسون وهنجستنبرج وهوار[13] . وقد حاول الدكتور بدوي طبانة إثبات فكرة تعليق المعلقات على أستار الكعبة وتفنيد الآراء التي رفضت فكرة تعليق المعلقات وساق أدلة نقلية وعقلية[14] ، لكن المحاولة الكبرى كانت من نصيب الأستاذ البهبيتي ، فقد ذكر الآراء التي اعترضت على فكرة تعليق المعلقات على أستار الكعبة ، وحاول تفنيدها بالأدلة العقلية والنقلية ، ثم عدّد الأسباب التي تجعله موقناً بفكرة تعليق المعلقات على جدران الكعبة ، وذكر التقليد القديم في تعليق الأشياء المقدسة والجميلة في أبواب المعابد ، والقصور الملكية . مذكراً بأسطورتي جلجامش وحيخافي العلى ، فأصدر كتاباً باسم (المعلقات سيرة وتاريخاً) ، وأصدر كتاباً آخر بجزأين أسماه (المعلقة العربية الأولى) .

إن كتابنا ميّال إلى فكرة تعليق المعلقات على أستار الكعبة لأنها توافق المزاج العربي ، وطبيعة ذلك الزمان ، فعندما دخل النبي ﷺ يوم الفتح إلى الكعبة وجد على جدرانها رسومات لسيدنا إبراهيم وهو يستقسم بالأزلام ووجد أيضاً قرن الكبش معلقاً في أعلى الجدار ! وثمة أشياء عزيزة على الجاهليين أخرى كانت معلقة ، وقد ذكرها

(13) نفسه ص 116 وبعدها ..

(14) طبانة ، د ..بدوي ، معلقات العرب ، طبعة الرسالة مصر 1958 .

الأزرقي في كتابه (أخبار مكة) ، بيد أننا لا نرجّح التعصّب لهذا الرأي أو نقيضه ، لعدم توفر وثيقة علمية تثبت فكرة التعليق أو تنفيها . وسواء علقت المعلقات أو لم تعلق فإن المهم هو أن هذه القصائد خلدت ، وعلقت في قلوب العرب على اختلاف الأزمنة والأمكنة وذلك حسبها ..

المعلقات : تراجم ومختارات

لا يمكن لأي دارس الاكتفاء بالجانب التشريحي من تاريخية اللغات والاختلافات والائتلافات بشأن عددها ، وتعليقها ، وأسامي شعرائها ، فذلك أمر يمثّل هامشاً في ظاهرة المعلقات ، ويبقى الجانب الأكثر أهمية هو تسليط الضوء على شعرائها ، وأجوائها ، ومنتخبات منها .

وقد رأينا من باب إتمام الفائدة صناعة جدول بالمظان التي توفرّ المعلومات عن الشعراء وأجواء المعلقات وتثبت النصوص لكي يعود إليها الراغب في الاستزادة .. قارن :

التسلسل	اسم الشاعر	ابن سلام الجمحي ت:232 طبقات الشعراء	ابن قتيبة ت:276 الشعر والشعراء	ابو الفرج الاصبهاني الأغاني ت:356	ابو زكريا التبريزي ت:502 شرح القصائد العشر	أحمد الشنقيطي ت: 1331 المعلقات العشر	جورجي زيدان ت:1332 تاريخ آدب اللغة العربية	بطرس البستاني ت: 1389 الشعر الجاهلي
1	امرؤ القيس	59	73/1	6/8	2	15	93/1	-
2	طرفة بن العبد	78	108/1	-	55	27	109/1	91
3	زهير بن أبي سلمى	59	84/1	139/9	101	41	98/1	115
4	لبيد بن ربيعة	77	171/1	90/14	129	51	105/1	-
5	عنترة العبسي	86	157/1	141/7	176	83	111/1	78
6	عمرو بن كلثوم	85	141/1	؟	215	67	107/1	-
7	الحارث بن حلزة	85	116/1	171/9	249	97	108/1	-
8	الأعشى	59	159/1	50/5 . 74/8	287	107	103/1	-
9	النابغة الذبياني	59	87/1	154/9	307	127	100/1	143
10	عبيد بن الأبرص	79	166/1	84/19	323	143	114/1	-

إشارة : المصادر أعلاه لا تعني عن الدواوين المحققة والدواوين المحققة لا تغني عن المصادر العتيدة.

جدول (أ)

التسلسل	اسم الشاعر	وفاة الشاعر بعد الميلاد استناداً إلى لويس شيخو وجرجي زيدان	وفاة الشاعر قبل الهجرة وبعد الميلاد، استناداً إلى الشنقيطي
1	امرؤ القيس	540-	565-80
2	طرفة بن العبد	500-	552،550-70
3	زهير بن أبي سلمى	615-	608-14
4	لبيد بن ربيعة	662-	660-40
5	عنترة العبسي	615-	600-22
6	عمرو بن كلثوم	600-	570-52
7	الحارث بن حلزة	580-	570-52
8	الأعشى	629-	629-7
9	النابغة الذبياني	604-	604-18
10	عبيد بن الأبرص	555-	565 (!!) - 605 (!!)

جدول (ب)

امرؤ القيس

أشهر شعراء عصره ، وهو ابن ملك كندة وجده حجر بن عمرو آكل المرار ، وكندة بطن من كهلان ، موطنهم البحرين والمشقر ، ثم أجلوا عنها إلى حضرموت ، وقد نزح حجر إلى نجد ، ونزل بطن عاقل أوائل القرن الخامس ميلادي ، ونافسهم اللخميون (المناذرة) على النفوذ والجاه بين العرب ، وما إن تغيّر كسرى قباذ على المنذر بن ماء السماء حتى وثبت كندة على بني المنذر ، فتملك الحارث بن عمرو بن حجر ملك المناذرة بأمر من كسرى ، وقد دانت العرب للحارث ، فولّى أولاده الأربعة على القبائل ! وانقلب الأمر على الحارث بعد موت قباذ ، وتولي أنوشروان حكم فارس ، وكان أنوشروان ميالاً للمناذرة فاقتتل الكنديون والمناذرة فقتل الحارث ، واختصم أولاده الأربعة بعده على الجاه والأموال واقتتلوا ، فقتل اثنان ، وبقي اثنان : هما حجر والد امرئ القيس ومعد يكرب أمير قيس وانتهز بنوأسد السانحة فثاروا على حجر وقتلوه ، وكان امرؤ القيس حين بلغه نبأ مقتل أبيه في ناد للهو ... فنسب إليه قوله : « اليوم خمر وغداً أمرّ » .

وحين أراد امرؤ القيس استنصار القبائل العربية على قتلة أبيه ومساعدته في عودة ملك كندة تخلت عنه العرب ، وتذكرت عبثه ومجونه واستهتاره بنسائهم ، وكيف ضاق به أبوه ، وطلب إلى الجلاد أن يذبحه على قنة الجبل ، ويجلب له عينيه على طبق . وقد تجول في اليمن ونجد والحجاز متنكراً يبحث عن النصير ، فأخفق وتعرّض للقتل وخشي على حياته وعائلته وأمواله .. فلجأ إلى السموءل بن عاديا صاحب حصن الأبلق فأحسن السموءل استقباله وأجاره .. ثم ترك أمواله وعائلته وديعة عند السموءل وغادر هو وصديقه الشاعر عمرو بن قميئة إلى الروم لطلب النجدة من قيصرها وقد

توسط بين القيصر وامرئ القيس الحارث بن شمر الغساني صديق الاثنين .. وقد رحب القيصر بالشاعر الكندي ووعده بجيش جرار وأموال حتى يعيد الملك لكندة ويعاقب بني أسد قتلة أبيه .. إلا أن القيصر كان متقلباً ، ويعتمد على جيش من الجواسيس ونقلة الأخبار .. فأنهي إليه أن امرأ القيس شتم القيصر وأباه وأنه أقام علاقة غير شرعية بابنته .. وهكذا أعلن القيصر أمراً وأبطن آخر ، فطلب إلى امرئ القيس أن يعود إلى بلاده وأن يقيم في أنقرة بعض الوقت حتى يلتحق به الجيش الرومي ! ثم أهدى له حلة مسمومة ، وحين أقام في أنقرة جنب جبل عسيب .. اغتسل وارتدى الحلة ، فتناثر لحمه وتقرّح فسمّي ذا القروح ، وذكر لويس شيخو نقلاً عن كتاب قديم مخطوط .. أن القيصر ندم على غدره بمن استجار به وحزن (يوستانيوس) وهذا اسم القيصر حزناً عظيماً وقتل الوشاة ، وأقام له تمثالاً على قنة جبل عسيب شاهده المأمون عندما غزا تلك الديار .

أما المعلقة فهي مجموعة صور تنقل لنا لقاءه مع حبيبته وابنة عمه عنيزة بنت شرحبيل ، وكان أمر حبهما قد افتضح فتعذّر اللقاء وكان من عادة الظاعنين أن تسبق جمال الرجال هوادج النساء فتخلف الشاعر وانتظر حتى نزلت النساء عند غدير تحيطه دائرة من الرمال المرتفعة يسمى دارة جلجل ، وهو قريب من منازل كندة فالتقى عنيزة وصويحباتها ونحر لهن ناقة وسوى خدمه اللحم لهن .

☆ معلقة (قفا نبك) . عدد أبياتها (77) بيتاً . البحر : طويل . القافية : ل

1- قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل
2- فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها لما نسجتها من جنوب وشمأل
3- ترى بعر الآرام في عرصاتها وقيعانها كأنه حب فلفل
4- كأني غداة البين يوم تحملوا لدى سمرات الحي ناقف حنظل
5- وقوفاً بها صحبي عليّ مطيهم يقولون لا تهلك أسى وتجمل
6- وإن شفائي عبرة إن سفحتها وهل عند رسم دار من معوّل
7- كدأبك من أم الحويرث قبلها وجارتها أم الرباب بمأسل
8- ففاضت دموع العين مني صبابة على النحر حتى بلّ دمعي محملي
9- ألا ربّ يومٍ لك منهن صالح ولا سيما يومٌ بدارة جلجل
10- ويوم عقرت للعذارى مطيتي فيا عجباً من رحلها المتحمّل
11- فظل العذارى يرتمين بلحمها وشحم كهداب الدمقس المفتل
12- ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة فقالت لك الويلات إنك مرجلي
13- تقول وقد مال الغبيط بنا معاً عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل
14- فقلت لها سيري وارخي زمامه ولا تبعديني من جناك المعلل
15- ويوماً على ظهر الكثيب تعذرت عليّ وآلت حلقةً لم تحلل
16- أفاطمَ مهلاً بعضَ هذا التدلل وإن كنتِ قد أزمعت قتلي فأجملي
17- وإن كنتِ قد ساءتك مني خليقة فسلّي ثيابي من ثيابك تنسل
18- أغرّك مني أن حبك قاتلي وأنك مهما تأمري القلب يفعل
19- وما ذرفت عيناك إلا لتقدحي بسهميك في أعشار قلب مقتل
20- وبيضة خدر لا يرام خباؤها تمتعت من لهو بها غير معجل
21- تجاوزت حرّاساً وأهوال معشر عليّ حراصٍ لو يُسرّون مقتلي
22- إذا ما الثريا في السماء تعرّضت تعرّض أثناء الوشاح المفصل

23- فجئت وقد نضّت لنوم ثيابها لدى الستر إلا لبسة المتفضل
24- إذا التفتت نحوي تضوّع ريحها نسيمَ الصبا جاءت بريا القرنفل
25- مهفهفة بيضاء غير مفاضة ترائبها مصقولة كالسجنجل
26- تصد وتبدي عن أسيل وتتقي بناظرة من وحش وجرة مطفل
27- وجيد كجيد الرئم ليس بفاحش إذ هي نصته ولا بمعطل
28- وفرعٍ يزين المتن أسودَ فاحم أثيث كقنو النخلة المتعثكل
29- غدائره مستشزرات إلى العلا تضل المداري في مثنى ومرسل
30- وكشح لطيف كالجديل مُخصّر وساق كأنبوب السقي المذلل
31- تضيء الظلام بالعشيّ كأنها منارة حُمْس راهب متبتل
32- وتضحي فتيت المسك فوق فراشها نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل
33- إلى مثلها يرنو الحليم صبابة إذا ما اسبكرت بين درع ومجول
34- وليل كموج البحر أرخى سدوله عليّ بأنواع الهموم ليبتلي
35- فقلت له لما تمطى بجوزه وأردف أعجازاً ونآء بكلكل
36- ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي بصبح وما الإصباح فيك بأمثل
37- فيالك من ليل كأن نجومه بكل مغار الفتل شدّت بيذبل
38- كأن الثريا علقت في مصامها بأمراس كتان إلى صم جندل
39- وقد أغتدي والطير في وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل
40- مكر مفر مقبل مدبر معاً كجلمود صخر حطه السيل من عل

☆ معاني الكلمات :

1 ـ سقط اللوى : الرمل الرقيق الذي يتساقط ويتلوّى . الدخول وحومل وتوضح والمقراة مواضع .

2 ـ يعف ، ينطمس ويختفي . الرسم : الأثر . نسجتها : تعاقبت عليها فجعلتها مثل النسيج ، جنوب وشمأل : رياح تهب من الجنوب وأخرى من الشمال .

3 ـ الآرام : الظباء البيض .

4 ـ البين : الفراق والمصيبة . السمرات : شجيرات يستخرج منها الصمغ . الناقف : المستخرج حبّ الحنظل .

5 ـ المطي : الإبل .

6 ـ رسم دار : آثار مطموسة .

7 ـ المعوّل : الأمل والرجاء .

8 ـ الصبابة : برقة الشوق . المحمل : حزام يحمل به السيف .

9 ـ الدارة : الأرض المحاطة بكثبان الرمل وهي أخفى للخائف أو الكامن .

10 ـ عقرت : نحرت .

11 ـ يرتمين بلحمها : يتهادين اللحم بينهن على سبيل المزاح الواحدة ترمي الأخرى باللحمة .. الهداب : غزل الإبريسم المفتول . ظل : بقين النهار كله . الدمقس : الحرير الأبيض المصنوع بدمشق .

12 ـ الخدر : الهودج . مُرجلي : إنك ستضطرني للمشي على رجليّ .

13 ـ الغبيط : خشب الهودج .

14 ـ الزمام : حبل يقاد به البصير . الجنى : العسل . المعلل : المأمول والعلل الشرب المتكرر .

15 ـ الكثيب رمل مرتفع . تعذّرت : امتنعت . آلت حلفة : أقسمت يميناً ..

16 ـ أزمعت : قررت . صرمي : مقاطعتي . اجملي : اقصري أو أحسني .

17 ـ الخليقة : الخلق ساءتك : آذتك . سلّي : اسقطي من سلّ ريش الطائر سقط .

19 ـ ذرفت : دمعت أو سال دمعها . تقدحي : تقامري . وكان الجاهليون يضعون في الكيس سبعة أسهم مكتوب على الأول (الفذ) له نصيب واحد والتوأم (نصيبان) والرقيب (ثلاثة) والحلس (أربعة) والنافس (خمسة) والمسبل (ستة) والمعلى (سبعة) ويقسمون الشيء المراهن عليه عشرة أقسام !! كأن الشاعر يخاطب فتاته قائلاً : أنت لم تبكين حزناً علي وإنما بكيت فرحة لأنك كسبت الرهان على قلبي . والسهمان كناية عن العينين .

20 ـ الفتاة تشبه البيضة بياضاً ونعومة ونفعاً . الخدر : الخدرع : مخدع المرأة . الخباء ما كان

على عمودين أو ثلاثة ، والبيت ما كان على ستة أعمدة إلى التسعة ، والخيمة ما كانت على جذع شجرة . تمتعت : انتفعت .

21 ـ يسرّون مقتلي : يكتمون قتلي ليضيع دمي .

22 ـ تعرّضت الثريا أي أرتك عرضها وهي دلالة المغيب والظلام الدامس وشبه اجتماع نجوم الثريا بالثوب أو قطعة قماش مخرّزة متعددة الألوان والمفصل بالزبرجد ، وأثناء الوشاح نواحيه .

23 ـ نضت : ألقت أو نزعت . المتفضل : المكتفي بثوب واحد للنوم .

24 ـ تضوّع : عبق شذاه . الريا : العطر .

25 ـ المهفهفة : الرشيقة . المفاضة : المسترخية البطن . التريبة : موضع القلادة من الصدر السجنجل : صحيفة فضة تستعمل مرآة .

26 ـ الأسيل : خد أملس مستو . الناظرة : العين . وحش وجرة : ظبية نادرة يصعب صدها . مطفل : أم طفل .

27 ـ الجيد : العنق . الرئم : الظبي الأبيض . نصته : رفعته : المعطّل . الذي لا حلي عليه . الفاحش : الكريه المنظر .

28 ـ الفرع : الشعر الطويل الكثيف . الفاحم : الشديد السواد . أثيث : ذو خصل كثيرة . القنو : العذق . المتعثكل : الكثير المتداخل .

29 ـ الغدائر : الخصل. مستشزرات : مفتولة . المداري (أو العقاص على رواية) المشطة مفردتها مدراة .

30 ـ الكشح : الخصر . اللطيف : الصغير الضامر الحسن . الجديل زمام من سيور مضفورة . مخصر : واضح النحافة . والخصر مكان يشدّ عليه الحزام . أنبوب السقي : قناة من القصب أو النخل .. المذلل : الذي أزيلت عنه النتوءات والعقد فهو قريب الدلالة من المثقف .. والكناية عن الامتلاء والنعومة والارتواء ..

31 ـ المنارة : المصباح . ممسى راهب : وقت إمساء الراهب . المتبتل : المنقطع عن الناس المتصل بالله بالعبادة والتقوى .

32 ـ نؤوم الضحى : تنام الضحى لأنها منعمة وثقة من يقوم على خدمتها . تنتطق : تلبس النطاق (الحزام) . عن تفضل : فيها معنيان الأول أنها لا تشد الحزام على ثوب واحد للقيام بأعباء

البيت والآخر .. أنها تشد الحزام على بطنها لكي تزدان وليس شد الحزام لإمساك البطن المترهل .. فهي ذات خصر نحيل ليس في بطنها فضلة أو زيادة أو ترهّل .

33 ـ يرنو : يديم النظر . الصبابة : رقة الشوق وشدته ، اسبكرّت اعتدلت وبان قوامها الطويل . الدرع ثوب الفتاة الناضجة . والمجول ثوب خفيف تلبسه الصبية .

34 ـ السدول : التسور . يبتلي : يمتحن ويجرّب .

35 ـ الجوز : الوسط . ناء بكلكل : نهض بصدره . أردف أعجازاً : رجع .

36 ـ انجلي : انكشف . أمثل : أحسن .

37 ـ مغار الفتل : المحكم الفتل من الحبال . يذبل : اسم جبل .

38 ـ المصام : المكان مثل خيول لم تبرح مصامها . المرسل : الحبل . الجندل : الحجارة .

39 ـ الوكنات : الأعشاش . المنجرد : الفرس ذو الشعر القصير ، الأوابد : الوحش قيد الأوابد : كأنها في الطراد يقيدّها عن اللحاق به . هيكل : فرس ضخم مثل هيكل النصارى .

40 ـ مكر مفر : صفة الفرس المدرّب على الإقدام والإحجام (المناورة) . جلمود صخر : صخرة قوية . حطه : ألقاه إلى أسفل . السيل : الماء الدافق وإذا انحطّ من الأعلى فهو الشلال .. فقد شبه الشاعر فرسه بصخرة ألقى بها الشلال من الأعلى .

٢ ـ طرفة بن العبد

وهو شاب قال الشعر في صباه ، فاعتزت به قبيلته بكر بن وائل (من ربيعة) ، وخاله المتلمس (جرير بن عبد المسيح) الشاعر المعروف ، وكان منذ حداثة سنه مهموماً ، فقد ذاق اليتم صغيراً وسرق أعمامه أموال أبيه طمعاً وجشعاً ونكاية بأمّه (وردة) ، أما سبب كتابته المعلقة فهو التنفيس عن همومه الشخصية والوجودية ، وسخطه على ابن عمه مالك الذي رضع كراهية طرفة وأخيه معبد وأمه وردة ! وكأن القدر كان لطرفة بالمرصاد فحينما دعا عمرو بن هند ملك الحيرة طرفة وخاله إلى مأدبته الخاصة . لاحظ اعتداد طرفة بنفسه حين يتحدّث ناسياً أنه يتحدّث مع ملك ، ولاحظ أيضاً أنه طرفة يمشي أمامه مشية الخيلاء فنظر إليه الملك نظرة (كادت أن تبتلعه من مجلسه) ، ولاحظ المتلمس تلك النظرة فتطيّر منها .. ثم إن الملك حفظها في نفسه ، وكتب إليهما كتابين وطلب إليهما إيصال الكتابين إلى المكعبر عامله على البحرين وعمان .. وزعم لهما أنه طلب من عامله تقديم الهدايا لهما ... فتوجّس المتلمس خيفة .. وقد لاحظ بعض العيون تراقبهما من بعيد ؛ فوصلا النجف وجلسا .. فإذا بغلام عبادي يسقي غنماً له من نهر الحيرة .. فسأله المتلمس (أتعرف القراءة) فأجاب الغلام : نعم فطلب إليه قراءة صحيفته فقرأ (باسمك اللهم من عمرو بن هند إلى المكعبر عاملنا على البحرين وعمان .. إذا أتاك كتابي هذا مع المتلمس فاقطع يديه ورجليه وادفنه حياً) ففزع المتلمس وألقى الصحيفة في نهر الحيرة ، وطلب إلى ابن أخته طرفة أن يصنع مثله فأبى ، لقلة خبرته فافترقا .. ووصل طرفة إلى المكعبر ، وما كان يظن الغدر بعمرو بن هند وسلم الصحيفة إلى العامل فقرأها وأعلمه بمضمونها واعتذر المكعبر لطرفة قائلاً : لا أستطيع سوى تنفيذ أوامر الملك فقطع يديه ورجليه ودفنه وهو حي .. وأصبحت صحيفة المتلمس مضرب المثل .

☆ معلقة : (لخولة أطلال) عدد الأبيات ١٠٦ . البحر : الطويل . القافية : د

1- لخـولـة أطـلال ببرقـة ثهمـد ... تلـوح كبـاقي الـوشم في ظـاهر اليـد
2- وقـوفـاً بهـا صحبي عليّ مطيّهم ... يقـولـون لا تهلـك أسى وتجلّـد
3- كأن حـدوج المـالكيـة غـدوة ... خـلايـا سفين بـالنـواصف من دد
4- عـدوليـة أو من سفين ابن يـامن ... يجـور بهـا المـلاح طـوراً ويهتـدي
5- يشـق حبـاب المـاء حيزومهـا بهـا ... كما قسّم الترب المغـايـل بـاليـد
6- وفي الحي أحـوى ينفض المرد شادن ... مظـاهر سمطي لـؤلـؤ وزبرجـد
7- خـذول تراعي ربربـاً بخميلـة ... تنـاول أطراف البرير وترتـدي
8- وتبسم عن ألمى كأن منـوراً ... تخلـل حرّ الرمـل دعص لـه نـدي
9- سقتـه إيـاة الشمس إلا لثـاتـه ... أسفّ ولم تكـدم عليـه بـأثمـد
10- ووجـه كأن الشمس ألقت رداءهـا ... عليـه نقي اللـون لم يتخـدد
11- وإني لأمضي الهمّ عنـد احتضـاره ... بعـوجـاء مرقـال تروح وتغتـدي
12- أمـون كألـواح الإران نسـأتهـا ... على لاحب كأنـه ظهر برجـد
13- على مثلها أمضي إذا قـال صـاحبي ... ألا ليتني أفـديـك منهـا وأفتـدي
14- إذا القـوم قـالـوا من فتى خلت أنني ... عنيت فلم أكسـل ولم أتبلّـد
15- ولست بحـلال التـلاع مخـافـة ... ولكن متى يسترفـد القـوم أرفـد
16- فـإن تبغني في حلقـة القـوم تلقني ... وإن تقتنصني في الحـوانيت تصطـد
17- متى تـأتني أصبحـك كأسـاً رويـة ... وإن كنت عنها ذا غنى فـاغن وازدد
18- وإن يلتقي الحي الجميـع تـلاقني ... إلى ذروة البيت الرفيـع المصمّـد
19- نـدامـاي بيض كالنجـوم وقينـة ... تروح علينـا بين برد ومجسـد
20- إذا نحن قلنـا أسمعينـا انبرت لنـا ... على رسلهـا مطروفـة لم تشـدد
21- إذا رجّعت في صـوتهـا خلتَ صوتها ... تجـاوب أظـآر على رُبـع دد
22- ومـا زال تشرابي الخمـورَ ولـذتي ... وبيعي وإنفـاقي طريفي ومتلـدي

23- إلى أن تحـــامتني العشيرةُ كلهـــا ... وأفردت إفراد البعير المعبـــــد

24- ألا أيهـــذا الـلائمي أحضر الـوغى ... وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي

25- فـإن كنتَ لا تستطيع دفـع منيتي ... فـدعني أبادرها بمـا ملكت يـدي

26- ولـولا ثـلاث هن من عيشـة الفتى ... وجـدك لم أحفِل متى قـام عـوّدي

27- فمنهن سبقي العـاذلات بشربـة ... كميت مـا تعـل بـالمـاء تـزبـد

28- وكرّي إذا نـادى المضـاف مجنبـاً ... كسيـد الغضـا نبهتـه المتـورّد

29- وتقصير يوم الدجن والدجن معجب ... ببهكنـــة تحت الطراف المعمّـــد

30- كريم يروي نفسـه في حيـاتـه ... ستعلم إن متنا غـداً أينـا الصـدي

31- أرى قبر نحـام بخيـل بمـالـه ... كقبر غـوي في البطـالـة مفسـد

32- ترى جثـــوتين من تراب عليهما ... صفـائـح صم من صفيـح منضـد

33- أرى الموت يعتـام الكرام ويصطفي ... عقيلـة مـال الفـاحش المتشـدد

34- أرى العيشَ كنزاً نـاقصـاً كلّ ليلـة ... ومـا تُنقص الأيـامُ والـدهرُ ينفـد

35- لعمرك إن المـوت مـا أخطـأ الفتى ... لكالطـوّل المرخى وثنيـاه بـاليـد

36- متى مـا يشـا يومـاً يقـده لحتفـه ... ومن يـك في حبـل المنيـة ينقـد

37- فـــالي أراني وابن عمي مـــالكاً ... متى ادنُ منـه ينـأ عني ويبعـد

38- يلـوم ومـــا أدري عـلام يلـومني ... كما لامني في الحي قرطُ بن أعبـــد

39- وأيـــأسني من كل خير طلبتـــه ... كأنـا وضعنـاه إلى رمس ملحـد

40- على غير ذنب قلتـــــه غير أنني ... نشـدت فلم أغفـل حمـولـة معبـد

41- وإن أدعَ للجلى أكن من حمـاتهـا ... وإن يأتـك الأعداءُ بـالجهد أجهد

42- وإن يقذفوا بـالقَـذع عرضكَ أسقهم ... بكأس حياض الموت قبـل التهـدّد

43- فلـو كان مـولاي امرأ هـو غيره ... لفرّج كربي أو لأنظرني غـــدي

44- ولكنّ مـولاي امرؤ هـو خـانقي ... على الشكر والتسآل أو أنـا مفتـدي

45- وظلم ذوي القربى أشـدّ مضـاضـة ... على المرء من وقـع الحسـام المهنـد

46- أنا الرجل الضرب الذي تعرفونه خشاش كرأس الحية المتوقد
47- إذا ابتدر القوم السلاح وجدتني منيعاً إذا بلّت بقائمه يدي
48- فإن متّ فانعيني بما أنا أهله وشقي عليّ الجيب يا ابنة معبد
49- ولا تجعليني كامرئ ليس همه كهمي ولا يغني غنائي ومشهدي
50- بطيءٍ عن الجُلّى سريع إلى الخنا ذلول بأجماع الرجال ملهَّد
51- لعمرك ما أمري عليّ بغُمة نهاري ولا ليلي عليّ بسرمد
52- أرى الموت أعداد النفوس ولا أرى بعيداً غداً ما أقرب اليوم من غد
53- على موطن يخشى الفتى عنده الردى متى تعترك منه الفرائص ترعد
54- ستبدي لك الأيام ما كنتَ جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزوّد
55- ويأتيك بالأخبار من لم تبع له بتاتاً ولم تضرب له وقت موعد
56- لعمرك ما الأيام إلا معارة فما اسطعت من معروفها فتزوّد
57- عن المرء لا تسأل وأبصر قرينه فإن القرين بالمقارن مقتدي

☆ معاني الكلمات :

1 ـ الطلل : ما بقي من آثار الدار . البرقة : ربوة مختلطة الطين والرمل والحجارة . ثهمد : اسم موضع . الوشم : نقوش في جلد الإنسان تنقش بغرز الإبر في الجلد ، ثم يذر عليه الكحل أو دخان الشحم .

3 ـ الحدج مركب خاص بالنساء . الخلية : الجزء وقيل السفينة العظيمة !!. الناصفة : رحبة واسعة وسط الوادي . دد : اسم موضع . المالكية : منسوبة إلى مالك بن سعد بن ضبيعة !

4 ـ عدولية : منسوبة إلى جزيرة عدول ، وقيل : منسوبة إلى قوم نزلوا بهجر !. ابن يامن أو بنيامن : تاجر سفن من أهل هجر ، وقيل : إن اسمه ابن نتيل أو بننتيل . يجور : يعدل بها ويميل . يهتدي : يصل إلى قصده . الطور : الوقت .

5 ـ حباب الماء : أمواجه . الحيزوم : مقدم السفينة . المغايل : الصبي الذي يلعب مع أصحابه لعبة الغيال والمغايلة وهي تراب يكومونه ثم يخبئون فيه خاتماً أو قطعة نقدية أو حصاة

معلّمة ! ثم يشق المغايل تلك الكومة بيده فيقسمها قسمين ثم يقول : في أي الكومات خبأت المخبأ فإن عرف صاحبه ظفر !! وإن أخطأ خسر .

6 ـ أحوى : ظبي له خطتان من سواد ! أي شبه المرأة بالظبي الأحوى على سبيل الاستعارة التصريحية (أظهر المشبه به وأخفى المشبه) . المرد : مفردها مردة وهي ثمرة الأراك . ينفض : يخضّ ليتساقط عليه الثمر والأوراق . الشادن : الظبية التي قويت فاستغنت عن أمها . السمط : النظم من اللؤلؤ (مظاهر سمطي) لبست واحداً فوق الآخر . الزبرجد : حجر كريم .

7 ـ خذول : خذلت صواحبها وانصرفت لولدها . تراعي : ترعى . ربرب : قطيع الظباء أو البقر . والخذول الفزعة الخائفة على خشفها (صغيرها) فهي تشرئب وتمد عنقها وترتاع لأنها وحيدة منفردة . الخميلة : الأرض السهلة اللينة ذات الشجر . البرير : ثمر الأراك .

8 ـ ألمى : ثغر أسمر اللثة . المتوّر : الأقحوان المتفتح . تخلل : تداخل فيه أو دخل فيه . حر الرمل : خالصه . الدعص : كيثب الرمل .

9 ـ إياة الشمس : ضوؤها وشعاعها . سقته : جعلته أبيض حسناً . وكان الجاهليون إذا سقطت سن أحدهم يرميها تجاه عين الشمس ويقول : خذي سن الحمار وأعطيني سن الغزال . لأن أسنان الغزال لا تتساقط كما يزعم ، أو يقول : يا شمس أو يا آلهة الشمس أبدليني سناً من ذهب أو فضة ! قال طرفة في موضع آخر :

أبدلته الشمس من منيتها ... برداً أبيض مصقول الأشر

أسفّ : ذرّ عليه بأثمد (كحل) . الكدم . العض . أي إن الظبية لم تعضض عظماً فيؤثر في ثغرها .. وصورة اللثة السمراء التي تحاكي تلك التي رشّ عليها الكحل ، فهم يمتدحون سُمرة الشفة فمن خلالها يبين بياض الأسنان .

10 ـ التخدد ؛ التجعّد والاضطراب .

11 ـ أمضي الهم : أطرده . احتضاره : شعوري به . العوجاء : الناقة الضامرة . المرقال : السريعة وصيغة مفعال للتكثير والمبالغة . والإرقال : ضرب من السير السريع : والمعنى الكلي أن أكافح الهم والكآبة بالسفر على ظهر ناقة معتادة على السفر .

12 ـ أمون : أمنية الآران : تابوت فخم خاص بالأثرياء والسادة . نسأتها : ضربتها بالمنسأة . اللاحب : الطريق المهيأ الواضح . وقيل قد يكون الطريق لاحباً لأنه يلحب أخاف الإبل فتتآكل .. البرجد : ثوب مخطط .

13 ـ على مثلها : على مثل هذه الناقة .

14 ـ يعد هذا البيت مثلاً كبيراً في الفتوة والثقة بالنفس .

15 ـ التلاع : مجاري الماء من رؤوس الجبال إلى الأودية (الشلالات) يسترفد القوم : يطلبون مني المعونة .

16 ـ هناك كلام مسكوت عنه مثلاً حلقة القوم أي القوم السادة والأشراف ! والحوانيت هي حوانيت الخمرة واللهو .

17 ـ قال الفراء الكأس الإناء الذي فيه لبن أو ماء أو خمر وإن كان فارغاً لا يقال له كأس . غانيا : مستغنياً . اغن وازدد : اغن بما عندك وزد .

18 ـ المصمّد والصمد الذي يصمد إليه في الحوائج .

19 ـ النديم الصاحب الذي لا يندم صاحبه إذ أسرّه أو شرب معه . وقيل : الندامى هم الذين يجتمعون على ما يندم عليه من إتلاف المال والوقت . القينة الخادمة والمغنية ، وقيل لها قينة لأنها تعمل بيديها مع غنائها . وكل مشتغل بيديه قين . المجسد الثوب المصبوغ بالزعفران ويلامس الجسد . والبرد : الثوب الذي يكون تحته المجسد .. وقيل : إن المعنى كامن في أن المغنية تستبدل ملابسها في كل وصلة غنائية فتبدو بالبرد مرة والمجسد أخرى ..

20 ـ أسمعينا : غنينا . رسلها : هيئتها . مطروفة : فاترة الطرف .

21 ـ رجّعت : كررت النغمة فجاوبها الصدى . خلت : حسبت . الأظآر : الصغار المتقاربين بالعمر . الرُّبَع : ضم الراء المشددة وفتح الباء : الفصيل ينتج في الربيع وهو أول النتاج . ددِ : عابث لاهٍ .

22 ــ الطريف : الجديد . المتلد : القديم .

23 ـ تحامتني : تركتني : أفردت : تركتُ وحيداً : البعير . المعبد : الأجرب .

24 ـ الوغى : الحرب والخطر .

26 ـ وجدك : وحقّك . أحفل : أبالي . العوّد مفردها عائد : الذي يزور المريض في بيته للاستفسار عنه ، أو الميت للترحّم عليه .

27 ـ العاذلات مفردها عاذلة وهي التي تمنع الشاعر عن شرب الخمر . الكميت لون أصفر فيه سواد .

28 ـ كري : عطفي وقتالي للنجدة . المضاف : الذي زارته الهموم . الجنب : فرس بعيد ما بين الرجلين . السيد : الذئب . الغضا : ضرب من الشجر وذئابه أخبث الذئاب . نبهته : هيجته . المتورّد : العطشان .

29 ـ الدجن : المطر وغياب الشمس في الظهيرة . البهكنة التامة الخلق . الطراف المصمد . خباء من قماش في وسطه عمود .

30 ـ الصدي : العطشان ويزعم الجاهليون أن الرجل إذا قتل ولم يدرك بثأره خرج من رأسه طائر يشبه البوم فيصيح اسقوني اسقوني فإذا أخذ بثأره سكن وقد يكون الصدى بمعنى الصديء أي الرجل ذو المعدن الصديء . يروّي نفسه : أي يرتوي من الخمر وحذف الخمر لعلم المخاطب .

31 ـ النحام : الرجل إذا طلبت منه حاجة كثر نحامه (سعاله) لبخله . الغوي : المحب للهو .

32 ـ الجثوة : التراب المجموع .. كناية عن القبر .

33 ـ يعتام : يختار . العقيلة : جوهر الشيء وأنفس ما فيه . الفاحش : القبيح الخلق . المتشدد : البخيل .

34 ـ ينفد : ينتهي .

35 ـ الطول : الحبل .

36 ـ يشا : يشاء .

38 ـ قرط بن أعبد : كان صاحب طرفة ونفر عنه لأن يحسده فيلومه على ما فعل وعلى ما لم يفعل .

39 ـ الرمس : القبر . الملحد : اللحد .

40 ـ معبد : أخو طرفة .. أضاع حمولته أي إبله فشمت به وبطرفة ابن عمه مالك .

41 ـ الجلى : الأمر العظيم .

42 ـ القذع : الشتم والبذاءة .

43 ـ الكرب : الكآبة والضيق .

45 ـ مضاضة : حرقة .

46 ـ الضرب : الخفيف . خشاش : سريع النفاذ في الأشياء لذكائه . (رأس الحية) يقال لكل رجل نشط دؤوب . المتوقد : الذكي .

47 ـ ابتدر : أسرع . والبدري المبكّر . المنيع : المحصّن الذي لا يصل إليه أحد . قائمه : قائم السيف مقبضه .

48 ـ ابنة معبد : ابنة أخيه .

50 ـ الخنا : فساد المنطق . الذليل : المقهور . أجماع : أكف . ملهد : المضروب .

51 ـ الغمة : التباس الأمور . السرمد : الطويل بلا انتهاء .

53 ـ الردى : الهلاك . الفرائص : مفردها فريصة وهي الموضع تحت الثدي مما يلي الجنب عند مرجع الكتف ، وهي أول ما يرتعش في الإنسان عند الفزع !

55 ـ البتات : الزاد .

57 ـ القرين : الصديق .

٣ ـ زهير بن أبي سلمى

وهو من مزينة ، وهي بطن من مضر ، وكان يقيم مع أبيه بالحاجز من نجد ، وكان أبو سلمى أول من استوطن نجداً حين تزوج من بني فهر بن مرة بن ذبيان بن غطفان فولدت له زهيراً ، وتزوج زهير امرأة من بني سحيم بن مرة ، وذكر صاحب الأغاني 140/9 : « أن رسول الله ﷺ نظر إلى زهير وله مئة سنة ، فقال : « اللهم أعذني من شيطانه » فما لاك بيتاً حتى مات » .

وكان زهير قد رأى حلماً في شيخوخته أن شبحاً أتاه فحمله إلى السماء ثم تركه فهوى إلى الأرض ، فلما احتضر قص رؤياه على ولده كعب !

ونحن نشك برواية الأغاني فزهير لم يدرك الإسلام من جهة ، وإن أخلاق نبينا العظيمة تمنعه من مواجهة شاعر دعا لله والسلام على هذا النحو !! وزهير أحد الشعراء الثلاثة المقدمين على كل شعراء الجاهلية وهم امرؤ القيس وزهير والنابغة وكان زهير متألهاً أي إنه كان في شعره داعية للتأمل بخلق الله فهو القائل :

ألا ليت شعري هل يرى الناس ما أرى من الأمر أو يبدو لهم ما بدا ليا

وقد أعجب الخليفة عمر رضي الله عنه بشعره فاعتدّه أشعر العرب ، لأنه لا يعاظل في الكلام ، ولا يتبع حوشيه ، ولا يمدح الرجل إلا بما فيه .

وقال ابن سلام الجمحي طبقات الشعراء ص62 « وقال أهل النظر زهير أحكمهم شعراً ، وأبعدهم من سخف ، وأجمعهم لكثير من المعنى في قليل من المنطق ، وأشدهم مبالغة في المدح » .

وهو عريق في الشعر ، فأبوه شاعر وخاله بشامة ابن الغدير شاعر ، وزوج أمه أوس بن حجر شاعر ، وأختاه شاعرتان وابناه شاعران ، وقد أثر شعره في الحياة الاجتماعية

فقربه أمراء القبائل ، ومنهم أمراء ذبيان وبخاصة هرم بن سنان والحارث بن عوف ، ومعلقته (أمن أم أوفى) نظمها تحية لموقفهما من الحرب الغبية المدمرة بين عبس وذبيان :

سعى ساعيا غيظ بن مرة بعدما ... تبزّل ما بين العشيرة بالدم
فأقسمت بالبيت الذي طاف حوله ... رجال بنوه من قريش وجرهم
يمينا لنعم السيدان وجدتما ... على كل حال من سحيل ومبرم

ويقول جرجي زيدان (تاريخ آداب اللغة العربية 98/1) : « وكان لزهير أخلاق عالية ونفس كبيرة مع سعة صدر وحلم ، فرفع القوم منزلته وجعلوه سيداً ، وكثر ماله واتسعت ثروته » . ومع كل ذلك فقد كان زهير بذيء اللسان حين يُستفز ، وربما فحش في شعره بطريقة لا يدانية فيها سواه .. فقد هجا الحارث بن ورقاء الصيداوي حين أسر غلامه (يسار) ديوانه ق 25 ب 1 وبعدها ص 220 :

تعلّم أن شرّ الناس حي ... ينادي في شعارهم يسار
ولولا عسبه لرددتموه ... وشرّ منيحة ... مُعار
إذا جمحت نساؤكم إليه ... أشظّ كأنه مَسَدّ مغار

وقد امتدح هرماً بقصائد جميلة ، فأقسم هرم ألا يمدحه زهير إلا أعطاه ولا يسأله إلا أعطاه ، ولا سلّم عليه إلا أعطاه ذهباً أو خادماً أو وليدة أو فرساً أو إبلاً .. فخجل زهير من قسمه ، فكان إذا رأى هرماً بين الناس يقول : « عمو صباحاً غير هرم .. وخيركم استثنيت » . وحين اختصمت ابنتا زهير وهرم .. فقالت ابنة هرم كان أبي يعطيكم المال ، وقالت ابنة زهير : كان أبي يقول فيكم الشعر ، فسمع عمر واستقدمهما وقال لابنة هرم : « قد ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم » ، وعرف عن زهير عنايته بالقصيدة فقد ينفق في كتابتها حولاً كاملاً .. ونسب إليه أنه قال : خير الشعر الحولي المحكك .. وقد أطلق على اتجاهه الشعري الشعر المصنوع ، وعدّ زهيراً وابنه والحطيئة (عبيد الشعر) .

☆ معلقة (أمن أم أوفى) . عدد الأبيات : 63 . البحر : الطويل . القافية : (م)

1- أمن أمّ أوفى دِمنـــــــــة لم تكلّم ... بحومـــانـةِ الـــدراج فـــالمتثلّم
2- ديـــارٌ لهـــا بـــالرقمتين كأنهـــا ... مراجيـــع وشم في نـــواشر معصم
3- بهـــا العين والأرام يمشين خلفـــة ... وأطـلاؤهـــا ينهضن من كل مجثم
4- وقفت بها من بعـد عشرين حجـة ... فـلأيـاً عرفت الـدار بعـد تـوهّم
5- أثـــافيَّ سفعـــاً في معرّس مِرجـل ... ونـؤيـاً كجـذم الحـوضِ لم يتثلّم
6- فلمـــا عرفت الـــدار قلت لربعهـــا ... ألا انعم صباحـاً أيهـا الربع واسلم
7- تبصّر خليلي هـل ترى من ظعـائن ... تحملن بـــالعليـــاء من فـوق جرثم
8- جعلن القنـــان عن يمين وحـزنـه ... وكم بـــالقنـــان من محـل ومحرم
9- علـون بـأنطـاكيـة فـوق عقمـة ... وراد حـواشيهـا مشـاكهـة الـدم
10- بكرن بكـــــوراً واستحرن بسحرة ... فهنّ ووادي الرّس كاليـــــد للفم
11- فلمـا وردن المـاء زرقـاً جمـامُـه ... وضعن عصيّ الحـــــاضر المتخيّم
12- وفيهن ملهى للطيف ومنظر ... أنيـق لعين النـــاظر المتـوسّم
13- كأن فتـــــات العهن في كل منزل ... نـزلن بـــه حبّ الفنـــا لم يحطم
14- سعى ساعيا غيظ بن مرة بعدمـا ... تبزّل مـــا بين العشيرة بـــالـــدم
15- فأقسمت بالبيت الـذي طـاف حولـه ... رجـــال بنـــوه من قريش وجرهم
16- يمينـــاً لنعم السيـــدان وجـــدتمـــا ... على كل حـــال من سحيـل ومبرم
17- تـداركتما عبساً وذبيـان بعـدمـا ... تفـــانـوا ودقّـوا بينهم عطر منشم
18- وقـد قلتمـا إن نـدرك السلم واسعـاً ... بمـــال ومعروف من القـــول نسلم
19- فـأصبحتمـا منهـا على خير مـوطن ... بعيـدين فيهـا من عقـوق ومـأثم
20- عظيمين في عليـا معـــد هُـــديتما ... ومن يستبـح كنزاً من المجـد يعظم
21- وأصبـح يحـــدى فيهم من تـلادكم ... مغـــانم شتى من إفـــال مـــزنّم
22- تعفى الكلـوم بـــالمئين فـــأصبحت ... ينجّمهـــا من ليس فيهـــا بمجرم

23- ينجمهـــا قـوم لقـوم غرامـــة ... ولم يهريقـــوا بينهم مـــلء محجم
24- ألا أبلـغ الأحـلاف عني رسـالـة ... وذبيـــان هـــل أقسمتم كلّ مقسم
25- فـلا تكتمن الله مـــا في صـــدوركم ... ليخفى ومهما يكتم اللهُ يعلم
26- يـؤخر فيـوضع في كتـاب فيـدّخر ... ليـوم الحســاب أو يعجّـل فينقم
27- ومـــا الحرب إلا مـــا علمتم وذقتم ... ومـا هـو عنهـا بـالحـديث المرجّم
28- متى تبعثـوهـا تبعثـوهـا ذميمـة ... وتضرَ إذا ضريتمـــوهـــا فتضرم
29- فتعرككم عرك الرحى بثفـالهـــا ... وتلقـح كشـافـــاً ثم تنتـج فتتئم
30- فتنتـج لكم غلمـــان أشـــأم كُلّهم ... كأحمر عـــــاد ثم ترضـــع فَتَفْطم
31- فَتُغلـل لكم مـــا لا تُغـل لأهلهـــا ... قُرى بـــــالعراق من قفيز ودرهم
32- لعمري لنعم الحي جرّ عليهم ... بمـــا لا يـــواتيهم حُصين بن ضمضم
33- وكان طـوى كشحـاً على مستكنـة ... فـلا هـو أبـداهـــا ولم يتقـــدم
34- وقـــال ســـأقضي حـــاجتي ثم أتقي ... عـــدوّي بـــألف من ورائي مُلْجم
35- فشـــد ، ولم يفـزع بيـوتـــاً كثيرة ... لـدى حيث ألقت رحلهـا أم قشعم
36- لـدى أسـد شـاكي السلاح مقـاذف ... لـــه لبـــد أظفـــاره لم تقلم
37- جريء متى يُظلم يعـاقب بظلمـــه ... سريعـــاً وإلا يُبْـدَ بـــالظلم يظلم
38- لحيٍّ حـلال يعصمُ النـــاسَ أمرُهُم ... إذا طرقت إحـــدى الليـــالي بمعظم
39- كرامٍ فـلا ذو التبـل مُـدركٌ تبلِـهِ ... لـــديهم ولا الجـــاني عليهم بمسْلَمِ
40- سئمتُ تكاليف الحيـــاة ومن يعش ... ثمـانين حـولاً لا أبـاً لـكَ يسَـأم
41- رأيت المنايا خبـط عشواء من تصب ... تمتـــــه ومَن تخطئ يعمَّرْ فيهْرَم
42- ومهما تكن عنـد امرئٍ من خليقـة ... وإن خـالهـا تخفى على النـاس تعلم
43- وأعلم مـــا في اليـوم والأمس قبلـه ... ولكنني عن علم مـــا في غـــد عَمي
44- ومن لا يصـــانـع في أمـور كثيرة ... يضرّس بـأنيـاب ويـوطـأ بمنسم
45- ومن يـك ذا فضـل ويبخـل بفضلـه ... على قـومـه يستغن عنـه ويـذمم

46- ومن يجعل المعروف من دون عرضه ... يفره ومن لا يتق الشتم يشتم
47- ومَن لا يذد عن حوضه بسلاحه ... يهدّم ومن لا يظلم الناس يظلم
48- ومَن هاب أسباب المنايا ينلنه ... ولو نال أسباب السماء بسلَّم
49- ومَنْ يعصِ أطراف الزّجاج فإنه ... يُطيعُ العوالي ، ركبّت كلَّ لهذم
50- ومن يوف لا يُذمم ومن يفض قلبهُ ... إلى مطمئن البّر لا يتجمجم
51- ومن يغترب يحسب عدوّاً صديقه ... ومن لا يكرّمَ نفسه لا يكرّم
52- وكائن ترى من صامت لك معجب ... زيادته أو نقصه في التكلم
53- لسان الفتى نصف ونصف فؤاده ... فلم يبق إلا صورة اللحم والدم
54- وإن سفاهَ الشيخ لا حِلم بعده ... وإن الفتى بعد السفاهة يحلم
55- سألنا فأعطيتم وعدنا فعدتم ... ومن أكثر التسآل يوماً سيحرم

☆ **معاني الكلمات :**

1 ـ أم أوفى : المرأة الحبيبة التي ألهمته أجمل قصائده ، وقد تزوّجها وأصاب أبناءه منها ، وفي لحظة طيش طلّقها ، فندم وذهب إلى أهلها معتذراً فقبلوا اعتذاره وأكرموه ، إلا أن أم أوفى الحبيبة والزوجة (المطلقة) لم تقبل اعتذاره ونهرته وأيأسته منها ، قارن :

لعمرك والخطوب مغيّرات ... وفي طول المعاشرة التقالي
لقد باليت مظعن أم أوفى ... ولكنْ أمُّ أوفى لا تبالي
فأما إذ ظعنتِ فلا تقولي ... لذي صِهْر: أذلْت ولم تُذالي
أصبتُ بنيّ منكِ ونلتِ مني ... من اللذات والْحُلل الغوالي

قال ابن الأعرابي (أم أوفى التي ذكرها زهير في شعره كانت امرأته فولدت منه أولاداً ماتوا ، ثم تزوج بعد ذلك امرأة أخرى ، وهي أم بنيه كعب وبجير ، فغارت من ذلك وآذته فطلقها ثم ندم) الأغاني (كتبخانة) 150/9 . دمنة : البعر والسرجين وزُعِم أن الدمنة هي آثار الناس وما سوّدوا بالرماد وغيره !! وإذا قبلنا هذا الزعم فالمعنى الأول هو هو لأن الناس كانوا يطبخون ويوقدون بالبعر والسرجين فرمادهم منه . ـ الحومانة : الأرض الخشنة الغليظة . حومانة الدراج والمتثلم : موضعان في عالية نجد قريبان من المدينة .

2 ـ الرقتان واحدة قرب المدينة وأخرى قرب البصرة وقوله بالرقتين ان بالمنتجع او المرتبع سواقع بينهما . المراجع : المتكرر . الوشم : الخضرة التي تحدث من غرز الأبر . النواشر : عروق ظاهر الذراع . المعصم : موضع السوار .

3 ـ العين : البقر واحدها أعين وعيناء وقيل لها ذلك لسعة عيونها . الآرام : الظباء . الأطلاء : مفردها طلا وهو الولد . المجثم مكان الاستراحة أو الانطلاق .

4 ـ الحجة : السنة . اللأي : البطء والعناء .

5 ـ الأثافي : الحجارة التي تجعل عليها القدر الواحدة أثفية . السفع ، السواد . المعرّس : الموضع الذي يحتمل القدر أو المرجل والمرجل قدر يطبخ فيها من حجارة أو حديد أو خزف أو نحاس أو فضة . النؤي : حاجز يجعل حول البيت أو الخيمة يمنع السيل ، أو يشعر الغريب بحدود البيت المحرمة التي لا ينبغي اقتحامها !! جذم الحوض : بقيته . لم يتثلم : ذهب أعلاه ولبث باقيه .

6 ـ الربع : المنزل في الربيع ثم كثر استعمالهم إياه حتى قيل لكل منزل ربع (أنعم صباحاً أو عم صباحاً أو مساء) تحية الجاهلية وتحية الإسلام (السلام عليكم) .

7 ـ الظعائن : النساء في الهوادج واحدتها ظعينة . والمرأة وهي في بيتها ظَعينة ! العلياء : بلدة جرثم : آبار لبني أسد .

8 ـ القنان : جبل لبني أسد . الحزن والحزم : الموضع الغليظ . المحل والمحرم أي الداخل في أشهر الحل ، والمحرم الداخل في الأشهر الحرم .

9 ـ الأنطاكية : أنماط توضع على الخدور نسبها إلى أنطاكية وكل شيء جاء من الشام فهو عندهم أنطاكي . عقمة مفردها عقم : أصل الاعتقام اللّي ، أراد أن تظهر خيوط أحد النيرين فيعمل به وإذا أريد الوشي بغير ذلك اللون لوى وغُمض . المشاكهة : المشابهة .

10 ـ الرس : واحة ذات آبار لبني أسد .

11 ـ الماء الأزرق : الصافي جمام مفردها جم وجمة : الماء المجتمع الكثير . الحاضر : النازل على الماء . المتخيم : المقيم وأصله من تخيم إذا نصب الخيمة . والعرب تقول لمن يترك السير (وضع عصاه) .

12 ـ الملهى واللهو واحد . اللطيف : الرقيق الطبع الذي ليس فيه جفاء واللطيف الذي

يتلطف في الوصول إلى الحبيبة . أنيق : مونق أي معجب . المتوسم : الناظر الذي يتفرّس . وقيل المتوسم الذي يشغف بالوسامة وهي الحسن .

14 ـ الساعيان هما : الحارث بن عوف وهرم بن سنان وسعيهما كان في السلام وجمع الديات . تبزّل : تشقق .

15 ـ البيت : الكعبة المشرفة . جرهم : كانوا ولاة الكعبة قبل قريش ، وبغوا واستحلوا حرمتها وأكلوا مال الكعبة الذي يهدى لها حتى بلغ بهم البغي أن الرجل إذا لم يجد مكاناً يزني فيه أسرع إلى الكعبة ، والعرب تقدّس مكة فلا بغي فيها ، ولا قتل ، ولا سرقة ، ولا كذب ، وسميت بكة لأنها تبك أعناق البغايا .

16 ـ أي على كل حال من شدة الأمر وسهولته والسحيل الحبل المبرم من خيطين والسحيل خيط واحد ..

17 ـ منشم امرأة تبيع العطر .. تحالف قومٌ عندها فأدخلوا أيديهم في عطرها ليتحرّموا به ثم خرجوا إلى الحرب فقتلوا جميعاً فتشاءمت العرب بها !وقيل : منشم امرأة من خزاعة كانت تبيع عطراً فإذا حاربوا اشتروا منها كافوراً لموتاهم فتشاءموا بها .. وقيل هي منشم ابنة الوجيه الحميري كانت تنتجع العرب وتبيعهم عطرها ، فأغار عليها قوم فسرقوا عطرها ! فبلغ ذلك قومها .. فهاجموا الموضع الذي يقيم فيه سارقو عطر منشم ، وأعملوا السيف في رقابهم وبلغ الحد أنهم كانوا يقطعون رقبة كل من شم العطر إذ لم يكتفوا بقتل السرّاق .. فقتل الحي بكامله فصار عطر منشم رمزاً للشؤم .

18 ـ السِلم بكسر السين وفتحها : الصلح والطمأنينة يذكرّ ويؤنث .

19 ـ العقوق : قطيعة الرحم . منها : الضمير عائد إلى الحرب .

20 ـ عليا مصر : أشرفها .

21 ـ التلاد : ما ولد عندهم والتلاد الملك والإفال ؛ الفصلان ، الواحد أفيل والأنثى أفيلة . التزنيم : وسم أو علامة تجعل على جلد الإبل الكريمة بتقشير ظاهر جلدة الأذن ثم تفتل فتبقى زنمة تنوس أي تضطرب .

22 ـ تعفى : تمحى الجراح . الكلوم مفردها الكلم وهو الجرح . المئين : الإبل . التنجيم تعاقب وقت الأداء وتراتبه ومعنى ينجمها من ليس فيها بمجرم : أي يدفع ثمن الجريمة البريء الذي لم يجرم !!

23 ـ يهريقوا : لغة في يريقوا والمسكوت عنه الدم . المحجم : آلة الحجامة وهي بحجم قبضة اليد أو تزيد قليلاً .

24 ـ الأحلاف : أسد وغطفان .

25 ـ معنى البيت : لا تظهروا الصلح وتبطنوا الغدر كما فعل حصين بن ضمضم حين قتل ورد بن حابس بعد الصلح .

27 ـ المعنى لقد ذقتم مرارة الحرب وجربتم خرابها وقسوتها ، فتحذيري منها ليس ظناً وحدساً ، ولست راجماً كلامي بظهر الغيب !! وزهير شاعر السلام في الجاهلية دون منازع ! إلا أن العربي يكره الحرب ، ومعظم الحروب الجاهلية أشعلتها عنجهية الأعراب واسترخاصهم لأرواحهم .. امرؤ القيس وبثلاثة أبيات صور بشاعة الحرب (ديوانه ق 96 ب 1ـ3 ص 353) :

الحرب أول ما تكون فتية ... تسعى بزينتها لكل جهول
حتى إذا استعرت وشبّ ضرامها ... عادت عجوزاً غير ذات خليل
شمطاء جزت رأسها وتنكرت ... مكروهة للشمّ والتقبيل

28 ـ تضرَ : تشتعل .

29 ـ عركَ : دلك الشيء ليلين . الثفال : جلدة تكون تحت الرحى يقع الطحين عليها . تلقح كشافاً : لقحت الناقة كشافاً إذا حمل عليها في دمها كل عام ، وذلك أراداً النتاج والمحمود أن يحمل على الناقة سنة وتجم سنة ، وإنما شبه الحرب بالناقة لأنه جعل ما يحلب منها من الدماء بمنزلة ما يحلب من الناقة .. وربما شبه الحرب بالناقة إذا حملت وأرضعت وفطمت لطول المدة . تتئم : تأتي بتوأمين . الذكر توأم والأنثى توأمة .

30 ـ نتجت الناقة : إذا استبان حملها . أشأم : شؤم . كأحمر عاد : مثل قدار عاقر الناقة ، وقال الأصمعي : إن زهير أخطأ فعاقر الناقة ليس من عاد وإنما هو من ثمود . وقال المبرد : لم يغلط زهير ؛ لأن ثمود تدعى عاد الأخيرة ، ويقال لقوم هود عاد الأولى ، والدليل قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ أَهلَكَ عَاداً الأُولى ﴾ [النجم : ٥٠/٥٣] .

ولنا أن نلاحظ أن الجاهليين وزهير بينهم كانوا مسكونين بهاجس التاريخ ورموزه !!

31 ـ معنى البيت غلال الحرب هي الدم والدمار بينا غلال العراق محصولات القمح والتمر والدراهم .. والقفيز : مكيال .. وأراد زهير التهكّم المرّ .. فأنتم تزرعون الحرب وتقطفون الدم والدمار وغيركم يزرع البذور ويقطف الخير والثراء .

32 ـ أقسم بعمره !! حصين بن ضمضم من مرة أبى أن يدخل في صلحهم ، فلما اجتمعوا للصلح شدّ على رجل منهم فقتله ، كدأب بعض المؤمرّين لا يهدؤون إلا بالدم والخراب ، فالحرب سعادتهم والسلام خولهم !! وحصين بن ضمضم ابن عم النابغة الذبياني ! النابغة بن معاوية بن ضباب بن جابر أما حصين فهم ابن ضمضم بن ضباب بن جابر !!

33 ـ الكشح : الجنب ! طوى كشحه : أبطن الأمر في سره ولم يظهره . المستكنة : الغدرة .

34 ـ أتقي : أدفع . ألف : أي ألف فرس بلجامه .

35 ـ شدّ : هجم وقتل على خصم بعينه ولم تعلم به بيوت الحي . أم قشعم : المنية أو الحرب . وقال أبو عبيدة : أم قشعم العنكبوت .

36 ـ اللبد : الشعر المتراكب على زبرة الأسد ما بين الكتفين . أظفاره لم تقلم . كناية عن أنه تام السلاح . الأسد : الجيش على سبيل الاستعارة التصريحية . شاكي السلاح : أي إن سلاحه شائك ذو شوك . المقاذف : غليظ اللحم ومُرّه .

37 ـ جريء صفة الأسد الذي هو صفة الجيش الذي يهجم لثأر أو دون ثأر .

38 ـ حي حلال : كثير البيوت . الحلال : جماعة البيوت والحلة : مئة بيت . وقوله يعصم الناس أمرهم معناه أن الناس يعتصمون به ويستمسكون فإذا ائتمروا أمراً كان عصمة للناس ، أي سبباً لقوتهم بمعظم ، بأمر عظيم .

39 ـ التبل : غل في الصدر يجده الإنسان على صاحبه .

40 ـ التكاليف : المشقة .

41 ـ خبط الجمل خبط عشواء .. أي مشى على غير بصر .. فالمنايا مثل الناقة التي تعشو ولا تميّز فمن أخطأته عاش وهرم .

42 ـ الخليقة : الطبيعة . خال : ظن .

44 ـ يصانع : يجامل ويداري . يضرّس : بمضغ بالأضراس . المنسم : خف البعير ويراد به النعال .

46 ـ يفره : يجعله وافراً .

47 ـ ومن لا يظلم الناس يظلم أي من يكن ضعيفاً وتحاشى مواجهة الناس ركبوه وظلموه ، ولا يمكن تفسير البيت على أنه دعوة لظلم الناس ، فالعربي يكره الظلم . قال قيس بن زهير : باكياً صديقه وسيده (حمل بن بدر) ومعاتباً له بسبب ظلمه :

تعلم أن خير النـــــاس ميت على جفر الهبـــــاءة لا يريم
ولـولا ظلمـــه مـــا زلت أبكي عليـه الـدهر مـا طلع النجـوم
ولكن الفتى حمـــل بن بـــدر بغى والبغي مرتعـــه وخيم[15]

وقال الفند الزماني :

أقيـــدوا الظلم إن الظلم لا يرضـــاه ديّـــان
فـإن النـار قـد تصبـح يـومـاً وهي نيران[16]

48 ـ أسباب مفردها سبب وهو الحبل أو الناحية .

49 ـ الزجاج مفردها زج وهو أسفل الرمح . واللهذم : اللحاد ، قال أبو عبيـدة ؛ معنى هـذا أن من لا يقبل الصلح وهو الزج الذي لا يقـاتل بـه فـإنـه يطيع الحرب وهو السنـادة العـالي الـذي يقاتل به .

50 ـ يفضي : يصير . مطمئن البر : خالصه . لا يتجمجم : لا يتردد (في الصلح) .

55 ـ سيحرم : سيُمنع .

---

(15) قيس بن زهير ، شعره ، صنعة عادل البياتي ، مطـ الآداب في النجف ، 1972 ، ص33 وبعدها .

(16) الفند الزمـاني ، شعره ص 294 ، ضمن : قصـائـد نـادرة من كتـاب منتهى الطلب من أشعـار العرب ، لمحمد بن ميمون البغدادي ت589 هـ ، تح : حاتم صالح الضامن ، مجلـة المورد العراقيـة عـدد 3 مجلـد 8 عام 1979 .

٤ ـ لبيد بن ربيعة العامري

لبيد سليل عائلة عرفت بالكرم والفروسية والسيادة ، وكان أبوه يسمى ربيعة المقترين لجوده وسخائه ، وعمه ملاعب الأسنة (عامر بن مالك) وكان ملاعب الأسنة قد أخذ أربعين مرباعاً في الجاهلية ، ولما كبر عامر واهتر تنازع عامر بن الطفيل وعلقمة بن علانة الجعفريان في الرئاسة حتى تنافرا إلى هرم بن قطبة الفزاري . وعامر بن الطفيل الشاعر الفارس هو ابن عم لبيد ، أما أخوه من أمه فهو (أربد) الذي وفد مع عامر بن الطفيل على النبي ﷺ وكان ينوي الغدر ، أما أمه فقد تزوجت بعد وفاة أبيه الربيع بن زياد العبسي !! وهذا يفسّر حقد لبيد على زوج أمه ، وقد نهد لإتلاف سمعة الربيع ، وهزّ مكانته في بلاط النعمان حين حلق جانباً من رأسه وصبغ جانباً من وجهه ، ودخل على النعمان ، والربيع يتناول الطعام معه فأنشد أرجوزته المشهورة (الأغاني 91/14) وقد نبغ لبيد منذ نعومة أظفاره ! فقد نظر النابغة إلى لبيد وهو صبي مع أعمامه على باب النعمان ، فقال له (يا غلام إن عينيك لعينا شاعر أفتقرض من الشعر شيئاً ؟ قال : نعم يا عم ، قال : فأنشدني شيئاً مما قلته ، فأنشده قوله : (ألم تربع على الدمن الخوالي) فقال له النابغة يا غلام أنت أشعر بني عامر ، زدني يا بني فأنشده (طلل لخولة بالرسيس قديم) فضرب النابغة بيده على جبينه وقال للبيد اذهب فأنت أشعر قيس كلها وهوازن كلها ، وحين كبر لبيد التقاه النابغة فقال له أنشدني يا لبيد ، فأنشده (عفت الديار محلها فمقامها) فقال له النابغة : اذهب فأنت أشعر العرب كلها ! وحين كان لبيد صبياً وطلب من قومه مساعدته لهجاء زوج أمه (الربيع العبسي) شك قومه في موهبته ، فأرادوا أن يمتحنوه حتى لا يُحرجوا في مجلس النعمان بن المنذر وطلبوا إليه وصف بقلة أمامهم فقال على الفور : (هذه الثرية التي

لا تذكي ناراً ولا توهل داراً ولا تسرّ جاراً ، عودها ضئيل ، وفرعها كليل ، وخيرها قليل ، أقبح البقول مرعى ، وأقصرها فرعاً ، وأشدها قلعاً ، بلدها شاسع وأكلها جائع والمقيم عليها قانع ، فألقوا بي أخا عبس أرده عنكم بتعس وأتركه من أمره في لبس » .

وذكر المفضل الضبي : (الأغاني 95/14) : قدم الفرزدق فمرّ بمسجد بني أقيصر وسمع فيه رجلاً ينشد قول لبيد :

وجلا السيول على الطلول كأنها زبر تجد متونها أقلامها

فسجد الفرزدق ، فقيل له : ما هذا يا أبا فراس ، فقال أنتم تعرفون سجدة القرآن وأنا أعرف سجدة الشعر . ا . هـ .

ومع هذه الشهادة المهمة فإن لبيداً لم يفضل نفسه على الشعراء : « مرّ لبيد بالكوفة على مجلس بني نهل ، وهو يتوكأ على محجن له ، فبعثوا إليه رسولاً يسأله عن أشعر العرب : فسأله ، فقال : الملك الضليل ذو القروح فرجع فأخبرهم فقالوا هذا امرؤ القيس ، ثم أرجعوه إليه ليسأله ثم من ، فقال له الغلام المقتول من بني بكر ، فرجع فأخبرهم فقالوا : هذا طرفة ثم أرجعوه إليه ليسأله ثم من ؟ فقال : صاحب المحجن يعني نفسه) ، وقد أدرك لبيد الإسلام وأسلم وهاجر وحسن إسلامه وصار من الصحابة ويكفيه شرفاً أن أشرف الأنبياء قال : أجمل كلمة قالها لبيد إشارة إلى قوله :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

ثم نزل الكوفة أيام عمر بن الخطاب ، فأقام بها حتى مات في أوائل خلافة معاوية . وذكر ابن سلام في (طبقات الشعراء 77) : وكتب عمر (رضي الله عنه) إلى عامله أن سل لبيد أو الأغلب ما أحدثا من الشعر في الإسلام فقال الأغلب :

أرجزاً سألت أم قصيدا فقد سألت هيناً موجودا

وقال لبيد : قد أبدلني الله بالشعر سورة البقرة وآل عمران . فزاد عمر في عطائه فبلغ ألفين ، وأراد معاوية أن ينقص من عطاء لبيد ؛ لأنه كان وعطاء معاوية سواء ..

فحزن لبيد وقال له لا تعجل سأموت ثم تضم عطائي إلى عطائك فتأخذه أجمع ... ولم يلبث حتى مات فندم معاوية .. وكان المغيرة بن شعبة إذا هبت الريح صبا قال أعينوا لبيداً على مروءته ! إشارة إلى أن لبيد أقسم في الجاهلية أن لا تهب الريح صباً إلا أطعم ! وقد هبت الريح صباً . والوليد بن عقبة على منبره يخطب الناس فقال : « إن أخاكم لبيد بن ربيعة قد نذر في الجاهلية أن لا تهب صباً إلا أطعم وهذا يوم من أيامه قد هبت صباً ، فأعينوه وأنا أول من يفعل » .

ثم أرسل إليه مئة ناقة وأبيات شعر منها :

أرى الجزار يشحذ شفرتيه ... إذا هبت رياح أبي عقيل
أشم الأنف أصيد عامري ... طويل الباع كالسيف الصقيل
وفى ابن الجعفري بحلفتيه ... على العلات والمال القليل
بنحر الكوم إذ سحبت عليه ... ذيولُ صبا تجاذب بالأصيل

فلما استلم لبيد النوق وقرأ الأبيات قال لابنته وكانت شاعرة مجيدة : أجيبيه فوالله لقد عشت في الإسلام وغادرني شيطاني ، وما أستطيع معه جواباً .. فقالت ابنته سمعاً وطاعة وكتبت :

إذا هبت رياح أبي عقيل ... دعونا عند هبّتها الوليدا
أشمّ الأنف أروع عبشميا ... أعان على مروءته لبيدا
بأمثال الهضاب كأن ركباً ... عليها من بني حامٍ قعودا
أبا وهب جزاء الله خيراً ... نحرناها فأطعمنا الثريدا
فعد إن الكريم له معاد ... وظني لا أبالك أن تعودا

فقال لها لبيد : أي بنيّة . قد أحسنتِ لولا أنكِ استزدتِ عطاءه ، وأبوك لا يسأل الناس .. فقالت ابنته : أبتِ إن الملوك لا يستحى من مسألتهم ، فأعجب بجوابها لبيد وقال لها : لأنت في سرعة بديهتك أشعر منك في شعرك .

وكان لبيد استناداً إلى الشعر والشعراء 175/1 قبل إسلامه يؤمن بالله ويوم القيامة والحساب وهو القائل :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل ... وكل نعيم لا محالة زائل
إذا المرء أسرى ليلة ظن أنه ... قضى عملاً والمرء ما عاش آمل
حبائله مبثوثة بسبيله ... ويفنى إذا ما أخطأته الحبائل
فقولا له : إن كان يقسم أمره ... ألما يعظك الدهر أمّك هابل
فإن أنت لم تصدقك نفسك فانتسب ... لعلك تهديك القرون الأوائل
فإن لم تجد من دون عدنان والداً ... ودون معد فلتزعك العواذل
وكل امرئ يوماً سيعلم سعيه ... إذا كشفت عند الإله المحاصل

ويقال : إنه عمّر خمساً وأربعين ومئة سنة أمضى منها تسعين سنة في الجاهلية .. وقد استوحش من الناس في أخريات أيامه ، وكانت السيدة عائشة (رضي الله عنها) حين تستوحش تردد بيت لبيد ، وتبكي ، ثم تقول : كيف بلبيد لو أدرك زماننا ؟ والبيت هو :

ذهب الذين يعاش في أكنافهم ... وبقيت في خلف كجلد الأجرب

وكان أبو عمرو بن العلاء ، إذا استوحش يردد بيت لبيد ثم يقول : وكيف بالسيدة عائشة لو أدركت زماننا !! ولبيد آخر من مات من شعراء المعلقات ! وروي أن ابنتيه كانتا تذهبان إلى قبره كل يوم وتترحمان عليه وتبكيان من غير صياح ولا لطم ، ثم تمران بنادي بني كلاب تذكران مآثره وتنصرفان إلى تمام الحول كأنها استجابتا إلى وصية أبيها (المشنقيطي ، المعلقات العشر 58) :

إذا حان يوماً أن يموت أبوكما ... فلا تخمشا وجهاً ولا تحلقا شعر
وقولا هو المرء الذي ليس جاره ... مضاعاً ولا خان الصديق ولا غدر
إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ... ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر

وقيل إنه كتب معلقته لينشدها في سوق عكاظ على النابغة ، وقد توّجه النابغة أميراً للشعراء !!

☆ معلقة (عفت الديار) . عدد الأبيات 88 . البحر : الكامل . القافية : م

1ـ عفتِ الديارُ محلُها فمقامُها بمنًى تأبّد غولُها فرجامُها
2ـ فمدافعِ الريالِ عُرّي رسمُها خَلَقاً كما ضمن الوحيُّ سِلامُها
3ـ دِمنٌ تجرّمَ بعد عهد أنيسِها حِججٌ خلونَ حلالُها وحرامُها
4ـ رُزِقتْ مرابيعَ النجومِ وصابها وَدْقَ الرواعِد جودُها فرهامُها
5ـ مِن كلّ ساريةٍ وغادٍ مدجن وعشيةٍ متجاوبٍ إرزامُها
6ـ فعلا فروعُ الأيهقان وأطفلت بالجلهتين ظباؤها ونعامها
7ـ والعينُ ساكنةٌ على أطلائها عُوذاً تأجّل بالفضاء بهامها
8ـ وجلا السيولُ عن الطلولِ كأنها زُبُرٌ تُجِدُّ متونَها أقلامُها
9ـ أو رجْع واشمةٍ أُسِفّ نَؤورُها كففاً تعرّضَ فوقهن وشامها
10ـ فوقفت أسألُها وكيفَ سؤالنا صُمّاً خوالدَ ما يبينُ كلامها
11ـ عريتْ وكان بها الجميعُ فأبكروا منها وغُودِرَ نؤيُها وثمامُها
12ـ شاقتك ظُعْنُ الحيّ يوم تحمّلوا فتكنسوا قطناً تصرّ خيامها
13ـ مِن كلّ محفوف يُظلُّ عصيَّه زوجٌ عليه كِلّةٌ وقرامها
14ـ زجلاً كأن نعاج توضح فوقها وظباءَ وجرة عُطّفاً أرآمها
15ـ حُفزت وزايلها السراب كأنها أجزاعُ بيشة أثلها ورضامها
16ـ بل ما تذكّر من نوار وقد نأت وتقطعت أسبابُها ورمامها
17ـ مريةٌ حلّت بفيد وجاورت أهل الحجاز فأين منك مرامها
18ـ فأقطع لبانةَ من تعرّض وصلُه ولَخيرُ واصل خُلّةٍ صَرّامها
19ـ وأحُبُّ المجامِلَ بالجزيلِ وصَرْمُهُ باقٍ إذا صَلَعت وزاغ قوامها
20ـ بطليح أسفار تركن بقية منها فأحنق صُلبها وسنامها
21ـ فلها هبابٌ في الزمام كأنها صهباءُ راحَ مع الجنوب جهامُها
22ـ أو مُلْمِعٌ وسَقَت لأحقبَ لاحَهُ طَرَدُ الفحول وضربُها وكدامُها

23- يعلو بها حَدَبُ الأكام مُسحجاً قد رابه عصيانها ووحامها
24- بأجزّة الثلبوت يربأ فوقها قفْرَ المراقب خوفُها آرامها
25- حتى إذا سلخا جُمادى ستةً جزءاً فطال صيامُه وصيامُها
26- رجعا بأمرهما إلى ذي مرّة حَصِدٍ ونُجْحُ صريمةٍ إبرامُها
27- ورمى دوابرها السفا وتهيّجت ريحُ المصايف سومُها وسهامُها
28- فتنازعا سبْطاً يطيرُ ظلاله كدخان مشعلة يَشبُّ ضرامُها
29- مشمولة غلثت بنابت عرفج كدخان نار ساطعٍ أسنامها
30- فمضى وقدّمها وكانت عادة منه إذا هي عرّدت إقدامها
31- أفتلكَ أمْ وحشية مسبوعةٌ خذلت وهاديةُ الصّوار قوامها
32- خنساءُ ضيعتِ الفريرَ فلم يرم عُرْضَ الشقائق طوفُها وبُغامها
33- لمعفّر قهْدٍ تنازعَ شِلْوه غُبْسٌ كواسبُ ما يُمَنُّ طعامها
34- صادفن منها غرّة فأصبنها إن المنايا لا تطيش سهامها
35- باتت وأسبل واكفٌ من ديمة يروي الخمائل دائماً تسجامها
36- تجتاف أصلاً قالصاً متنبّذاً بعجوب أنقاءٍ يميل هيامُها
37- يعلو طريقة متنها متواتراً في ليلة كفر النجومَ غمامُها
38- وتضيء في وجه الظلام منيرة كجمانة البحري سُلّ نظامها
39- حتى إذا انحسرَ الظلامُ وأسفرت بكرت تزلُّ عن الثرى أزلامُها
40- عَلهتْ تَبَلَّدُ في نهاء صُعائد سبعاً تؤاماً كاملاً أيامُها
41- حتى إذا يئست وأسحق حالقٌ لم يبله إرضاعُها وفطامها
42- وتسمّعت رِزّ الأنيس فراعَها عن ظهر غيب والأنيس سقامُها
43- فغدتْ كلا الفرجين تحسبُ أنّه مولى المخافة خلفُها وأمامُها
44- حتى إذا يئس الرماةَ وأرسلوا غُضفاً دواجَن قافلاً أعصامها
45- فلحقن واعتكرت لها مدريةٌ كالسمهرية حدُّها وتمامها

46- لتـــذودهنّ وأيقنت إن لم تـــذد ... أن قـد أحمّ على الحتـوف حِمامهـا

47- فتقصّـدت منهـا كسـابِ فَضُرّجت ... بـدم وغـودر في المكرّ سُخـامُهـا

48- فبتلـكَ إذ رقص اللـوامعُ بـالضحى ... واجتـاب أرديـة السراب إلحـامهـا

49- أقضي اللبـــانـــة لا أفرّطُ ريبـــةً ... أو أن يلـوم بحـاجـة لـوامَهـا

50- أو لم تكن تـــدري نـوارُ بـــأنني ... وصّـال عقـد حبـائـل جـذّامُهـا

51- تراك أمكنـــة إذا لم أرضهـــا ... أو يعتلـق بعض النفـوس حمـامهـا

52- بـل أنت لا تـدرين كم من ليلـة ... طلـق لـذيـذ لهْـوُهـا ونـدامهـا

53- قـد بتّ سامرهـا وغـايـة تـاجر ... وافيتُ إذ رُفعت وعـزّ مـدامهـا

54- أغلي السبـاءَ بكلّ أدكنَ عـاتـق ... أو جـونـةٍ قُـدحت وفُضّ ختـامهـا

55- بسماع مـدجنـة وجـذْب كرينـة ... بمـوتّر تـأتـالُـه إبهـامُهـا

56- بـاكرتُ حـاجتهـا الـدجـاج بِسُحْرةٍ ... لأُعِـلَّ منهـا حين هبّ نيـامُهـا

57- وغـداة ريـح قـد وزعْت وقرّةٍ ... إذ أصبحت بيـد الشمال زمـامهـا

58- ولقـد حميت الخيـل تحمـل شكتي ... فرُطٌ وشاحي إذ غـدوتُ لجـامهـا

59- فعلـوتُ مرتقبـاً على مرهـوبـةٍ ... حرجٍ إلى أعـلامهنّ قتـامُهـا

60- حتى إذا ألقت يـــداً في كافر ... وأجنّ عـورات الثغـور ظـلامهـا

61- أسهلتُ وانتصبت كجـذع منيفـة ... جرداء يحصرُ دونهـا جرّامُهـا

62- رفّعتُهـا طردَ النّعـام وفـوقـه ... حتى إذا سخنت وخفّ عظـامهـا

63- قلقت رحـالتهـا وأسبـل نحرُهـا ... وابتـلّ من زَبَـد الحميم حـزامهـا

64- ترقى وتطعُنُ في العَنـان وتنتحي ... وِرْدَ الحمـامـة إذ أجـدّ حمـامُهـا

65- وكثيرةٍ غربـاؤهـا مجهـولـةٍ ... تُرجى نـوافلهـا ويخشى ذامهـا

66- غُلْبٍ تشـذّرُ بـالـذحـولِ كأنهـا ... جنٌّ البـديّ رواسيـاً أقـدامهـا

67- أنكرت بـاطلهـا وبـؤتُ بحقّهـا ... يـومـاً ولم يفخر عليّ كرامهـا

68- وجـزور أيسـار دعـوت لحتفهـا ... بمغـالـقٍ متشـابـهٍ أعـلامُهـا

69- أدعـو بهنّ لعـاقرٍ أو مُطفـلٍ ... بُـذلت لجيران الجميع لحـامُهـا

70- فـالضيفُ والجـارُ الغريبُ كأنمـا ... هبَطا تبالـة مُخْصِباً أهضـامهـا

71- تـأوي إلى الأطنـاب كلُّ رذيـة ... مثـل البليـة قـالصٍ أهـدامهـا

72- ويكلِلـون إذا الريـاحُ تنـاوحت ... حُلُجاً تُمَـدُّ شـوارعـاً أيتـامهـا

73- إنـا إذا التقتِ الجـامـعُ لم يـزل ... مِنـا لِـزاز عظيمـة جشّـامهـا

74- ومقسّمٌ يُعطي العشيرةَ حقهـا ... ومغـذمِرٍ لحقـوقهـا هضـامهـا

75- مِن معشرٍ سنّتْ لهم آبـاؤهم ... ولكلّ قـومٍ سُنّـة وإمـامهـا

76- إن يَفْـزَعـوا تلـقَ المغـافِرُ عنـدهم ... والسِّنُّ يلمـع كالكـواكب لامُهـا

77- لا يطيعـونَ ولا يبـورُ فعـالهم ... إذ لا يميـل مـع الهـوى أحـلامهـا

78- فبنـوا لنـا بيتـاً رفيعـاً سَمْكُـه ... فسما إليـه كهلهـا وغـلامُهـا

79- فـاقنـع بمـا قسمَ المليـكُ فـإنمـا ... قسمَ الخـلائـقَ بيننـا عـلامهـا

80- وإذا الأمـانـةُ قسّمتْ في معشر ... أوفى بـأوفر حظنـا قسـامُهـا

81- فهم السعـاةُ إذا العشيرةُ أفظعت ... وهم فـوارسُهـا وهم حكّـامُهـا

82- وهم ربيـعٌ للمجـاور فيهم ... والمرمـلاتُ إذا تطـاول عـامهـا

83- وهم العشيرة أن يُبَطيء حـاسـدٌ ... أو أن يلـوم مـع العـدا لـوّامهـا

☆ معاني الكلمات :

1 ـ عفت : طمست معالمها . منى : موضع معروف . تـأبّد : توحش والأوابد الوحوش . الغول : موضع فيه ماء . الرجام مفردتها رجمة وهي الهضبة ، ولها دلالة أخرى فالرجام أحجار تجمع لتكون أنصاباً ينسك الجاهليون عندها ويطوفون بها .

2 ـ المدافع : مجاري المياه والريان . الريان : واد ببلاد بني عامر . عري رسمها : أي إن الماء جف فتعرّى مكان المجرى . خلقاً : من أخلق : بلي لكثرة الاستعمال أو القِدم أو الإقامة فيه . الخلق : الناس الكثر . الوَحِي : مفردها الوحي وهو الكتاب أو الكتابة إطلاقاً . والسلام الحجارة مفردتها سلمة والمعنى العام أن آثار هذه المنازل المطموسة التي لا تكاد تبين تشبه سطوراً على صخرة .

3 ـ دمن : رماد ودخان وسواد من البعر والسرجين . تجرّم : تجرّم : تقطّع ، أومرّ أو اكتمل . الأنيس : المصاحب . الحجج : السنون . خلون : مررن . حلالها وحرامها : الأشهر الحل والأشهر الحرم : وكل أشهر السنة عند الجاهليين حلّ عدا أربعة هي أشهر حرم وهي : رجب وذوالقعدة وذوالحجة والمحرم .

4 ـ مرابيع النجوم : مطر أول الربيع ، وأضاف الشاعر المرابيع إلى النجوم لأن الجاهلي كان يقول : مطرنا بنوء كذا !! (والأنواء منازل القمر وهي ثمان وعشرون ويسقط في الغرب كل ثلاث عشرة ليلة منزلة مع طلوع الفجر ، وتطلع أخرى مقابلها ذلك الوقت في الشرق فتنقضي جميعها مع انقضاء السنة . وكانت العرب تزعم أن سقوط المنزلة وطلوع رقيبها يكون مطر وينسبونه إليها فيقولون مطرنا بنوء كذا ... انظر كتابنا : (الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام ، فقرة الأنواء) . الودق : المطر القريب من الأرض . الرواعد : السحب ذوات الرعد . الجود : المطر الكثيف . الرهام المطر اللين مفردتها رهمة . +أي إن الأمطار أسهمت في طمس آثار الديار .

5 ـ سارية : سحابة الليل . الغادي : مطر الغداة . والمدجن : التباس الغيم بالسماء . الإرزام : صوت الرعد وإرزام الناقة حنينها على ولدها .

6 ـ علا : ارتفع . الفروع : الأعالي . الأيقهان : جرجير الصحراء مفردها أيهقانة . الجلهتان : جانبا الوادي . +أي إن هذه الديار الخالية جذبت إليها الوحوش ، لأنها تجد أمانها فيها .

7 ـ العين : البقر واحدتها عيناء والذكر أعين . ساكنة من السكينة : مطمئنة . أطلاؤها : أولادها ، الواحد طلا . والعوذ : الحديثات النتاج . تأجّل واحدها أجل وهو قطيع الظباء والبقر والشاء . الفضاء : المتّسع من الأرض . البهام مفردها بهمة وهي من الضأن خاصة أو من أولاد البقرة الوحشية .

8 ـ جلى السيول : جلت السيول التراب عن الأطلال والأطلال ما شخص من آثار الدار . الزبر مفردها زبور وهو الكتاب وزبرت الكتاب كتبته . تجد : تجدد المتون : كناية عن الكل .. والمعنى : هذه السيول كشفت بياض الأطلال وسوادها مثل كتاب مطموس أعيد بعضه وترك الآخر .

9 ـ الرجع : الترديد مرة بعد أخرى . الواشمة التي تشم جسدها بالإبرة ثم تحشو غرزة الإبرة

بالنؤور (مادة سوداء) . أُسَفّ : ذُر عليه النؤور . الكفف : الدارات من النقش الواحد ، واحدتها كفة والكف : المنع . تعرّض : أقبل وأدبر . والمعنى : هذه الديار مثل هذا الكتاب أو هذا الوشم .

10 ـ الخوالد : البواقي .

11 ـ عريت : خلت من أهلها . أبكروا : ارتحلوا منها في أول الوقت . غودر : ترك النؤي : حاجز حول البيت أو الخيمة لئلا يصل السيل إليه . الثام : نبت يجعل حول البيت فيه شوك ، يقي من الحر والحشرات والحيوانات .

12 ـ الظعن : النساء في الهوادج . تحملوا : ارتحلوا بأحمالهم . تكنسوا : دخلوا في الهوادج (الكناس ملجأ الظبي يقيه الشمس) . القطن : الجماعة مفردها قطين ، وقد تنصرف إلى الجيران أو العبيد . وربما يكون الشاعر قد أراد أن النساء استظللن بأغشية القطن . تصرّ : من الصرير وهو صوت يصدر عن الخيام لأنها جديدة أو لأن الإبل سريعة فتهز خشبه الخيام (الهوادج) .

13 ـ المحفوف : الهودج المحفوف بالقماش . العصي : الخشب . الزوج : النمط المتشابه . الكلة : الستر الرقيق . القرام شراشف تجعل فوق الفراش أو تجعل غطاء .

14 ـ الزُجَل : الجماعة مفردها زجلة . النعاج : البقر الوحشي . توضح مع وجرة : موضعان . عُطّف : ملتفتات أو متحننات على أولادهن . فوقها : فوق الهوادج ، الآرام : الظباء البيض ومفردها رئم .

15 ـ حفزت : استحثت في السير . زايلها : دفعها مرة بعد أخرى وربما يكون المعنى فارقها . السراب : لمعان الشمس في الفضاء كأنه ماء . أجزاع : مفردها جزع وهو منعطف الوادي أو وسطه . بيشة : موضع . الأثل : ضرب من الشجر معروف . الرضام : تلال رملية أو صخرية مفردتها رخمة . والمعنى : حين فارقها السراب تراءت مثل شجر قد ضربته الريح فهو يخفق أو تلال .

16 ـ نوار : اسم حبيبة الشاعر . والنوار الوحش النافر . نأت : بعرت . أسبابها : حبالها والمقصود حبال المودّة . رمام مفردها هارمّة (كسر الراء أو ضمّها) وهي القطعة من الحبل القديمة .

17 ـ مرية : منسوبة إلى قبيلة مرة بن عوف . مرامها : مطلبها . فيد : موضع في طريق مكة . وهي مجاورة أهل الحجاز أعداء الشاعر .

18 ـ اللبانة : الحاجة . تعرّض وصله : تغيّر وحال كأنه أخذ يميناً وشمالاً . الخلة : الصداقة . صرامها ! الصرم : القطع والمعنى : إذا أردت أن تدوم لك مودة صديقك فاقطع حوائجك عنه إذا كرهت أن يردّك .

19 ـ المجامل : الذي يظهر المودّة ويبطن البغض . احبِ : اعطِ . ضلعت : مالت وجارت . زاغ : مال والزيغ الميل . أي عامل المجامل بالمودّة الظاهرة واخف بغضه على سبيل المعاملة بالمثل .

20 ـ الطليح : الناقة المهزولة من السفر . أحنق : ضمر ... أي اقطع حاجتك وحاجة غيرك بهذه الناقة . تركن بقية : الأسفار تركن بقية من هذه الناقة فلم تأكل لحمها أجمع . الصلب : الجميع القوي .

21 ـ هباب : نشاط . صهباء : سحابة صفراء مسودّة لأنها قليلة الماء سريعة العبور .. أي إن ذهاب لحم الناقة جعلها نشطة مثل السحابة الصهباء التي تخلصت من مائها فهي أسرع من سواها ..

22 ـ الملمع : التي استبان حملها . وسقت : جمعت ماء الفحل أو حملت . الأحقب : الحمار ترى البياض فيه بموضع الحقب منه . لاحه : أضمرهُ وعيره . طرد الفحول : أي إن الحمار يطرد الحمير (الفحول) عن أتنه فيناله من الفحول الضرب بالحوافر والعض (الكدام) : والحمار يطرد الفحول عن أتانه لتكون أكثر رغبة فيه حين لا يكون ثمة فحل غيره .

23 ـ الحدب : ما ارتفع من الأرض . الآكام : الجبال الصغار مفردها أكمة . المسحج : المعضض بأسنان الحمير . رابه : استبان الريب . عصيانه : امتناع الأتان عليه . وحامها : الوحم الشهوة في الحمل . يعلو بها : يعسفها ولا يهتم إلا بطردها لا يبالي أين سلكت وإنما يعلو بها خوف الرامي .

24 ـ الأحزة مفردها حزيز وهو ما غلظ من الأرض . الثلبوت : ماء لبني ذبيان . يربأ : يعلو ويشرف وربيئة القوم : طليعتهم والمراقب هي المراصد . الآرام : حجارة تجعل علامة يعرف بها الطريق . أي إن الحمار يخاف هذه الحجارة حين يراها متوهماً أنها مما يخاف منه .

25 ـ سلخاً : أي خرجاً منها والتثنية عائدة حمار الوحش وأتانه ، جمادى : شدة البرد ، وقوله جمادى ستة : جعل الشتاء كله جمادى لأن الماء يجمد فيه . جزءاً : اكتفاء بالرطب واستغناء عن الماء . والجزء الوقت الذي يتجزأ فيه بالرطب عن الماء وجمادى ستة : ستة أشهر تمام الشتاء .

26 ـ المرة : القوة والمرة في اللغة إحكام الفتل والمرير : الحبل المحكم . أي رجعا الحمار والأتان بأمرهما إلى رأي قوي أي عزماً على ورود الماء بعد طول صيامها وقيامها . الحصد : المحكم .

الصريمة : العزيمة كأنه قطع الأمر وأصل الصرم القطع . الإبرام : الإحكام أي إن نجاح الأمر في إحكامه .

27 ـ الدوابر : مآخير الحوافر واحدتها دابرة . السفا : شوك مثل السنابل له ثمر ترعاه الإبل . المصايف مفردها مصيف . الموضع الذي يمضّي فيه الكائن صيفه . السوم : الحر . السهام : الريح الحارة أي إنها تركت لترعى حيث شاءت .

28 ـ تنازعا : الحمار وأنثاه . سبطاً : غباراً مرتفعاً . ظلاله : ما يظل منه . المشعلة : النار . يشب : يوقد . الضرام : الحطب الرقيق أي إنها تنازعا غباراً ممتداً طويلاً طائراً ظلاله كأنه دخان نار أوقدت .

29 ـ مشمولة : أي أصابتها ريح الشمال . غلثت : خلط ما أوقدت به بنابت عرفج : وهو كثير الدخان . أسنامها : ارتفاع لهبها .

30 ـ أي إن الحمار قدم الأتان حتى لا تعند عليه . عردت : تركت الطريق وعدلت عنه وأصل التعريد : الفرار . وهذه عادة الحمار .

31 ـ يقول لبيد : أفتلك الأتان هي التي تشبه ناقتي أم البقرة الوحشية المسبوعة التي أكل السبع ولدها فهي مذعورة . وخذلت : تأخرت عن القطيع وأقامت على ولدها . هادية الصوار : متقدمته . الصوار : القطيع من البقر .

32 ـ خنساء : صفة البقرة الوحشية والخنس تأخر الأنف في الوجه وقصره . الفرير : ولد البقرة وأصل الفرير الخروف وهو من ولد الضأن والبقرة تجري مجرى الضائنة . الشقائق مفردها شقيقة : أرض غليظة بين رملتين . الطوف : الذهاب والمجيء . بغامها : صوتها أي إن البقرة لا تبرح هذه الرملة تطلب ولدها لأن في هذه الرملة نباتاً فهي تصيح بولدها لئلا يكون النبات قد غطاه ، ولو كانت مصحرة لما ثبتت في موضع واحد .

33 ـ المعفر : التعفير هو أن تعفر ولدها إذا أرادت فطامه والمعفر هو الذي سحب في العفر (التراب) . القهد : الأبيض وقيل هو الأبيض الذي يخالط بياضه صفرة أو حمرة . تنازع : تعاطى . الشلو : بقية الجلد أو بقية الجسم . الغبس : الذئاب . والغبسة لون الرماد ، وهو بياض فيه كدرة . الكواسب : المتدربات على الصيد فهن يكسبن الصيد ولا يخفقن . ما يمن طعامها : لا يمن عليها أحد بالطعام فهي تكسبه بنفسها لنفسها .

34 ـ أي صادفن من البقرة غرة فأصبنها في ولدها . الغرة الغفلة فإذا قرأ البيت (صادفن ضه) فالغفلة للغرير : الولد الصغير . لا تطيش : لا تخطئ .

35 ـ أسيل : سال واسترخى والسبل المطر الذي بين السماء والأرض حين يخرج من السماء ولم يصل إلى الأرض . باتت : أمضت وقت المبيت وليس بات هنا بمعنى نام . الواكف : القطر . الديمة : المطر الدائم . الخمائل : مفردها خميلة وهي الرملة المغطاة بالنبات فكأنه أخملها . التسجام : التسكاب الكثيف والمعنى : باتت هذه البقرة المفجوعة بفقد ولدها مطمورة تمطرها الديمة .

36 ـ تجتاف : تدخل في جوفه . القالص : المرتفع الفروع . المتنبذ : المتنحّي المبتعد . العجوب مفردها عجب وهو أصل الذنب والمقصود هنا أطراف الرمال . الإنقاء مفردها نقا وهو الكثيب من الرمل الذي لم يخالطه غيره ويثنى على نقوان أو نقيان . الهيام : الرمل اللين أو ما تناثر منه وقولنا انهار وانهام وانهال يجمعه معنى واحد ... والمعنى أنها متنحية عن معظم الشجر ومتنحية عن الطريق لتأمن .

37 ـ أي يعلو طريقة متن هذه البقر مطر متتابع . الطريقة خطه مخالفة للونها . المتن : مكتنف الظهر . كفر : غطى .. أي إنها ليلة مظلمة وقد غطى السحاب فيها النجوم . وإنما سمي الكافر كافراً لأنه غطى ما حقه الظهور من الدين أو أنه غطىّ قلبه بغطاء المعصية .

38 ـ يعني البقرة تضيء من شدة بياضها . وجه الظلام : أوله . الجمانة : اللؤلؤة الصغيرة والكبيرة الدرة . والبحري : الغواص وقيل إن الجمانة زينة تشاكل اللؤلؤ تصنع من فضة ، وإن لبيداً وهم في قوله ، فهي ليست من لؤلؤ الصدف البحري حتى يصطاده الغواص ! سل . نظامها : سحب خيطها وسقطت اللؤلؤة على الأرض وتدحرجت فكأنها قلقة أي إن البقرة قلقة ، وقيل : أراد لبيد سرعة عدو البقرة فشبهها باللؤلؤة إذا سلّ خيطها فسقطت . وهذه البقرة كلما تحركت في الليل أشرق لونها .

39 ـ انحسر : ذهب . أسفر : كشف وأسفرت المرأة ألقت خمارها . بكرت : غدت بكرة . الثرى : التراب الندي . أزلامها : قوائمها كأنها قداح . تزل : تزلق لا تثبت على الأرض من الطين ومفرد الأزلام زلم .

40 ـ علهت : جزعت وقلقت . تبلد : تتبلد : تتحير ، تذهب وتجيء ولا تدري أين تمر . النهاء مفردها نهي وهو الغدير . صعائد : اسم موضع ويروي (في شقائق عالج) الشقائق مفردها شقيقة وهي الرملة يكون فيها النبت وعالج موضع . سبعاً تؤاما : واحدها تؤم جعل كل ليلة مع

يومها تؤاماً . كاملاً أيامها : أي لا ينقص جزعها في هذه الأيام !! والمعنى أن هذه البقرة المفجوعة بوليدها جزعت وقلقت لفقد وليدها فتحيرت مترددة تبحث عنه في موضع (نهاء صعائد) مدة سبع ليال كاملة .

41 ـ حتى إذا يئست من ولدها . أسحق : ارتفع . حالق : ضامر من الجوع والإعياء والقلق ، وقيل ممتلئ لبناً وأصله من الارتفاع ، لم يبله إرضاعها وفطامها : لم تذهب به كثرة إرضاعها ولا فطامها ولكن ذهب به فقد ولدها وتركها العلف .

42 ـ ويروى (وتوجست كز الأنيس) تسمعت : ركزّت لتسمع . راعها : أفزعها ولم تر الناس . الرز والركز : الصوت الخفي . عن ظهر غيب : من وراء حجاب أي تسمع الذي لا تراه . الأنيس : الصياد وتسميته الأنيس ضرب من السخرية المرّة فهي تبحث عن أنيس وليس ثمة غير الصياد . سقامها : هلاكها لأنه يصيدها .

43 ـ الفرجان : الجانبان ، الفرج الواسع من الأرض ، والبقرة تخاف من كل شيء تراه ولا تراه . مولى المخافة : صاحب الخوف وسببه وقيل : إن المقصود بالمخافة الكلاب ... أي غدت البقرة لا تدرك لقلقها موضعها من الخطر فتحسبه أمامها وخلفها وفي جانبيها .

44 ـ الرماة : الصيادون . الغضف : الكلاب المسترخية الآذان . الدواجن : الضاريات المدربات التي لا تغادر أصحابها . القافل : اليابس . الأعصام : قلائد من الجلد تجعل على أعناق الكلاب مفردتها عصام وعصمة وعصم والمعنى أن الرماة يئسوا من أن تنال سهامهم البقرة فأرسلوا في إثرها كلابهم المدرّبة الضارية .

45 ـ أي فلحقت الكلاب هذه البقرة فرجعت البقرة عليهن تطعنهن . اعتكرت : رجعت المدرية : القرون الحادة . السمهرية : الرماح الصلبة المنسوبة إلى رجل مشهور بتقويم الرماح اسمه سمهر فشبه قرنها بالرمح لصلابته وحدّته ألا ترى أنه قال : حدها وتمامها يعني بتمامها : طولها .

46 ـ تذودهن : تطردهن وتمنعهن . الحمام : الموت .. فالبقرة تعلم أن الكلام يحملن موتها إليها ، فهي تمنعهن بقرونها وكل ما تبقى من قوتها .. وكل شيء حان وقته تقول فيه أحم يحم .

47 ـ تقصدت : اختارت أو قتلت . كساب : اسم كلبة كانت في طليعة الكلاب عدواً عليها وفتكاً بها . ضرجت : لطخت بالدم . غودر : ترك . سخام كلب والهاء تعود على الكلاب .

48 ـ معناه فتلك الناقة أقضي اللبانة (الحاجة) . لا أفرط : لا أقصر أي أمضي في الحاجة

ولا أقصر فيها . لئلا أشك وأقول إذا فاتتني : ليتني تقدمت أو يلومني لائم على تقصيري ، فهذه الناقة تعين الشاعر على من أراد مواصلته أو مصارمته (تركه) .

50 ـ نوار : حبيبة الشاعر وهي من بني جعفر . جذام : قطاع .. أي إن الشاعر يصل من يستحق المواصلة ويقطع من يستحق القطيعة .

51 ـ يقول لبيد : إنه يترك الأمكنة إذا رأى فيها ما يكره إلا أن يدركه الموت فيحبسه . يعتلق : يحبس . الحمام : الموت أو القدر .

52 ـ كم : للتكثير . ليلة طلق : معتدلة ليس فيها حر ولا برد . الندام : المنادمة .. مجالسة أخلائه من الشاربين .

53 ـ سامر من السمر وهو حديث الليل . التاجر : الخمار أو بائع الخمر . عزّ : ارتفع وغلا . المدام الخمر والغاية السوم .

54 ـ السباء : شراء الخمور . أدكن : زق أدكن . عاتق : عتيق . الجونة : الخابية السوداء . قدحت : عزف منها ومزجت أو بزلت . فضّ : كسر أو فتح . ختامها : خاتمها أو الختم الذي عليها .

55 ـ المدجنة : التي تغني في يوم المطر . الكرينة : صاحبة الكران والكران هو البربط . آلة وترية تشبه العود . تأتلهُ : تصلحه وتعمله (تدوزنه) قبل الاستعمال وفي أناة .

56 ـ باكرت حاجتها : باكرت حاجتي في الخمر . الدجاج : الديكة والدجاج بكسر الدال وفتحها تقع على الذكر والأنثى وتاؤه للواحدة ! والمعنى باكرت بشربها صياح الديكة . أعلّ منها : العلل هو الشرب الثاني وقد يقال للثالث والرابع علل من قولهم تعللت به انتفعت به مرة بعد مرة . هبّ النائم : استيقظ . والمعنى : أن الشاعر شربها قبل صياح الديكة ليشرب منها المرة تلو الأخرى حين استيقظ نيام السحر .

57 ـ وزعت : كففت ويروى كشفت أي بالطعام والكسوة وإيقاد النيران . القرة : البرد . وقوله إذا أصبحت بيد الشمال زمامها أي إذا أصبحت الغداة الغالب عليها الشمال ، وهي أبرد الرياح وجعل للشمال يداً وللغداة زماماً .

58 ـ ويروى ولقد حميت الحي أي منعت عنه الأذى . الشكة : اسم لجميع السلاح . فرط : فرس متقدم وقوله وشاحي لجامها معناه أن الفرسان كان أحدهم يتوشّح اللجام ليكون ساعة يفزع قريباً منه وتوشحه إياه هو أن يلقيه على عاتقه ويخرج يده منه .

59 ـ المرتقب الموضع الذي يرقب فيه . الهبوة : الغبار والمعنى أن القتام كثر حتى بلغ إلى الأعلام وهي الجبال . المرهوبة : المخيفة . الحرج : الضيق والقتام : الغبار أيضاً .

60 ـ ألقت يعني الشمس : وألقت يداً أي بدأت في المغيب . الكافر الليل لأنه يغطّي الأشياء . أجن : ستر . عورات الثغور : المواضع التي تؤتى المخافة منها ، وكل مكان يتخوّف منه فهو ثغر وفرج ومدينة معورة : إذا كان فيها مكان يتخوّف منه .

61 ـ أسهلت : نزلت من المرقبة إلى السهل فنصبت عنقها من مرحها ولم تكسرها حين غربت الشمس ، ولم أتمكن من حراسة أصحابي على المرتقب وسرت على السهل من الأرض والفرس يقع على الذكر والأنثى . جذع منيفة : جذع نخلة منيفة . الجزام : القطاع ، وهم صرام النخلة . يحصر : يكل . منيفة : نخلة طويلة مشرفة . جرداء : انجرد عنها السعف .

62 ـ رفّعتها : رفعتها في السير . طرد النعام : عدوه . سخنت : حميت من العرق . خف عظامها : إذا كثر عرقها خف عظامها ، وربما تكون كناية عن السرعة .

63 ـ الرحالة : سرج كان يعمل من جلود الشاء بأصوافها يتخذ للجري الشديد . أسبل نحرها : سال بالعرق . الحميم : العرق أو الماء الحار والقريب والمعنى أسرعت فقلقت رحالتها والرحالة تشبه السرج لاقربوس لها ولا مؤخرة وربما كان من لبود وقلقت جواب حتى إذا في البيت السابق .

64 ـ يصف أنها ترفع رأسها فكأنها تصعد وتطعن أي تعتمد في العنان كما يعتمد الطاعن ، تنتحي : تقصد . الحاقة : القطاة يعني أنها تمر كما تمر القطاة إلى الماء وبين يديها قطا قد انكش فهي في أثره وهو أسرع لها ويريد بالحمام هنا جماعة ، لأنه يقال للذكر والأنثى حمامة . ومعنى البيت : إن فرسه تسرع كما تسرع هذه القطاة إلى شرب الماء وهي في أثر قطا بعد الكلال والتعب . ورد الحمامة : أي ترد كما ترد الحمامة .

65 ـ المعنى رب حرب كثيرة غرباؤها وجعلها كثيرة الغرباء لما يحضرها من ألوان الناس وغيرهم وجعلها مجهولة لأن العالم بها والجاهل يجهلان عاقبتها . النوافل : الغنيمة والظفر . ذامها : عيبها وهناك تأويلان آخران هما :

أ ـ ورب جماعة كثيرة الغرباء والمقصود قبة النعمان وجعلها كثيرة الغرباء لاجتماع الناس عندها وجعلها مجهولة لأن بعضهم لا يعرف بعضاً إلا بالسؤال .

ب ـ أرض كثيرة الغرباء يضل بها من يسلكها إذا جهل طرقها .
والتأويل الأخير (ب) أقرب إلى روح النص من سواه .

66 ـ الغلب : الغلاظ الأعناق . تشذر : يوعد بعضهم بعضاً والتشذّر رفع اليد ووضعها كما كانوا يفعلون إذا تفاخروا وتثالبوا ، وتشذرت الناقة إذا شالت ذنبها . الذحول مفردها ذحل وهو الحقد . البدي : البادية وقيل : إن البدي موضع . الرواسي : الثوابت وقال ابن الأنباري : البدي واد لبني عامر .

67 ـ بؤتُ : انصرفت وفي الحديث الشريف : « باءَ طلحة بالجنة » أي انصرف بها وهذا البيت متعلق بقوله وكثيرة غرباؤها . والمعنى وكثيرة غرباؤها أنكرت باطلها ، ااي رددته وبؤت بحقها أي احتملته ولزمته ولم يفخر عليّ كرامها أي إن فخري ظاهر واضح وقيل بؤت بحقها أي بحقي لأني فخرت بحق وأصل الفخر الارتفاع والتعظيم يقال ذر فاخرة أي مرتفعة عظيمة وناقة فخور أي عظيمة الضرع وأنكرت باطلها : أنكرت ما فخر به الوفود من الباطل .

68 ـ الجزور الناقة تشترى لتجزر أي تذبح وجمعها جزائر وجزر . الأيسار : مفردها يسر وهو الذي يضرب بالقداح ويقال له أيضاً ياسر . لحتفها : لنحرها . المغالق : القداح التي يضرب بها الواحد مغلق ومغلاق وإنما سميت مغالق لأنه يجب بها غلوق الرهن ، يقال غلق الرهن يغلق غلقاً وغلوقاً إذا لم يقدر على فكه . الأعلام : العلامات واحدها علم .

69 ـ يقال أدعو بهذه المغالق لأيسر بها على ناقة عاقر أي لا تلد . ناقة مطفل : معها ولد صغير . والعاقر أسمن ، والمطفل أعلى ، واللحام مفردها لحم ، وأدعو بهن لعاقر ولمطفل أي أنحرهن من أجل هؤلاء النسوة . ويروى : (لجيران الشتاء ولجيران العشي) والمعنى يكون أبلغ وأدلّ .

70 ـ الضيف : النازل غير المقيم ويروى (والجار الجنيب) وهو الغريب أيضاً . تبالة : اسم موضع كثير الخصب يقع في اليمن . الإهضام : بطون الأودية منهضة واحدها هضم وفيها نخل كثير ، يقول فإذا نزل بهم الضيف صادف عندهم من الخصب والفواكه ما يصادفه بتبالة إذا هبطها وإنما يعني نفسه . مخصب : ما تطامن من الأرض لأن السيل إليه أوصل وهو أخصب ، ومعنى البيت إن ضيفه وجاره بمنزلة من نزل تبالة من الخصب .

71 ـ تأوي : تلوذ ، تدخل الرذية : الناقة المهزولة التي تركت لهزالها والرذية هنا المرأة التي قد أرذاها أهلها أي ألقوها والمراد بقوله : كل رذية : الأرامل واليتامى فيقول منزلنا تأوي إليه

الفقيرات والفقراء الذين يشبهون البلية هزالاً . البلية : الناقة التي يموت صاحبها فيشد وجهها بكساء وتربط عند قبره ولا تطعم ولا تسقى حتى تموت فإذا صار الحشر فإن صاحبها (كما يزعمون) يحشر عليها . القالص : المرتفع . الأهدام : مفردها هدم وهو الثوب الخلق البالي . ويريد أن أطنابه وهي حبال الخيام تأوي إليها الفقراء والأرامل ، لأنه يطعمهم ويعطيهم .

72 ـ التكليل : نضد اللحم بعضها على بعض أي يكللون الجفان (الصحون) باللحم وأصل معنى كلل ألبسه الإكليل وهو عصابة مزينة بالجواهر ، وأما ما كلل الجفنة باللحم فمجاز . تناوحت : قابل بعضها بعضاً وذلك في الشتاء ! وشبه الجفان بالخلج لسعتها . تمد : يزاد فيها ، الشوارع : المهيئات والمعنى يطعمون الطعام في الشتاء ووقت الجهد .

73 ـ ويروى (كنا إذا التقت المجامع) ويروى المحافل ، قال ابن كيسان : (إنا) أبلغ في المدح من كنا يعني أن كنا إنما تدل على ما مضى فقط فلهذا صار (إنا) أمدح ، وجاز كنا ؛ لأنه إذا أخبر عما مضى فليس فيه دليل على أنه نفى غيره وأيضاً فإن كنا يجوز أن تؤدي عن معنى : ما زال ، قال تعالى : ﴿ وكان الله غفوراً رحيماً ﴾ [النساء : 96/4] . اللزاز : الذي يلزم الشيء ويعتمد عليه فيه ومنه سميت الخشبة التي يشد بها الباب لزازاً وهي المترس ولز فلان بفلان إذا لزمه . والجشام المتكلف للأمور القائم بها . ومعنى البيت : أنه إذا اجتمع الناس للفخار أو لعظيم من الأمر كان الذي يقوم بذلك ويحكمه منهم .

74 ـ مقسم : يقسم بالعدل . المغذمر : الذي يضرب بعض حقوق الناس ببعض فيأخذ من هذا ويعطي هذا أو هو الذي لا يعصى ولا يرد ، قوله والهضام الذي ينقص قوماً ويعطي قوماً بتدبير ، وقد وثق به في ذلك ، وأصله الهَضْم بالكسر يقال : اهضِم له من حقك ، أي اكسره له ، ومن ثم قيل رجل هضوم الشتاء أي يكسر ماله في الشتاء ، ومنه هضيم الحشا وفي الأرض هضوم أي مطمأنات .

75 ـ يقول : هؤلاء الذين ذكرت من معشر هذه العادة فيهم سنة ولكل قوم سنة ، معناه سن لهم آباؤهم سنة وعلموهم مثال السنة والإمام : المثال أو القدوة والسنة الطريق والأمر الواضح ، أي ورثنا هذه الأفعال عن آبائنا ولم يزل هذا الشرف فينا متقدماً .

76 ـ السن : الأسنة . اللام : مفردها لأمة وهي الدرع .

77 ـ لا يطبعون : أي لا تدنس أعراضهم ولا يبور فعالهم أي لا يهلك وبار الطعام : كسد والمعنى : أنا لا نميل مع هوانا وإن عقولنا تغلب هوانا .

78 ـ بنوا : يعني الأباء البيت كناية عن الشرف .. السمك : الارتفاع .

79 ـ أقنع : أرضى . الخلائق : الطبائع والأخلاق الحسنة . العلام : الله سبحانه .

80 ـ معشر : قوم لا يقلون عن العشرة . الحظ : الحصة والنصيب .

81 ـ أفظعت : حل بها أمر عظيم ، ومعناه أنهم السعاة في صلاح الحي من الديات وغيرها وهم فوارسها الذين يمنعونها وحكامها الذين يرجع إلى رأيهم ، ويقبل قولهم ولا يرد فيما أصدروه وأوردوه .

82 ـ أي هم بمنزلة الربيع في الخصب لمن جاورهم والمرملات اللواتي لا زاد لهن ، ولا مأوى ، قد مات أزواجهن ، قوله : إذا تطاول عامها : إذا توفي زوج المرأة أقامت عاماً ، ونزل بذلك قوله تعالى : ﴿ والَّذين يُتوفَّون منكم ويَذَرُونَ أزواجاً وصيَّةً لأزواجهم متاعاً إلى الحَولِ غيرَ إخراجٍ ﴾ [البقرة : 240/2] ثم نسخ هذا بقوله ﴿ والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً ﴾ [البقرة : 234/2] .

83 ـ وهم العشيرة فيه مدح كما تقول : هو الرجل : أي هو الرجل الكامل ، ومعناه : هم العشيرة التي لا يقدر حاسد أن يبطئ الناس عنهم بسوء ، ولا يقدر لائمهم على لومهم من كرمهم ، ويروى : إن تُنَبِّطَ حاسدٌ ، أي استخرج أخبارهم ليجد فيها عيباً ..

5 ـ عنترة العبسي

عني الشارع الثقافي بعنترة شاعراً وإنساناً منذ سطوع نجمه في الجاهلية وحتى يومنا هـذا ، وهـو عنترة بن عمرو بن شـداد بن عمرو بن قراد وصـولاً إلى عبس بن بغيض ، وقيل : إن شداد هو جده أبو أبيه ، وقيل : إن شـداداً عمـه ، وكان عنترة نشـأ في حجره فنسب إليه دون أبيـه (الشعر والشعراء 153/1) . ولـه لقب (عنترة الفلحـاء) وذلـك لتشقق شفتيه !

وأمه أمة غنمها أبو عنترة في واحدة من غزواته ، حبشية يقال لهـا : زبيبـة . وكان لها ولد عبيد من غير شداد فكانوا إخوة عنترة لأمه ، وهو يحبهم ويحنو عليهم .

وذكر أبو عمرو الشيبـاني أن عنترة كان شريفـاً في نفسـه ، لا يكـذب ، ولا يخون ، ولا يغدر .. وكان عنترة قبل أن يدّعيه أبوه حرشت عليـه امرأة أبيـه (سميـة) فنهرهـا عنترة وشتمهـا ، فشكت أمره إلى أبيـه (إنـه يراودني عن نفسي) فغضب أبـوه غضبـاً شديداً ، وقال لا جرم فهذه أخلاق عبيد السوء فضربه ضَرباً مبرحـاً بـالسوط والعصـا ، فلم يتأوه عنترة أو يطلب العفو .. فأراد أبوه أن يتخلص منه فشهر سيفه ليضربه بـه .. فوقعت عليه سميـة امرأة أبيـه وكفتـه عنـه بمـا يشبـه الاعتراف ببراءة عنترة ، ولمـا رأت ما نال عنترة بسبب كذبها وظلمها بكت عليـه ومسحت عرقـه ودمـه بمنـديلهـا .. فقـال عنترة :

أمِن سميـــة دمـع العين مـــذروف ... لـو أن ذا فيـك قبـل اليـوم معروف
تجللتني إذ أهـــوى العصـــــا قبلي ... كأنهـــا صنم يعتـــــاد معكـــوف

وأنشد النبي ﷺ قول عنترة :

ولقـد أبيت على الطـوى وأظلـه حتى أنـال بـه كريم المـأكل
وأغض طرفي مـا بـدت لي جـارتي حتى يـواري جـارتي مثـواهـا

فقال ﷺ : « ما وصف لي أعرابي في الجاهلية فأحببت أن أراه إلا عنترة » ا.هـ .

وشهرة عنترة الشجاع غلبت كثيراً من صفاته الأخرى ، فعنترة إنسان رقيق الطبع طموح ، وذو حساسية عالية ، وعنترة ذو الأخلاق العـاليـة ، والشمائل السـاميـة ، وثمة عنترة الشـاعر المبـدع المبتكر !! لكن لشجـاعتـه مـذاقـاً مختلفـاً .. حتى بـات بطـلاً أسطورياً ، « قيل لعنترة أنت أشجع العرب وأشدها قال لا ، قيل فبماذا شاع لك هذا في الناس ؟ قال كنت أقدم إذا رأيت الإقـدام عزمـاً ، وأحجم إذا رأيت الإحجـام حزمـاً ، ولا أدخل موضعاً إلا إن أرى لي منـه مخرجـاً ، وكنتُ أعتمـد الضعيف الجبـان فـأضربـه الضربة الهائلة التي يطير لها قلب الشجاع ، فأثني عليه فأقتله » .

وكان عمرو بن معد يكرب يقول : ما أبالي من لقيت من فرسان العرب ما لم يلقني حراها وهجيناها يعني بالحرين عامر بن الطفيل وعتبة بن الحـارث وبـالعبـدين عنترة والسُّليك بن السلكة . ا.هـ .

وقـال ابن الكلبي : عنترة أحـد أغربـة العرب ، وهم ثـلاثـة عنترة وأمـه زبيبـة ، وخفاف بن عمير الشريدي وأمه ندبة ، والسليك بن عمير السّعدي وأمه السلكة وإليهن ينسبون ، وفي ذلك يقول عنترة :

إني امرؤ من خير عبس منصبـاً شطري وأحمي سـائري بـالمنصـل
وإذا الكتيبـة أحجمت وتـلاحظت ألفيت خيراً من معم مخـول

ويعلل الأصبهاني (الأغاني 143/7) ذلك على هذا النحو : يقول إن أبي من أكرم عبس وهو شطري ، والشطر الآخر ينوب عن كرم أمي فيه ضربي بالسيف ، فـأنـا خير من قومي ممن عمه وخالـه منهم وهو لا يغني غنـائي ... وهـذه الأبيـات قـالهـا في حرب داحس والغبراء . ا.هـ .

وقد شغف القصاص بسيرة عنترة لما تثيره من الأخيلة التي تستحيل مغامرات ومفاجآت ، يقول جرجي زيدان (تاريخ آداب اللغة العربية 113/1) : « وكان من عادة المسلمين في صدر الإسلام أن يستنهضوا همم الجند للحرب بتلاوة أخبار الشجعان وفرسانهم الجاهليين ، وقد رأيناهم يفعلون ذلك في القرن الأول للهجرة في زمن الحجاج سنة (77 هـ) في الواقعة التي قتل فيها شبيب عتاب بن ورقاء ، ذكر ابن الأثير أن عتاباً سار في أصحابه قبل المعركة يحرضهم على القتال ، ويقصّ عليهم ، ثم قال : أين القصاص ؟ فلم يجبه أحد ! فقال أين من يروي شعر عنترة ؟ فلم يجبه أحد » ويضيف زيدان إلى ذلك أخباراً أخرى تنفعنا في أن سيرة عنترة كانت مركز اهتمام الناس والقادة معاً ...

وقد جاء في سبب جمع سيرة عنترة وتدوينها أن رجلاً اسمه الشيخ يوسف بن إسماعيل كان يتصل بالعزيز بالله الفاطمي ، فاتفق أن حدثت ريبة في دار العزيز لهجت الناس بها في المنازل والأسواق فساء العزيز ذلك ، وأشار على الشيخ يوسف المذكور أن يطرف الناس بما عساه أن يشغلهم عن أهل بيته ... وكان الشيخ يوسف هذا واسع الرواية في أخبار العرب ، كثير النوادر والأحاديث ، وكان قد أخذ روايات شتى .. فأخذ يكتب قصة عنترة ويوزعها في الناس فأعجبوا بها وشغلوا بها عن سواها ، ومن تلطفه في الحيلة أنه قسمها إلى (72) كتاباً والتزم في آخر كل كتاب أن يقطع الكلام في حادث مهم يشتاق القارئ والسامع إلى الوقوف على تمامه ، وقد أثبت في هذا الكتاب ما ورد من أشعار العرب المذكورين فيها ، ولكن تداول النساخين الجهلاء للقصة أفسد روايتها . ا. هـ .

ولنتابع كتاباً تضمن سيرة عنترة يذكر حكاية غزو شداد وقومه لقبيلة جديلة واستحواذه على الغنائم واستئثاره بأمة سوداء !! (شداد بن قراد فارس جروة وهي فرسه ، كانت من أحسن خيول العرب ، حسده عليها الفرسان فسار هؤلاء الغزاة من أرض بني عبس التي تسمى الشربة القريبة من جبل العلم السعدي حتى جاوزوا أرض

بني عدنان إلى أرض بني قحطان ، ثم أشرفوا على جبلي أجا وسلمى ، وهناك رأوا قبيلة جليلة عندها أموال جزيلة ووجدوا لهم مضارب وخياماً ، وكأن مضاربهم بحر متلاطم من كثرة الغلمان والجواري الحسان والعبيد والولدان والخيل مختلفة الألوان ، فلما رأوا كثرة القوم ، لم يهجموا عليهم ، وارتدوا إلى مراعيهم فوجدوا ألف ناقة ترعى وفي تلك البطاح تسعى . وكان مع تلك الجماعة أمة سوداء ترعى الإبل في ذلك البر الفسيح ومعها غلامان يدوران حول الجمال إذا قعدت أمهما تستريح . وكانت تلك الجارية رقيقة الأكتاف كثيفة الأرداف مليحة الاعتدال ، كأنها غصن إذا تحرّك ومال ، فلما نظر بنو عبس إلى تلك النياق انطلقوا إليها كخيل السباق وساقوها أمامهم ومعها الأمة والولدان .. ولما ابتعدوا عن الديار ثار من خلفهم الغبار وأدركهم فرسان جديلة واشتبكوا معهم في معركة طويلة ، ولم يلبثوا أن أدركتهم الهزيمة ، ومضى بنو عبس بالغنيمة ، ولما أقبل المساء نزلوا على بعض الغدران طلباً للماء فنظر شداد إلى تلك الأمة فحلت في عينيه وأراد أن يبلغ منها أمراً فاستعصت عليه ، وقالت له : حاشى أن يأخذ مثلك امرأة شريفة بالسفاح ، فوضع يده في يدها وأشهد القوم على عقد النكاح ، وتنازل لرفاقه عن حقه في غنيمة بني جديلة ، حتى لا ينازعوه تلك الأمة الجميلة)[17] .

ويضيف الشيخ يوسف بن إسماعيل صوراً كثيرة عن نشأة عنترة وما دار حوله من المبالغات (فلما سمع به الملك زهير بن جذيمة وكان كاملاً في شجاعته وكرمه أمر بإحضار الغلام ، فلما جاؤوه به رآه من أعجب الغلمان ، وكان عمره لا يزيد عن أربعة أعوام ، فخاف الملك أن يسطو عليه وأرعبته نظرة عينيه ، فرمى له قطعة من اللحم ، فسبقه إليها كلب خطفها ، وإذا بالغلام يلحق به ، ويمسك بعرقوبه ، ويحاول استخلاص اللحمة من فمه فلما استعصى عليه ، أمسك الكلب ومزق شدقيه إلى نصف لوحيه وأخذ قطعة اللحم منه ووضعها في فمه ورجع يطلب غيرها فتعجب الملك زهير ،

---

(17) يوسف بن إسماعيل ت635 (من أدباء الدولة الفاطمية) ، عنترة بن شداد 8/1 ، الطبعة الثانية تموز (يوليو) 1981 ، طبعة دار الكتب الشعبية بيروت .

وبهت الحاضرون ، وقال الملك : والله ما هذا إلا أشجع الشجعان وينبغي أن يسمى هذا الغلام عنترة الفرسان)[18] .

عنترة الشاعر :

عنترة شاعر مهم ، له أسلوبه المتميّز بصدق النبرة وجمال الصورة وبساطة العبارة وعمقها ، وذكاء الإشارة وحذقها ، ويكفي أنه تحدّى الشعراء بمعلقته فقال في استهلالها ما يوحي أن الشعراء لم يتركوا فتقاً لمن جاء بعدهم لكي يرتقه ، أي إنهم قالوا كل شيء فليس ثمة زيادة لمستزيد ، وأراد عنترة بذلك أن يقول : ورغم ذلك فأنا الوحيد القادر على الإتيان بالجديد الجميل ... ومعلقته واحدة من أجمل المعلقات إن لم تكن أجملها طراً ، فهي تبدأ بتحدي الشعراء وتثني بغزل عفيف صادق موجه إلى حبيبة قلبه وابنة عمه (عبلة) التي أعجبت بالإنسان فيه ، ورأت الجمال الكامن في نفسه الأبية ، وفي المعلقة لوحات فنية لا يستطيعها شاعر سوى عنترة ومنها وصف فرسه وسط الدماء ، ومنها أيضاً وصف ثغر عبلة الذي شبهه بروضة غناء لم تطأها قدم وأشكل على الدارسين أنه جعلها كثيرة الذباب ، فقالوا : كيف لعاشق أن يجعل شبيه ثغر الحبيبة روضة كثيرة الذباب ، وتوهموا أن عنترة بسبب جفاء طبعه لم يجد في الذباب ما يشين لأنه اعتاده وبات شيئاً من مباهجه (كذا) والذي نراه أن عنترة لم يكن قليل ذوق حيّن جعل الذباب غروراً هزجاً في الروضة التي أشبهت ثغر عبلة فلو استثمرنا نظرية بافلوف (الاقتران الشرطي) لوجدنا أن الأمر على غير ما توهمه بعض الدارسين . فالذباب الذي اقترن في ذاكرتنا الجمعية الآن بالجراثيم والمزابل والجيف ، لم يكن كذلك في العصر الجاهلي ، لأن الذباب لا يرى زمنذاك في الصيف المحرق الذي تنيق فيه الإبل والناس ، ولا يرى أيضاً في زمهرير الشتاء الذي تتثلج فيه الإبل وتموت أحياناً .. وكان الذباب حاضراً في الربيع مقترناً بالدفء والخصب وعلاقات الحب بين الفتيان حين تقيم القبائل جنب الغدران والكلأ .. فالذباب في الذهن الجمعي الجاهلي لم يكن مقترناً بالقذارة

(18) المصدر نفسه 9/1 .

والشر .. وإنما بالغضارة والخير .. وهذا تأويل نقترحه لهذه الإشكالية ، ولا ندّعي أن تأويلنا أصاب كبد الحقيقة .

وثمة في المعلقة أبيات يضع فيها عنترة أصابعنا على مواضع جروحه وهمومه ويعترف فيها أنه مريض نفسياً بسبب قسوة المجتمع عليه .

ولقد شفى نفسي وأبرأ سقمها قيل الفوارس ويك عنترة أقدم

كما أنه خائف تماماً من أن يموت قبل أن يؤدب ابني ضمضم هذين الجبانين اللذين أساءا إلى سمعته وتوعداه وهدداه وطعنا في شرفه ومروءته .. تماماً كما فعل أبوهما :

ولقد خشيت بأن أموت ولم تدر للحرب دائرة على ابني ضمضم
الشاتمي عرضي ولم أشتمها والناذرين إذا لم ألقهما دمي
إن يفعلا فلقد تركت أباهما جزر السباع وكل نسر قشعم

وثمة اعتراف جميل يشيعه عنترة في معلقته ، وهو يخاطب الحبيبة .. فهو يدعوها أن تشكره وهذه دعوة لم تصدر من شاعر سوى عنترة ولكنه يريد منها أن تشكره بما علمت فقط ، فهو إنسان متسامح يحب العفو ، ولكن الويل ثم الويل لمن يظلمه:

+هلا سألت الخيل يا ابنة مالك إن كنت جاهلة بما لم تعلمي
يخبرك من شهد الوقيعة أنني أغشى الوغى وأعفُّ عند المغنم
+أثني علي بما علمت فإنني سمح مخالقتي إذا لم أظلم
فإذا ظلمت فإن ظلمي باسل مر مذاقته كطعم العلقم

ودعوة عنترة لحبيبته إلى أن تشكره تحمل من الصدق الشيء الكثير ، فكل عاشق ميال في حقيقته إلى أن تعجب به حبيبته وتشكر خصاله بل إن الشكر عادة عربية أصيلة تنم عن الوفاء ، فالجنة لا يدخلها إلا الشكور ، ولئن شكرتم لأزيدنكم ، وبالشكر تدوم النعم ، فالشكر تقليدي عربي عرفه ذوو المروءة من عرب الجاهلية وكرّسه الدين الإسلامي .

☆ أجواء المعلقة :

يحكى أن عنترة ، الذي اعترف به أبوه بعد أن بانت مخايل نجابته وتجلت آيات فروسيته وإقدامه ، كان محسوداً من قبل سادات قبيلته أولاً ، فهم يرون فيه عبداً أسود تفوّق عليهم ، وبات ذكره على كل لسان ، فبعد أن كان أبوه منكراً أبوته له وبعولته لأمه ، اعترف به وبأمه على أثر حادثة مشهورة ذكرها الأصبهاني : « وكان سبب ادعاء أبي عنترة إياه أن بعض أحياء العرب أغاروا على بني عبس فأصابوا منهم واستاقوا إبلاً فتبعهم العبسيون فلحقوهم فقاتلوهم عما معهم وعنترة يومئذ فيهم ، فقال له أبوه : كر يا عنترة ، فقال عنترة : العبد لا يحسن الكر إنما يحسن الحلاب والصّر . فقال له أبوه : كر وأنت حر ، فكرّ عنترة وقاتل قتالاً حسناً فادعاه أبوه بعد ذلك وألحق به نسبه 143/7 » .

وقد كثر مبغضوه كما قدّمنا وكانوا يستفزّونه ، فشتمه رجل عبسي وعيّره بسواده وبأمه وإخوته ، فشتمه عنترة وفخر عليه وقال له : « إني لأحضر البأس وأوفي المغنم وأعف عند المسألة وأجود بما ملكت يدي وأفصل الخطة الصماء » . فقال له العبسي إمعاناً في استفزازه : « أنا أشعر منك يا عنترة » . فقال له عنترة وقد استشاط غضباً : « ستعلم غداً من الأشعر منا وكتب معلقته »!.

☆ معلقة (هل غادر الشعراء) . البحر : الكامل . القافية : م عدد الأبيات ... التبريزي 81 . الشنقيطي 84 الديوان تحقيق سيف الدين الكاتب وأحمد عصام الكاتب 86 .

1- هل غادر الشعراء من متردّم ... أم هل عرفت الدار بعد توهّم
2- أعياك رسم الدار لم يتكلم ... حتى تكلم كالأصم الأعجم
3- يا دار عبلة بالجواء تكلمي ... وعمي صباحاً دارَ عبلة واسلمي
4- دار لآنسة غضيض طرفها ... طوع العناق لذيذة المبتسم
5- فوقفت فيها ناقتي وكأنها ... فدن لأقضي حاجة المتلوّم
6- ولقد حبست بها طويلاً ناقتي ... أشكو إلى سفع رواكد جثم
7- وتحل عبلة بالجواء وأهلنا ... بالحزن فالصمان فالمتثلم
8- حييت من طلل تقادم عهده ... أقوى وأقفر بعد أم الهيثم
9- حلت بأرض الزائرين فأصبحت ... عسراً عليّ طلابك ابنة مخرم
10- علقتها عرضاً وأقتل قومها ... زعماً لعمرُ أبيك ليس بمزعم
11- ولقد نزلت فلا تظني غيره ... مني بمنزلة المحب المكرم
12- كيف المزار وقد تربّع أهلها ... بعنيزتين وأهلنا بالغيلم
13- إن كنت أزمعت الفراق فإنما ... زمّت ركابكم بليل مظلم
14- ما راعني إلا حمولة أهلها ... وسط الديار تسف حبّ الخمخم
15- فيها اثنتان وأربعون حلوبة ... سوداً كخافية الغراب الأسحم
16- إذ تستبيك بذي غروب واضح ... عذْب مقبله لذيذ المطعم
17- وكأن فأرة تاجر بقسيمة ... سبقت عوارضها إليك من الفم
18- أو روضة أنفاً تضمّن نبتها ... غيث قليل الدمن ليس بمعلم
19- جادت عليه كل بكر حرّة ... فتركن كلّ قرارة كالدرهم
20- سحاً وتسكاباً فكل عشية ... يجري عليها الماءُ لم يتصرّم

21- وخلا الذباب بها فليس ببارح ... غِرداً كفعل الشارب المترنّم

22- هزجا يحك ذراعه بذراعه ... قدح المكب على الزناد الأجذم

23- تمسي وتصبح فوق ظهر حشية ... وأبيت فوق سراة أدهم ملجم

24- وحشيتي سرج على عبل الشوى ... نهْد مراكله نبيل المحزم

25- هل تبلغني دارها شدنيةٌ ... لعنتْ بمحروم الشراب مُصرَّم

26- خطّارة غبَّ السُرى زيافة ... تطسُ الأكام بوخذ خقٍّ ميثم

27- فكأنما أقصى الأكام عشية ... بقريب بين المنسمين مصلم

28- تأوي له قلص النعام كما أوت ... حزَقٌ يمانيةٌ لأعجم طِمطم

29- يتبعن قلة رأسه وكأنه ... حرج على نعش لهن مخيّم

30- صغل يعود بذي العشيرة بيضه ... كالعبد ذي الفرو الطويل الأصلم

31- شربت بماء الدحرضين فأصبحت ... زوراءَ تنفرُ عن حياضِ الديلم

32- وكأنما تنأى بجانب دفّها الـ ... ـوحشي من هزج العشيَ مؤوّم

33- هزٌّ جنيبٍ كلما عطفت له ... غضبى اتقاها باليدين وبالفم

34- أبقى لها طولُ السفار مقرمداً ... سنداً ومثْلَ دعائم المتخيّم

35- بركتْ على جنب الرداع كأنما ... بركت على قصب أجشّ مهضّم

36- وكأنّ رُبّا أو كحيلاً معقداً ... حشّ الوقودُ به جوانب قمقم

37- ينباعُ من ذِفري غضوب جسرةٍ ... زيافة مثل الفنيق المكدم

38- إن تغدفي دوني القناعَ فإنني ... طَبٌّ بأخذِ الفارس المستلئم

39- أثني عليّ بما علمتِ فإنني ... سمْحٌ مخالطتي إذا لم أظلم

40- فإذا ظلمتُ فإن ظلمي باسل ... مرٌّ مذاقته كطعم العلقم

41- ولقد شربت من المدامة بعدما ... ركد الهواجرُ بالمشوف المعلم

42- بزجاجةٍ صفراء ذاتِ أسرّة ... قُرنت بأزهر في الشمال مفدّم

43- فإذا شربت فإنني مستهلك ... مالي وعرضي وافرٌ لم يُكلم

44- وإذا صحوتُ فما أقصّر عن ندى ... وكما علمتِ شمائلي وتكرّمي
45- وحليل غانية تركتُ مجدّلاً ... تمكو فريصته كشدق الأعلم
46- سبقت يداي له بعاجل طعنة ... ورشاش نافذة كلونِ العندم
47- هلا سألتِ الخيل يا ابنة مالك ... إن كنتِ جاهلةً بما لم تعلمي
48- إذا لا أزالُ على رحالةِ سابحٍ ... نهْدٍ تعاوره الكماة مكلم
49- طوراً يجرّد للطعان وتارة ... يأوي إلى حصد القسيّ عَرَمرم
50- يخبرْكِ من شهد الوقيعة أنني ... أغشى الوغى وأعفّ عند المغنم
51- فأرى مغانم لوَ أشاءُ حويتها ... فيصدني عنها الحيا وتكرّمي
52- ومدجج كره الكماة نزاله ... لا ممعنٍ هرباً ولا مستسلم
53- جادت له كفي بعاجل طعنةٍ ... بمثقفٍ صدق الكعوب مقوّم
54- برحيبةِ الفرغين يهدي جرسُها ... بالليل مُعتَسُّ الذئاب الضُّرّم
55- فشككت بالرمحِ الأصمّ ثيابه ... ليس الكريمُ على القنا بمحرّم
56- فتركته جزر السباع ينشنه ... ما بين قلة رأسه والمعصم
57- ومشكِ سابغة هتكت فروجها ... بالسيفِ عن حامي الحقيقة معلم
58- زبدٍ يداه بالقداح إذا شتا ... هتاكِ غاياتِ التجار ملوّم
59- لما رآني قد نزلت أريده ... أبدى نواجذه لغير تبسّم
60- فطعنته بالرمح ثم علوته ... بمهندٍ صافي الحديدة مخذم
61- يا شاة ما قنص لمن حلت له ... حرمت عليّ وليتها لم تحرم
62- فبعثت جاريتي وقلت لها اذهبي ... فتجسسي أخبارها لي واعلمي
63- قالت رأيتُ من الأعادي غِرةً ... والشاة ممكنة لمن هو مُرتم
64- وكأنما التفتت بجيد جداية ... رشأ من الغزلان حُرّ أرثم
65- نبئتُ عمراً غير شاكر نعمتي ... والكفر مخبثة لنفس المنعم
66- ولقد حفظتُ وصاة عمي بالضحى ... إذ تقلص الشفتان عن وضح الفم

67- في حومة الحرب التي لا تشتكي غمراتها الأبطال غير تغمغم
68- إذ يتقون بي الأسنة لم أخم عنها ولكني تضايق مُقدمي
69- لما رأيتُ القومَ أقبل جمعهم يتذامرون كررتُ غير مذمم
70- يدعون عنتر والرماحُ كأنها أشطانَ بئر في لبان الأدهم
71- ما زلت أرميهم بثغرة نحره ولبانه حتى تسربل بالدم
72- فازورّ من وقع القنا بلبانه وشكى إليّ بعبرة وتحمحم
73- لو كان يدري ما المحاورة اشتكى ولكان لو علم الكلام مكلمي
74- ولقد شفى نفسي وأبرأ سقمها قيل الفوارس ويك عنتر أقدم
75- والخيل تقتحم الغبار عوابساً من بين شيظمة وأجرد شيظم
76- إني عداني أن أزورك فاعلمي ما قد علمتِ وبعض ما لم تعلمي
77- حالت رماح بني بغيض دونكم وزوت جواني الحرب من لم يجرم
78- ولقد خشيت بأن أموت ولم تدر للحرب دائرة على ابني ضمضم
79- الشاتمي عرضي ولم أشتمها والناذرين إذا لم ألقهما دمى
80- إن يفعلا فلقد تركت أباهما جزر السباع وكل نسر قشعم

معاني الكلمات :

1 ـ متردّم : ردمت الثوب أصلحته ، والمعنى : هل أبقى الشعراء معنى لم يطرقوه أو هل يتهيأ لشاعر لاحق أن يأتي بمعنى لم يسبقه إليه شاعر سابق ؟ ثم قال عنترة : (أم هل) وهما أداتا استفهام فكيف جمع بينهما ؟ الجواب لأن هل ضعيفة في حروف الاستفهام فأدخلت عليها أم وروي (من مترنم) والترنم صوت خفي يرجعه الإنسان بينه وبين نفسه وروي (أم هل عرفت الربع) ، والربع المنزل في الربيع والدار من التدوير ، ولكثرة الاستعمال أطلقت الدار على البيت المدور وغير المدوّر ! والتوهّم هنا الإنكار والظن والإعياء .

2 ـ أعياك : أتعبك وأيأسك رسم الدار : بقايا الدار وآثاره . الأصم : الذي لا يسمع . الأعجم : الأخرس أو الذي لا يتكلم العربية .

3 ـ الجواء : هو البطن المنخفض الواسع من الأرض وقيل هو جواء عدنه (موضع) عمي صباحاً أو انعمي : تحية أهل الجاهلية فيما بينهم .

4 ـ الآنسة : العذراء والفتاة التي تؤنس من حولها . غضيض طرفها : كناية عن الحياء تخفض نظرها ولا تمعن النظر في عيون الناس وذلك أدعى للأنوثة والجمال .. المبتسم : الثغر أو الابتسامة .

5 ـ وقفت لغة في أوقفت . الغدن : القصر . المتلوّم : المتمكث والمتردد وقد عنى نفسه .

6 ـ جست : منعتها عن الحركة وأبركتها . السفع : السفعة السوداء ويريد هنا أحجار الموقد وهي الأثافي . رواكد مفردها راكدة وهي الثابتة التي لا تقوى على الحركة . جثم مفردها جاثمة : وهي المستقره أو اللصيقة بالأرض وفي التنزيل العزيز ﴿ وَأَصْبَحُوا في ديارهم جَاثِمِيْنَ ﴾ [الأعراف : ٧٨/٧] .

7 ـ تحل : تنزل أو تسكن . الجواء : موضع في نجد . الحزب ديار لبني يربوع والصمان لبني تميم ، والمتثلم مكان ، والصمان والصوان في الأصل الحجارة والصوان : يستعمل لحجارة النار خاصة ، وكانت العرب تذبح به .

8 ـ حييت من التحية ! تقادم عهده . أصبح قديماً . أقوى : صار خالياً وقيل : الإقواء نفاد الزاد . وأقفر معناه مثل معنى أقوى إلا أن العرب تكرر إذا اختلف اللفظان وإن كان المعنى واحداً . أم الهيثم : كناية عن عبلة ، والشعراء يسمّون الحبيبات بأسمائهن أو بالأذواء فقد ورد في معلقة امرئ القيس أم الرباب ، وفي معلقة زهير أم أوفى ، ومعلقة عنترة هذه (أم الهيثم) ، وهي حالة يراد بها التعلل أو التحبب أو تجنبّ الريبة .

9 ـ الزائرين : مفردها زائر وهو العدو الشبيه بالأسد فكأنه يزأر ؛ فإن قيل كيف قال الشاعر حلت بأرض الزائرين فذكرها غائبة ، ثم قال : طلابك ، فجعلها مخاطبة ؟ فالجواب إن الأسلوب العربي يرجع من الغيبة إلى الخطاب كما في هذا البيت . الطلاب : المطلب والمقصود اللقاء (ابنة مخرم) كناية عن الحبيبة أيضاً !!.

10 ـ علقتها : أحببتها . عرضاً : جاءني حبها مصادفة ولم أطلبه !! قال الأعشى :

علقتهـــا عرضـــاً وعلقت رجـلاً غيري وعلـق أخرى غيرهـا الرجـل

الزعم : الكلام فيه منازعة أو ادعاء غير قار ، والمعنى أنني أحبها ، ولكنني أقتل فرسان قومها فكأني أزعم الحب أي أدعيه ولكنه يستدرك بشكل جميل (زعماً لعمر أبيك ليس بمزعم) .

11 ـ المعنى : لقد نزلتِ ياعبلة مني منزلة المحبوب المكرّم فلاتظني غير هذا .

12 ـ والمعنى كيف أزورها وقد بعدت عني بعد قربها . تربع : نزل القوم في الربيع . عنيزتان والغيلم : موضعان .

13 ـ أزمعت : قررت . زمت ركابكم أي شدت إبلكم بالأزمة والركاب لا يستعمل إلا في الإبل والركب الجماعة الذين يركبون الإبل والمعنى أن هذا أمر تدبرتموه في الليل وهيأتم الجمال في الظلام فكأنكم تريدون التستر ومفاجأة الناس بالسفر ، وكانت العرب تفعل ذلك درأً للخطر المحتمل .. وآية ذلك لم يكتف بالليل ، وإنما جعله ليلاً معتماً بلاقمر ولاأضواء .

14 ـ راعني : أفزعني . الحولة : الإبل التي يحمل عليها . تسفّ تأكل الخمخم : بقلة لها حب أسود إذا أكلته الغنم قلت ألبانها وتغيّرت ، وإنما يصف أنها تأكل حب الخمخم لأنها لم تجد غيره ومعنى البيت : أن عنترة فزع وهو يرى الإبل تأكل حب الخمخم الذي لم تجده غيره ، وهذه دلالة على انقضاء الربيع وضرورة المغادرة فقد يبس البقل وشح الكلأ .

15 ـ الحلوبة : المحلوبة . الخوافي : أواخر ريش الجناح مما يلي الظهر . الأسحم : الأسود .

16 ـ تستبيك : تذهب بعقلك . غرب كل شيء حده والمراد بثغر ذي غروب . وغروب الأسنان حدّها . الواضح : الأبيض ويريد بالعذب : أن رائحته طيبة .

17 ـ الفأرة : المسك . التاجر : العطار . العوارض : منابت الأضراس واحدها عارض . القسيمة : الجونة وقيل سوق المسك أو الناقة التي تحمل المسك وهناك تأويلات أخرى للقسيمة: أ ـ امرأة جميلة . ب ـ الساعة التي تقسم بين الليل والنهار ففي ذلك الوقت تتغير الأفواه .

18 ـ معناه : كأن رائحتها عطر المسك ، أو أشذاء روضة (الروضة الحديقة الغناء المنعمة بالماء الوفير والنبات النضير) . الأنف : التام من كل شيء وقيل : هو أول كل شيء . الغيث : المطر . المعلم والعلم والعلامة واحد في الدلالة . والمعنى : أن هذه الروضة ليست في مكان قريب أو معروف حتى يقصدها الناس للرعي والروضة البعيدة عن الناس كناية لطيفة عن الطهر والبكارة والمنعة .

19 ـ البكر : السحابة أول الربيع التي لم تمطر . الحرة : البيضاء . القرارة : الموضع المطمئن من الأرض يجتمع فيه السيل ، والقرارة دخيلة الشيء ، وقيل شكله فكأن القرارة مستقر السيل . وإنما شبه القرارة في بريقها وهي مفعمة بالماء بالدرهم ؛ لأن الدرهم الجاهلي كان يصنع من الفضة الخالصة النقية فبياضه واضح يخلب النظر !!

20 ـ السحّ : الصب . التسكاب : الصب أيضاً . لم يتصرّم : لم ينقطع ولم ينفد . وقال ابن الأعرابي : خص مطر العشي لأن عنترة أراد الصيف وأكثر ما يكون مطره بالعشيّ .

21 ـ الغرد : الطرب . المترنّم : الذي يرجع الصوت بينه وبين نفسه . ليس ببارج : ليس بزائل . الذباب مفرد وجمعه أذِبّة في أقل العدد وذُبّان في الكثرة . وقال البغدادي في خزانة الأدب : « هذا من عجيب التشبيه ، ويقال : إنه لم يقل أحد في معناه مثله وقد عدّه أرباب الأدب من التشبيهات العقم ، وهي التي لم يسبق إليها ولا يقدر أحد عليها » . فعل الشارب : أي إنه يحاكي تصرّفات المخمور الذي لعبت الخمرة في رأسه !

22 ـ الهزج : الخفة والفرح ، والهزج صوت الفرح أيضاً ، وتروى بفتح الزاي وكسرها وكسر الزاي أجود ويريد (قدح المكب الأجذم على الزناد) فقدّم وأخرّ . الأجذم : المقطوع اليد وزعم أن الأجذم هو الزناد القصير فهو أشد لانكبابه عليه ، والمعنى أن عنترة شبه الذباب إذا سنّ ذراعه بالأخرى برجل أجذم قاعد يقدح ناراً بذراعيه .

23 ـ هنا مقارنة بين صباح عبلة ومسائها وبين صباح عنترة ومسائه ، فهي منعّمة تحتها الفراش المحشو وسمي القطن أو الصوف أو الريش حشو أما عنترة ففراشه (المجازي) ظهر حصانه .

24 ـ وحشيتي : فراشي . عبل الشوى : فرس غليظ القوام والعظام كثير العصب . الشوى : القوائم هنا ، وفي غير هذا الموضع مفردتها شواة وهي جلدة الرأس . النهد : القوي الصلب الضخم المنتفخ الجنبين . المراكل مفردتها مركل، وهو حيث تبلغ رجل الرجل من الدابة والمحزم موضع الحزام .

25 ـ شدنية : ناقة منسوبة إلى موضع (أوحى) باليمن ! وزعم أن شدن جمل عربي أصيل وقديم تنسب إليه الإبل الأصيلة . لعنت : يدعو عليها بانقطاع لبنها أي أن يحرم ضرعها اللبن فيكون أقوى لها . محروم الشراب : الشراب الممنوع . المصرّم : الذي أصاب أخلافه شيء فقطعه من صرار ، والأخلاف مفردها خلف بالكسر وهو حلمة الضرع ، وقيل هو الضرع نفسه ، والصرار خيط يشد فوق خلف الناقة لئلا يرضعها ولدها .

26 ـ خطارة : تخطر بذنبها وتحركه وترفعه وتضرب به حاذيها . والحاذيان حافتا الإليتين وإنما تفعل ذلك لنشاطها ، غب السرى : أي بعد السرى : زيافة : تزيف في سيرها أي تسرع . الوطس : الضرب الشديد والوطس وطء الخيل ثم استعمل في الإبل . الخف الميثم : الشديد الوطء . الإكام : الهضاب . وخد : وخد البعير ، أسرع ووسع الخطو ورمى بقوائمه كمشي النعام .

27 ـ أقِصّ : أكسِرُ ! والمعنى كأنما أكسر الآكام (التلال) بظليم قريب بين المنسمين يقال ليس بأفرق . والصلم : قطع كل شيء من أصله والظليم مصلم لأنه ليس له إذن ظاهرة ومنساه ظفراه المقدمان في خفه فإذا كان بعيد ما بينهما قيل منسم أفرق وإذا لم يكن أفرق كان أصلب لخفه .

28 ـ تأوي : تأتي وتلوذ . قلص : أولاد النعام . الحزق : الجماعات . أعجم طمطم وطمطماني : الذي لا يفهم الكلام ! أي تأوي إليه صغار النعام حين ينقنق لهن كما أوت فرق الإبل لا يفهم الكلام ولا يحسنه .

29 ـ يتبعن : النعام يتبع الظليم ، قلة رأسه : أعلاه . الحرج : مركب من مراكب النساء ومعناه الأول هو النعش ثم صاروا يشبهون به المركب . مخيم : يظلّ مثل الخيمة أي إن صغار النعام تنظر إلى أعلى رأس هذا الظليم فتتبعه .

30 ـ الصعل : الصغير الرأس الدقيق العنق . يعود : يأتي إلى بيضه . ذو العشيرة : اسم موضع . الأصلم : المقطوع الأذنين شبّه الظليم براع أسود يلبس رداء من الفراء .

31 ـ الدحرضان : اسم لموضعين هما دحرض ووسيع فغلب أحدهما على الآخر . الزوراء : المائلة المعوجّة . تنفر : تأبى وترفض . الديلم : الأعداء والظلمة والداهية وقرى النمل والمعنى أن الناقة شربت مياهاً عربية وتجانفت عن شرب مياه غير العرب . وبعض الدارسين تلبثوا كثيراً عند هذا البيت واعتدوه وعياً عروبياً مبكراً .

32 ـ ينأى : يبعد . الدف : الجنب . الوحشي : الجانب الأيمن من البهائم وإنما قيل (وحشي) لأن الراكب لا يركب من جهته والحالب لا يحلب من جهته !! هزج العشي : هر يموء بالعشيات . المؤوم : الكبير الرأس المشوّه الخلق . الهزج تدارك الصوت والمعنى أن الناقة مستفزة نشطة كأنها تخشى هراً وضع إلى يمينها والهرّ يكون أكثر صياحاً في العشيرة فهي تخاف أن يخدشها . وقال صاحب اللسان : إن هزج العشي هو الذباب الذي يترنّم في طيرانه والناقة تخشى لسع الذباب ، وابن الأعرابي زعم أن الهزج العواء والعشي الليل ، وزعم غيره أن هزج العشيّ هو السوط بيمين الشاعر والناقة تميل على ميامنه مخافة السوط !!

33 ـ جنيب : مصاب في جنبه . عطفت له : انحنت نحوه . اتقاها : دفعها .

34 ـ المقرمد : المبني من القرمد وهو الآجر والطابوق ، والمراد به سنام الناقة السند : العالي أو الوتد القوي الذي تنهض به الخيمة وسواها : المتخيم : صاحب الخيمة .

35 ـ بركت : البروك جلوس الناقة . رداع : اسم مكان . الأجش : ذو الصوت الغليظ فيه بحة يخرج من الحياشيم . المهظم : المخرّق أو المكسّر والمعنى أنها بكرت فحنت فشبه صوت حنينها بصوت المزامير ! والقصب الأجش معروف أنه من قصب الزمر فمنه تصنع المزامير ولهذا قيل هو المخرّق .

36 ـ الرُّب : عصارة التمر المطبوخة وهو أيضاً : دخان الشحم الأسود يطلى به . القطران والقطران في معنى واحد ، والكحيل هو القطران الرديء يضرب إلى الحمرة ثم يسوّد إذا أُعقِد وتهنأ به الإبل من الجرب . والكحيل شبيه بالنفط ويسمى الخصخاض والمعقد الذي أوقد تحته حتى انعقد وغلظ . حشّ : اتقد . والقمقم : وعاء لتسخين الماء وسواه . الوقود : الحطب .

37 ـ ينباع : يلين ويتلوى . الذفريان : الحيدان الناتئان بين الأذن ومنتهى الشعر وأول ما يعرق من البعير الذفريان . الجسرة : الناقة الماضية والمجرّبة في السير والجسرة أيضاً الضخمة القوية . الزيافة : السريعة . الفنيق : الفحل . المكدم : الكدم العض . والمعنى أن هذا الطلاء الذي يشبه الدبس الأسود أو القطران يسيل ويتلوى على رقبة الناقة كتلوي الحية .

38 ـ الإغداف : إرخاء القناع على الوجه ، وترجيل الرأس بالدهن . القناع : مشتق من العلو . الطب : الحاذق . المستلئم : الذي يلبس اللامة وهي الدرع والمعنى إن زاغت عينك عني فأغدفت دوني القناع فإني حاذق بقتل الفرسان وأسر الأقران .

39 ـ وهذا البيت تعرّب محلل النص حد الالتصاق أو النفاذ من مكابدات عنترة فهو يطلب إلى عبلة أن تتحدث عنه حديثاً حسناً بين صويحباتها والناس جميعاً وتذكر نعمه ومحاسنه ، فهو يأمرها بشكره وذكر مزاياه الحميدة ولكن بما علمت وليس الثناء الذي يتزيّد وينافق ومخالقني : امتحان أخلاقي بالصداقة أو العداوة ، وما زال أهل الموصل في العراق حتى اليوم يستعملون خالقني بمعنى خاصمني ، ورويت (مخالفتي) ، و (مخالطتي) والسمح . الصبور المتسامح والمعنى : في البيت هذا والذي سبقه إن تغدفي دوني القناع ثم قال : أثني عليّ بما علمت فإذا رآكِ الناس قد كرهتني وأغدفت دوني القناع ظنوا أنك تحتقرين عنترة وتستقلين شأنه والحقيقة التي بيننا غير ذلك وهنا يكون ثناؤك تبديداً لأوهامهم وتطييباً لخاطري ، وارسمي صورة لي أمام الناس أنني متسامح إلا في ظلمي .. فالظلم الحيف الوحيد الذي لن أتقبّله من أحد .. وليس عيباً أن يطلب العاشق من معشوقته أن تشكره ، فكل العشّاق راغبون في أن تكون منازلهم في قلوب الحبيبات بمستوى الثناء والمديح والعكس صحيح فالمعشوقات يتمنين أن يكن بمستوى يشكرن عليه ، والشكر سلوك

لا يستطيعه إلا الشريف في نفسه ، وقد كرّس الإسلام الشكر : لئن شكرتم لأزيدنكم وبالشكر تدوم النعم وإن الله يحب الشكور .

40 ـ باسل : كريه ومحرّم . العلقم : الحنظل .

41 ـ المدامة : الخمرة . ركد : سكن . المشوف : الدينار المجلو أو الدرهم المعلم : الذي فيه كتابة تصير علامة عليه . ركد الهواجر : وقوف الشمس في الهاجرة وقيام كل شخص على ظله .

42 ـ ذات أسرة : ذات خطوط . أزهر : إبريق من الفضة أو إبريق أبيض . المفدّم : المربوط الفم . والفدام قطعة قماش توضع على الفم والأنف مثل كمامة الطبيب الآن ... يرتديها العمال عهد ذاك الذين يقدّمون الشراب والطعام ، والفدام قماش يوضع على الإبريق . قال الأخفش بزجاجة صفراء صفة للزجاجة ظاهراً ، لأنها صفة الخمرة واقعاً .

43 ـ العرض : موضع المدح والذم في الإنسان ، لم يكلم ؛ لم يجرح .

44 ـ الندى : السخاء . الشمائل : الأخلاق .

45 ـ الحليل : الزوج والمرأة حليلة ، لأن كل واحد منهما يحل للآخر . الغانية : الشابة التي استغنت بحسنها الطبيعي عن التحسين الصناعي . وقيل : إن الغانية هي التي تستغني برجلها عمن سواه . تمكو : تصفر . الفريصة : لحمة بين الكتف والصدر ترتعد عند الفزع ، وهما فريصتان . الأعلم : الذي بشفته العليا شق ويريد هنا الجمل . الشدق : جانب الفم مما تحت الخد ، وكانت العرب تمتدح رحابة الشدقين لدلالتها على جهارة الصوت .

46 ـ الرشاش : ما تطاير من الدم . النافذة : الطعنة التي نفذت إلى الجانب الآخر أو إلى الجوف . العندم : صبغ أحمر وهو صبغ شائع بين الأعراب مفرده عندمة .

48 ـ الرحالة : سرج يعمل من جلود الشاء بأصوافها . السابح : الفرس الذي يدحو بيديه دحواً كأنه سابح في الهواء . النهد : الغليظ . تعاوره : تتعاوره ، أي تعترض سبيله . الكماة : مفردها كمي وهو الشجاع والكمي التام السلاح ، وسمّي كمياً لأنه يتكمّى الأقران أي يتعمّد لقاءهم ، أو لأنه يكمي شجاعته لوقت الحاجة فيفاجئ الأقران بها . مكلم : مجرّح .

49 ـ الطور : المرة أو الحال . يجرّد : يهيأ . تارة : مرة . الحصد : الكثير وكذلك العرمرم . القسي مفردها قوس وقد يكون المعنى المناسب أن هذا الفرس السابح (العرمرم) يذهب إلى حصد القسي .

50 ـ يخبرك جواب لـ (هلا سألت) . الوقيعة والوقعة . الحرب : أغشى : أقتحم . الوغى

والوعى والوحى : الجلبة من الأصوات كناية عن الحرب . المغنم : الربح في الحرب وهو المال والسلاح والأسرى وقد أضاف شارحا ديوان عنترة (سيف الدين الكاتب وأحمد عصام الكاتب) هذين البيتين الطريفين اللذين لم يذكرهما التبريزي :

☆ولقد ذكرتُك والرماحُ نواهلٌ مني وبيض الهند تقطر من دمي

☆فوددت تقبيل السيوفِ لأنها لمعت كبارق ثغرك المتبسم

النواهل من نهل : شرب . بيض الهند : السيوف .

51 ـ المعنى أنني حين أنتصر في المعركة أعفّ عن قتل الجريح والاستحواذ على الأموال والسبايا ، فهذه المغانم لو شاء عنترة لاستولى عليها ولكن له حياء وكرماً يمنعانه عن إيقاع الأذى بالآخرين وإن كانوا أعداءه .

52 ـ المدجج : الذي توارى بالسلاح . النزال : المنازلة وهي المبارزة . لا ممعن هرباً فيبتعد عن المعركة ولا هو مستسلم فيؤسر ولكنه يقاتل .

53 ـ المثقف : المصلح المقوّم . الكعوب : عقد الأنابيب أي العقد في الأغصان التي تتخذ رماحاً . الصدق : الصلب .

54 ـ الرحيبة : الواسعة وكل ما بين العرقوتين . فرغ : مدفع الماء الأودية . الجرس : الصوت . والمعنى : جرس سيلان دم هذه الطعنة يدل السباع إذا سمعن خرير الدم منها فيأتينه ليأكلن منه . المعتس : المبتغي الطالب وقيل الاعتساس هو الطلب في الليل . الضرم : الجياع .

55 ـ شك : شق أو انتظم . ليس الكريم على القنا بمحرم : الكريم لا يموت في فراشه وإنما الكريم الذي يموت في ساحة المعركة .

56 ـ الجزر : الحيوان المذبوح . ينشنه : يستطعن تناوله بالأكل . القلة : أعلى الشيء . المعصم : موضع السوار .

57 ـ المشك : الدرع الذي شك بعضه إلى بعض أو المسامير التي تكون في حلق الدرع ، والسابغة : الدرع أيضاً !! والكوفيون يجيزون إضافة الشيء إلى نفسه والتقدير في مشك سابغة : مشك حديدة سابغة . الحامي : المائع . الحقيقة : ما يحق على الرجل أن يمنعه . المعلم : الذي وضع علامة الحرب على نفسه ويريد : لما رآني قد نزلت أريده اتقاني بدرعه فهتكت ما استغلق من حلقات درعه بالسيف .

58 ـ الربذ : السريع الضرب بالقداح أي هو حاذق بالقمار والميسر : خفيف اليد بضرب القداح . وهذا مما يمتدح به الرجل في الجاهلية . إذا شتا : كناية عن القحط والجدب وهما يتجليان في الشتاء ، هتاك غايات التجار . الغايات : العلامات والرايات . التجار : بائعو الخمرة أي إنه يشتري كل ما عندهم من الخمر فيقلعون راياتهم ويذهبون فذلك هو هتكها . الملوم : الذي يكثر لومه على إنفاق ماله في الفتوة .

59 ـ الناجذ : آخر الأضراس وهي الأسنان الضواحك أي إنه حين رآني استبسل للموت .

60 ـ المخذم : الذي ينتسف الموضع الذي يقع عليه فيقطعه . التهنيد : شحذ السيوف والعرب تقول ضرب بالسيف وطعن بالرمح ورمى بالنبل وحذف بالعصا .

61 ـ الشاة : كناية عن المرأة والعرب تكني عن المرأة بالنعجة . والتقدير يا شاة إنسان ذي قنص أو يا شاة القنص لمن حلت له : لمن قدر على اصطيادها رغم صعوبة الأمر وإنما حرمت عليه لأن قومها ألد أعدائه وتأوّل الأخفش .. أنها جارتي وهي حرام عليّ وليتها لم تكن كذلك حتى لا تكون لها حرمة ، وزعم أن هذا البيت في تلميح إلى سمية زوج أبيه وأصل الحرام : الممنوع .

62 ـ التجسس : هو جسّ الأخبار غير الواضحة أو الاطلاع على أخبار جديدة عن كثب (بالجسّ) والتحسس : هو إزالة الغبار عن الخبر أو السر وتلقاه بجواسه وأحس الشيء : علم به .

63 ـ الغرة : الغفلة .. المرتمي : الذي يرميها بسهمة كناية عن الرغبة بها والمغامرة من أجلها .

64 ـ الجيد : العنق . الجداية : من الظباء وهي من الظباء بمنزلة الجدي من الغنم أي الظبية الصغيرة . الرشأ : الصغير من الظباء . الأرثم : الذي في شفته العليا بياض أو سواد فإن كان في السفلى فهو المظّ ولمظّاء .

65 ـ نُبِّئت : علمت .

66 ـ وصاة : وصية . تقلص : ترتفع ! وفي الحرب ترتفع الشفة من الإنسان حتى كأنه يتبسم .

67 ـ حومة الشيء : معظمه أو كثرته . الغمرة : الشدة . التغمغم : صوت يسمع ولا يفهم .

68 ـ يتقون بي الأسنة : يجعلونني بينهم وبينها فهم يريدون لي الموت عنهم . لم أخم : لم أجبن ، وخام يخيم إذا أصاب الكسر رجله أو أية علة .

69 ـ يتذامرون : يتدافعون والتذامر الشكوى أي يحض بعضهم بعضاً .

70 ـ أشطان : حبال . اللبان : الصدر . الأدهم : فرس عنترة .

71 ـ ثغرة النحر : نقرة النحر ، وقيل ما نتأ من النحر ، وهي الموضع الذي ينحر منه البعير . تسربل : صار بمنزلة السربال .

72 ـ ازور : مال . التحمحم : صوت متقطعّ للفرس ليس بالصهيل ، وقال الأزهري التحمحم : صوت الفرس إذا طلب العلف أو إذا رأى فارسه فاستأنس به .

73 ـ المحاورة : مراجعة الكلام بين الاثنين .

74 ـ ويك : ويحك ألم تر ؟ السقم : المرض . أبرأ : شفى .

75 ـ عبس : جمع جلد ما بين عينيه وجلد جبهته وتجهّم . الشيظمة : الطويلة . الأجرد : قليل الشعر .

76 ـ عداني : اضطرني .

77 ـ حالت : اعترضت : ابنا بغيض . عبس وذبيان . زوت : جمعت . جواني الحرب : مشعلو نارها .

78 ـ ابنا ضمضم : وهما هرم وحصين ابنا ضمضم المري . تدور : تقوم والدائرة الموت أو القتل .

79 ـ النذر : ما يوجبه الإنسان على نفسه وأنذرت دم العدو إذا أبحته .

80 ـ جزر السباع : طعام السباع . القشعم : المسن من الرجال والنسور ، وقيل القشعم الضخم المسن من كل شيء .

6 ـ عمرو بن كلثوم

قال ابن قتيبة (الشعر والشعراء 141/1) : هو تغلبي من بني عتّاب جاهلي قديم ، وهو قاتل عمرو بن هند ملك الحيرة . وكان سبب ذلك أن عمرو بن هند قال ذات يوم لندمائه : هل تعلمون أحداً من العرب تأنف أمه من خدمة أمي ؟ فقالوا : نعم عمرو بن كلثوم ! قال ولم ذلك ؟ قالوا هو ابن ليلى ، ولأن أباها مهلهل بن ربيعة وعمها كليب وائل أعز العرب ، وبعلها كلثوم بن مالك بن عتاب أفرس العرب ، وابنها عمرو بن كلثوم سيد من هو منهم . فأرسل عمرو بن هند إلى عمرو بن كلثوم يستزيره ويسأله أن يزير أمه أمه . فأقبل عمرو بن كلثوم من الجزيرة إلى الحيرة في جماعة من بني تغلب ، وأقبلت ليلى بنت مهلهل في ظعن من بني تغلب . وأمر عمرو بن هند برواقه فضرب فيما بين الحيرة والفرات وأرسل إلى وجوه أهل مملكته فحضروا ، وأتاه عمرو بن كلثوم في وجوه بني تغلب . فدخل عمرو بن كلثوم على عمرو بن هند في رواقه ودخلت ليلى بنت مهلهل أم عمرو بن كلثوم على هند في قبة من جانب الرواق وهند أم عمرو بن هند عمة امرئ القيس الشاعر ، وليلى بنت مهلهل أم عمرو بن كلثوم هي بنت أخي فاطمة بنت ربيعة أم امرئ القيس . وقد كان أمر عمرو بن هند أمه أن تنحي الخدم إذا دعا بالطُرف[19] وتستخدم ليلى . فدعا عمرو بن هند بمائدة فنصبها فأكلوا ، ثم دعا بالطرف ، فقالت هند : يا ليلى ناوليني ذلك الطبق ، فقالت ليلى لتقم صاحبة الحاجة إلى حاجتها . فأعادت عليها وألحت ، فصاحت ليلى واذلاه يا لتغلب ! فسمعها عمرو بن كلثوم فثار الدم في وجهه ، ونظر إلى عمرو بن هند فعرف الشر في وجهه فقام إلى سيف لعمرو بن هند معلق بالرواق ليس هناك سيف غيره فضرب به

(19) يستفاد من لسان العرب (طرف) أن الطُرف ويسمى أطراف العذارى : عنب أسود طوال كأنه البلوط يشبه بأصابع العذارى المخضبة لطوله وعنقوده نحو الذراع والطُرف بفتح الطاء اللحم المشوي !!.

رأس عمرو بن هند حتى قتله . ونادى في بني تغلب فانتهبوا جميع ما في الرواق ، وساقوا نجائبه ، وساروا نحو الجزيرة ... ويقال : إن أخاه مرة بن كلثوم قتل المنذر بن النعمان بن المنذر .. وابنه عبّاد بن عمرو بن كلثوم هو قاتل بشر بن عمرو بن عدس ولعمرو بن كلثوم عقب منهم العتابي الشاعر المشهور ، واسمه كلثوم بن عمرو ويكنى أبا عمرو .. ا . هـ . وقد كتب عمرو بن كلثوم معلقته ليعبّر عن حالة الغضب التي اعترته ، وربما نظم شيئاً من المعلقة في هذه المناسبة ، وكان قد كتب شيئاً من المعلقة في مناسبة أخرى إثر حادثة أخرى جرت له مع عمرو بن هند المذكور على أثر خلاف جرى بين قومه التغلبيين وإخوانهم البكريين وتقاضوا إلى عمرو هذا وكان قد أصلح بينهما بعد حرب البسوس وشرط عليهما شروطاً إذا اختصما . فلما جاؤوا للمقاضاة كان ابن كلثوم سيد تغلب والنعمان بن هرم سيد بكر . وجرى بين الأميرين جدال بين يدي صاحب الحيرة . وكان هذا يؤثر تغلباً على بكر فطرد ابن هرم ، فنهض ابن كلثوم وأنشد معلقته ، وكان حاضراً هناك الحارث بن حلزة اليشكري من بكر وائل فأنشد معلقته ! فالغالب أن ابن كلثوم نظم معلقته على مرتين في حادثة أمه وهذه الحادثة ولذلك رأيت فيها إشارة إلى كليهما وقد وقف عمرو بن كلثوم بهذه في سوق عكاظ فأنشدها في موسم مكة[20] . والمعلقة مكتوبة على نحو مختلف بعض الاختلاف عن المعلقات الأخرى ، فهي لم تقف على الأطلال للبكاء أو الاستبكاء ، ولعل في اختيار الوافر بحراً لها ما ينم عن الرغبة في قول الغضب بشكل مباشر ، فاستهلال المعلقة استهلال خمري اكتفى بالأبيات السبعة الأولى ثم حجز بين المقدمة الخمرية ومخاطبة الحبيبة التي شاءت الأقدار أن تكون من قوم يكنون له العداء ثم يصف الحبيبة وصفاً حسياً فيرسم لها صورة تشبه صورة عشتار البابلية آلهة الخصب ، وينتقل بعدد من الأبيات من لغة الحب إلى الغرض الرئيس للمعلقة فكأنه يتوعدّ عدوّه ويذكره بصولاته وقومه في الحروب ، ثم يغلي الغضب في عروقه فيذكر أمجاده واحداً بعد آخر ليصل إلى

---

(20) زيدان ، جرجي ، تاريخ آداب اللغة العربية 107/1 وبعدها .

قرار اعتبره الدارسون غاية في العتو والغطرسة ، وحق للدارسين أن يعبّروا عن قراءاتهم الخاصة للمعلقة ، ولكن علينا أن نتذكر أن الشاعر لم يكن مخاطباً رجلاً اعتيادياً ، ولو خاطب رجلاً اعتيادياً لنالنا شيء من غطرسته فنحن لسنا الآخرين بالنسبة إلى الشاعر ، وهو لا يعني الناس كل الناس بقوله (غيرنا) ، وإنما يعني تحديداً الملك الذي أراد إذلاله لا لشيء إلا لأن الشاعر ذو كبرياء واحترام لنفسه ، فالشاعر هنا يتغطرس على المتغطرس ويعلو على المقام العالي .. فهو (الشاعر) جدير وفق آليات تحليل النص باحترامنا لأنفته وتحديه للسلطة والقهر .. وهذا لا يعني خلو معلقته من الإفراط في الفخر .. ففي المعلقة إفراط باد في العتو والفخر .. ولنا أن نتذكر مرة أخرى أن هذه المعلقة تشبه إعلام الحرب في زماننا هذا .. تشبه أناشيد المعركة !! ومع ذلك فثمة إنصاف لم تخل منه المعلقة وهو قوله :

كأن سيوفنا فينا وفيهم مخاريق بأيدي لاعبينا

وفي المعلقة إلى هذا توصيف دقيق لطرائق العرب في جعل المعلقين يصدون في الحرب .. ومن هذه الطرائق أن قائد المعركة يجعل نساء المقاتلين خلفهم فإذا خسر المقاتلون الحرب خسروا شرفهم في نسائهم أيضاً ، فهم يقاتلون من أجل النصر في الحرب مرة ومن أجل الحفاظ على شرف النساء مرات .. وآه لو كانت حروب الجاهلين من أجل قضية تستحق الحرب ، لو كانت حروبهم ضد عدوهم المشترك الإمبراطورية الرومانية والإمبراطورية الفارسية .. ولكن ويالأسف كانت الحروب الطاحنة تدور بين الإخوة وأولاد العم .. ولهذا جاء الدين الإسلامي ليوحّد العرب ويوعيّهم بالخطر الأكيد ويجمعهم على حلم الحرية والأمن والعدالة !!

☆ معلقة (ألا هبيّ) . البحر الوافر . القافية ن . عدد الأبيات : التبريزي : 96 .
الشنقيطي 106

1- ألا هبيّ بصحنك فاصبحينا ... ولا تبقي خمور الأندرينا
2- مشعشعة كأن الحصّ فيها ... إذا ما الماء خالطها سخينا
3- تجور بذي اللبانة عن هواه ... إذا ما ذاقها حتى يلينا
4- ترى اللحز الشحيح إذا أمرّت ... عليه لماله فيها مهينا
5- صددت الكأس عنا أم عمرو ... وكان الكأس مجراها اليمينا
6- وما شرّ الثلاثة أم عمرو ... بصاحبك الذي لا تصبحينا
7- وإنا سوفَ تُدركنا المنايا ... مقدّرةً لنا ومقدّرينا
8- قفي قبل التفرّق يا ظعينا ... نخبّرك اليقينَ وتخبرينا
9- قفي نسألكِ هل أحدثتِ صرْماً ... لوشْك البينِ أم خنتِ الأمينا
10- بيوم كريهةٍ ضرْبا وطعناً ... أقرّ به مواليك العيونا
11- تريك إذا دخلتَ على خلاء ... وقدْ أمِنت عيونَ الكاشحينا
12- ذراعي عيطل أدماء بِكر ... هجان اللون لم تقرأ جنينا
13- وثدياً مثل حَقّ العاج رخصاً ... حصاناً من أكفّ اللامسينا
14- ومتني لدنةٍ سمعت ولانت ... روادفُها تنوء بما يلينا
15- ومأكمةٍ يضيق الباب عنها ... وكشحاً قد جننت به جنونا
16- وساريتي بلنط أو رخام ... يَرِنُّ خُشاشُ حليها رنينا
17- فما وجدت كوجدي أمَّ سقب ... أضلّته فرجعتِ الحنينا
18- ولا شمطاء لم يترك شقاها ... لها من تسعة إلا جنينا
19- تذكرتُ الصّبا واشتقت لما ... رأيتُ حمولها أصُلاً حُدينا
20- فأعرضت اليمامةُ واشمخرت ... كأسياف بأيدي مصلتِينا
21- وإن غداً وإن اليومَ رهْن ... وبعد غد بما لا تعلمينا

22- أبا هند فلا تعجل علينا ... وأنظِرنا نخبّرك اليقينا
23- بأنا نورد الرايات بيضاً ... ونصدرهنّ حُمْراً قد روينا
24- وأيام لنا غرٍ طوال ... عَصَينا الملكَ فيها أن ندينا
25- وسيّدِ معشر قد توجوه ... بتاج الملك يحمي المحجرينا
26- تركنا الخيل عاكفة عليه ... مقلّدةً إعَنتَها صفونا
27- وقد هرّت كلابُ الحيّ منّا ... وشذّبنا قتادة من يلينا
28- متى ننقل إلى قوم رحانا ... يكونوا في اللقاء لها طحينا
29- يكونُ ثفالُها شرقيّ نجد ... ولهوتُها قضاعة أجمعينا
30- نزلتم منزل الأضياف منا ... فأعجلنا القِرى أن تشتمونا
31- قرينا كم فعجلنا قراكم ... قبيل الصبح مرداة طحونا
32- نعمّ أناسنا ونعفّ عنهم ... ونحمل عنهم ما حمّلونا
33- نطاعن ما تراخى الناسُ عنّا ... ونضربُ بالسيوف إذا غشينا
34- بسُمرٍ من قنا الخطيّ لُدن ... ذوابلَ أو بيض يعتلينا
35- نشقّ بها رؤوسَ القوم شقاً ... ونخليها الرقاب فيختلينا
36- كأن جماجمَ الأبطالِ فيها ... وَسُوقٌ بالأماعز يرتمينا
37- وإن الضغن بعد الضغن يفشو ... عليك ويُخرج الداء الدفينا
38- ورثنا المجد قد علمت معد ... نطاعن دونه حتى يبينا
39- ونحن إذا عماد الحي خرّت ... على الأحفاض نمنع من يلينا
40- نجذّ رؤوسهم في غير برٍّ ... فما يدرون ماذا يتقونا
41- كأن سيوفنا فينا وفيهم ... مخاريق بأيدي لاعبينا
42- كأن ثيابنا منا ومنهم ... خضبن بأُرجوان أو طلينا
43- إذا ما عيٌّ بالإسناف حيٌّ ... من الهول المشبّه أن يكونا
44- نصبنا مثل رهوة ذات حَدٍّ ... محافظة وكنا السابقينا

45- بفتيانٍ يرون القتل مجداً ... وشيب في الحروب مجربينا
46- حُديّا الناس كلهم جميعاً ... مقارعةً بنيهم عن بنينا
47- فأما يوم خشيتنا عليهم ... فنمنعُ غارةً متلببينا
48- وأما يومَ لا نخشى عليهم ... فنصبحُ في مجالسنا تبينا
49- برأسٍ من بني جُشم بن بكر ... ندقّ به السهولةَ والحُزونا
50- ألا لا يعلمُ الأقوامُ أنّا ... تضعضعنا وأنا قد ونينا
51- ألا لا يجهلنْ أحدٌ علينا ... فنجهل فوق جهْل الجاهلينا
52- بأي مشيئة عمرو بن هند ... نكون لقيلكم فيها قطينا
53- بأيّ مشيئة عمرو بن هند ... تطيع بنا الوشاة وتزدرينا
54- تهددنا وتوعدنا رويداً ... متى كنّا لأُمّك مقتوينا
55- فإن قناتنا يا عمرو أعيت ... على الأعداء قبلك أن تلينا
56- إذا عضَّ الثِقافُ بها اشمأزت ... وولتهم عشوزنةً زبونا
57- عشوزنةً إذا انقلبت أرنّت ... تشجُّ قفا المثقّف والجبينا
58- فهل حدّثت في جُشمِ بن بكر ... بنقص في خطوب الأولينا
59- ورثنا مجد علقمة بن سيف ... أباح لنا حصون المجد دينا
60- ورثتُ مهلهلاً والخيرَ منه ... زهيراً نعم ذُخْرُ الذاخرينا
61- وعتّاباً وكلثوماً جميعاً ... بهم نلنا تراث الأكرمينا
62- وذا البُرةِ الذي حُدّثت عنه ... به نُحمي ونحمي الملجئينا
63- ومِنّا قبله الساعي كليبٌ ... فأيُّ المجد إلا قد ولينا
64- متى نعقد قرينتنا بحبل ... نَجُذّ الوصَلَ أو نقِصُ القرينا
65- ونوجَدُ نحن أمْنَعَهُمْ ذماراً ... وأوفاهم إذا عقدوا يمينا
66- ونحن غداة أُقدَ في خزازٍ ... رفدْنا فوق رفْد الرافدينا
67- ونحن الحابسون بذي أُراطي ... تسفُّ الجلةُ الخورُ الدرينا

68- ونحن الحـــاكمـــونَ إذا أُطِعنـــا ونحن العـــازمـــون إذا عصينـــا
69- ونحن التـــاركـــون لمـــا سخطنـــا ونحن الآخـــذونَ لمـــا رضينـــا
70- وكنـــا الأيمنين إذا التقينـــا وكان الأيسرين بنـــو أبينـــا
71- فصـــالـــوا صـــولـــة فيمن يليهم وصلنـــا صـــولـــة فيمن يلينـــا
72- فـآبـوا بـالنهـابِ وبـالسبـايـا وأُبنـا بـالملـوكِ مصفّـدينـا
73- إليكم يـــــــا بني بَكْر إليكم ألَمّـــا تعرفـوا منّـــا اليقينـــا
74- ألمـــا تعرفـــوا منـــا ومنكم كتـــائب يطّعِنّ ويرتمينـــا
75- علينـــا البَيضُ واليَلبُ اليماني وأسيـــافٌ يقُمنَ وينحنينـــا
76- علينـــا كلُّ ســـابغـــةٍ دلاصٍ ترى فـوق النجـادِ لهـا غضـونـا
78- إذا وُضِعتْ عن الأبطـال يـومـاً رأيتَ لهـا جُلـودَ القـومِ جُـونـا
79- كأن متـــونَهن متـــونُ غُـــدْر تُصفّقُهـــا الرِّيـــاحُ إذا جُرينـــا
80- وتحملُنـــا غـــداةَ الروع جُرْدٌ عُرفْن لنـــا نقـــائـــذَ وافتُلينـــا
81- وردْنَ دوارعـــاً وخرجنَ شُعْثـــاً كأمثـالِ الرصـائـعِ قـد بلينـــا
82- ورِثنـــاهنَّ عن آبـــاء صِـــدْقٍ ونـورثُهـــا إذا مُتنـــا بنينـــا
83- على آثـــارنـــا بيضٌ حســـان نحـــاذِرُ أن تُقَسّمَ أو تهـونـــا
84- أخـــذن على بعـــولتهنّ عهـــداً إذا لاقـوا كتـــائب مُعلمينـــا
85- لتَسْتَلِبُنّ أفراســـاً وبيضـــاً وأسرى في الحـديـد مقرنينـــا
86- ترانـــا بـــارزين وكلُّ حيٍّ قـد اتخـذوا مخـافتنـا قرينـا
87- إذا مـــا رحْنَ يمشين الهـوينـــا كما اضطربت متـون الشـاربينـا
88- يقتن جيـــادنـــا ويقلن لستم بعـولتنـــا إذا لم تمنعـونـــا
89- إذا لم نحمهن فـــلا بقينـــا لشيء بعـــدهنّ ولا حيينـــا
90- ومـا منـعَ الظعـائنَ مثـلُ ضرب ترى منـه السـواعـدَ كالقُلينـا
91- كأنـــا والسيـــوف مسلـــلاتٌ ولـدنـا النـاس طرّاً أجمعينـا

92- يدهدون الرؤوس كما تُهدي حزاورةٌ بأبطحها الكُرينا

93- وقد علم القبائل من معدٌّ إذا قبتّ بأبطحها بنينا

94- بأنا المطعمون إذا قدرنا وأنا المهلكون إذا ابتلينا

95- وأنا المانعون لما أردنا وأنا النازلون بحيث شينا

96- وأنا العاصمون إذا أُطِعنا وأنا العارمونَ إذا عُصينا

97- ونشرب إذ وردنا الماء صفواً ويشربُ غيرُنا كدراً وطينا

98- ألا أبلغ بني الطّماحِ عنّا ودعْميأ فكيف وجدتمونا

99- إذا ما المَلْكُ سامَ الناسَ خَسْفاً أبينا أن نقرّ الذّلّ فينا

100- لنا الدنيا ومَن أمسى عليها ونبطش حين نبطش قادرينا

101- بغاةً ظالمينَ وما ظَلَمنا ولكنّا سنبدأ ظالمينا

102- ملأنا البرّ حتى ضاق عنا وظهر البحر نملؤه سفينا

103- إذا بلغَ الرضيعُ لنا فطاماً تخرُّ له الجبابرُ ساجدينا

معاني الكلمات :

1 ـ ألا : حرف تنبيه واستفتاح . هبّي : قومي من نومك . الصحن : القدح الواسع الضّخم . الصبوح : شرب الغداة والصباح . الأندرين قرية بالشام .

2 ـ المشعشعة : الرقيقة من العصر والمزج . الحص هو الورس ضرب من الورد ولونه أصفر وزعم أن الحص هو الزعفران . سخينا : كانوا يسخنون لها الماء في الشتاء ثم يمزجونها به .

3 ـ تجور : تعدل . اللبانة : الحاجة . الهوى : الرغبة والحاجة .

4 ـ اللحز : البخيل اللئيم . الشحيح : المقل المُعسِر في العطاء . أمرّت : أديرت أو قدّمت . المهين لماله : السخي .

5 ـ زعم أن هذين البيتين (6/5) لعمرو ابن أخت جذيمة الأبرش وذلك لما وجده مالك وعقيل في البرية وكانا يشربان وأم عمرو التي صدّت عنه الكأس ، لأنها لم تعرف حقيقته ! فلما قال هذين البيتين سقياه وحملاه إلى خاله جذيمة ! هذا ما حكاه التبريزي .

7 ـ المنايا : الأقدار .. أي أصبحينا قبل حضور الأجل فإن الموت مقدّر لنا ونحن مقدّرون له .

8 ـ ياظعينا : المرأة في الهودج .

9 ـ الصّرم : القطع . وشك البين : سرعته والمعنى : هل أحدثت قطيعة لقرب الفراق وجعل ما تخبره به خيانة ، وجعل نفسه أمينا يحفظ السّر ، إذا لم تتغير عواطفه نحوها ، رغم الحروب التي كانت بين أهله وأهلها .

10 ـ الكريهة : اسم لشدة البأس في الحرب . الموالي : العصبة والقوم .

11 ـ تريك : تريني (على سبيل التفريع البلاغي) . الكاشح : المبغِض الذي يضمر العداوة في كشحه والكشح : الجنب . الخلاء : مكان خال من الرقباء .

12 ـ عيطل : طويلة قامة وعنقاً . الأدماء : البيضاء : البكر : التي لم تلد . الهجان : المتزوّجة قبل سن البلوغ . لم تقرأ جنيناً : لم تلد .

13 ـ الحق : ما ينحت من الخشب أو العاج والفضة . الرخص : اللين . الحصان : العفيفة التي تحصنت من الريب . اللامسين : أهل الريبة !

14 ـ اللدنة : اللينة . تنوء : تنهض بمشقة . المتن : الجانبُ الصلب .

15 ـ المأكمة : الكفل . الكشح : ما بين الخاصرة والضلوع .

16 ـ البلنط : حجر مثل الرخام إلا أنه دونه في الهشاشة واللين والرخاوة . السارية عمود من الخشب ينصب عليه الشراع أو العلم وقوله (وساريتي ..) استعارة تصريحية لمشبه محذوف هو (الساقان !!).

17 ـ أم سقب : الناقة . السقب : ولدها الذكر . أضلّته : أضاعته . رجّعت : رددت . وجدت : حزنت .

18 ـ الشمطاء : المرأة التي ابيضّ شعر رأسها والمعنى : إن حزني على الحبيبة أكبر من حزن ناقة ضيعت صغيرها وأكبر من حزن امرأة أجنّت (دفنت) أولادها التسعة !! .

19 ـ الحمول : الإبل التي يحمل عليها الأثقال . الأصل : مفردها أصيل : وهو حين تصفر الشمس وتحمّر لمغربها . حدينا : أمرت بالانطلاق ، والحادي هو الذي يغنّي للإبل ، ثم صار المعنى هو الذي يقود الإبل !

20 ـ أعرضت : بدت . اشمخرت : طالت . المصلت : الشاهر سيفه .

24 ـ ندين : نخضع .

25 ـ المحجرون : الذين ألجئوا إلى المضيق والمحجور الذي لا يستطيع مغادرة مكانه .

26 ـ عاكفة : مقيمة . الصفون مفردها صافن وهو القائم أو الذي رفع إحدى قوائمه بسبب التعب . مقلّدة أعنتها : شدّت على رقابها الأعنة ومقلّدة من جعل الشيء مثل القلادة !

27 ـ هرّ الكلب : لم يستطع النباح فأخرج صوت المقرور أو المذعور ، وقوله : هرّت كلاب الحيّ منا ، كناية عن خضوع كل الحي لنا بشراً وكلاباً . شذّبنا : التشذيب قطع الأغصان والتخلّص من عقدها وشوكها . القتادة : شجرة لها شوك . من يلينا : من يريد حربنا أو يقترب منا ! وقوله : وشدبنا قتادة من يلينا ، كناية عن تفريق قوم الشاعر لجموع الأعداء فصاروا مثل شجرة بلاأغصان ولا أشواك .

29 ـ الثفال : جلدة أو خرقة تجعل تحت الرحى يسقط عليه الطحين . اللهوة : قبضة من الحبوب تلقى في فم الرحى . والمعنى : إن كيدنا وحربنا تشبه الرحى ، وهذه الرحى تستوعب هذا الموضع العظيم ، وتهلك هذا الحي الكبير ، فيكون بمنزلة هذه القبضة التي تلقى في فم الرحى إشارة إلى هلاكهم .

30 ـ القِرى : إكرام الضيف والقِرى هنا على سبيل الكناية !

33 ـ تراخى : تباعد . غُشينا : دنا بعضنا من بعض .

34 ـ السمر من القنا : أجودها . لدن : ليّن . ذوابل : فيها بعض اليبس . يعتلين : يعلون رؤوسهم .

35 ـ نخليها الرقاب : نجعل الرقاب لها كالخلاء والخلى الرطب من النبات واحدتها خلاة . والخلاة هنا موضع السيوف وزعم أن الشاعر أراد بـ (نخليها .. فيختلينا) أن السيوف سريعة في قطع الرقاب كما هي سريعة في قطع الحشيش .

36 ـ الوسوق مفردها وسق وهو الحمل . الأماعز مفردها أمعز : الأرض الصلبة الكثيرة الحصى .

39 ـ العماد مفردها عمود . الأحفاض مفردها حفض وهو متاع البيت ، ويسمى البصير الذي يحمل المتاع حفضاً . يلينا : يجاورنا ، يوالينا ، يحالفنا . نمنع : نحمي والمعنى أن الأعمدة حين تسقط على المتاع فهذا التعبير كناية عن الرحيل والرحيل لا يكون إلا في الخوف أو الانتجاع ، ونحن نكفيهم ذلك فأعمدتهم لن تسقط فلا خوف عليهم ولا حاجة لطعام .

40 ـ نجـذ : نقطـع . غير برّ : بـلا شفقـة ويروى : (نجـز) ، أي نجـز نـواصيهم كما يفُعـل بالأسرى ،.. أي إننا نقطع الرؤوس في نسك .. ولا يريـدون أن يتقربوا إلى الله بهـا كما يتقرّبون في النسك عند المناسبات الدينية !! يتقي : يدفع .

41 ـ المخاريق واحدها مخراق وهو الكرة المصنوعة من الخرق المفتولـة يلعب بهـا الصبيـان في العصر الجاهلي وزعم أن المخاريق عصي ملفوفة بالخرق تشبه السيوف يلعب بهـا الأطفـال ! والبيتـان (41 ـ 42) فيهما اعتراف بقوة العدو وسطوته وقد أطلقت العرب على القصـائـد التي يعترف فيهـا الشعراء بأعدائهم (المنصفات) .

42 ـ الأرجوان : صبغ أحمر .

43 ـ الأسنـاف : التقـدّم في الحروب وأنسف البعير إذا قـدّم عنقـه ليتقـدّم في السير والفرس المسنف : إذا كانت تتقـدم الخيـل . عيّ : العيّ العجـز والتعب لهـول الحرب . المشبـه : أن يشتبـه الأمر عليهم ، فلا يدرون كيف يتوجهون له ؟

44 ـ الرهـوة : أعلى الجبـل . ذات حـد : كتيبـة ذات بـأس ومعنى البيتين (43 ـ 44) إذا أحجم الناس عن التقدّم إلى الحرب فنحن لها فنشبها حرباً تعلو الجميع مثل قمة الجبل .

46 ـ حديّا الناس : فوق الناس والحديّ : الغاية ، وحدياً : أحدو النـاس أسوقهم إلى الحرب وحُديّا تصغير حدوي . مقارعة : مقاتلة .

47 ـ التلبب : التحزّم بالسلاح . نمعن : نندفع ونتمادى .

48 ـ نصيح : متيقظين مستعدين . والثبون : الجماعة وثبون وثبين مثل سنون وسنين .

49 ـ الرأس : الحي العظيم أو الرجل العظيم والمعنى أنا ندّق بهذا الرأس كلّ صعب وليّن .

50 ـ تضعضعنا : ضعفنا . ونينا : أبطأنا وفترت قوتنا .

(52+53) المشيئة : القوة والإرادة . الوشاة : مفردها واش وهو الجاسوس وناقل الخبر دون رضاء صاحب الخبر وعلمه . زريت : عبت . القيل : العبيد والخدم . القطين : المقيم .

54 ـ الوعد : في الخير والشر . قال الأزهري تقول العرب وعدت الرجل خيراً ووعدتـه شراً ، وأوعدته خيراً وأوعدته شراً فإذا لم يذكروا الخير قالوا وعدته وإذا لم يذكروا الشر قالوا أوعدتـه نظير قول عامر بن الطفيل :

وإني إذا أوعـدتـه ووعـدتـه لأخلف إيعـادي وأنجز موعـدي !

مَقْتوينا : بفتح الميم والقتو : الخدمة ثم اختصت بخدمة الملوك .

55 ـ القناة : الرمح (كناية عن الأصل والمنعة والعزة) .

56 ـ الثقاف : تقويم الرمح وتعديله . اشمأزت : نفرت وتقززت . عشوزنة : صلبة شديدة . الزبون مفردها زبن وهو الدفع . والزبانية : الأشداء وسموا زبانية ، لأنهم يعملون بأرجلهم كما يعملون بأيديهم .

57 ـ أرنت : صوتت وشجّت قفا من يثقفها .

58 ـ يخاطب عمرو بن هند : هل سمعت أن أحداً اضطهدنا في قديم الزمان . الخطوب مفردها خطب وهو الأمر .

59 ـ الدين : الطاعة . علقمة بن سيف : زعيم قديم من زعماء قوم الشاعر التغلبيين . أباح الحصون : فتحها واستولى عليها وتركها مباحة لنا وتنقل الأخبار أن علقمة بن سيف هو الذي أنزل بني تغلب الجزيرة .

60 ـ مهلهل : صاحب حرب وائل أربعين سنة وهو جد عمرو بن كلثوم من قبل أمه فهو سبطه ، وزهير جده من قبل أبيه فهو حفيده . الذخر : الشيء المهم المخبأ لوقت الحاجة وفي البيت إشارة ضمنية إلى حرب البسوس التي جعلها مهلهل ثأراً لمقتل أخيه كليب وهي حرب (داخلية) بين بكر وتغلب ابني وائل !! .

61 ـ التراث : ما يخلفه الإنسان لمن يخلفه .

62 ـ ذو البُرة : رجل تغلبي وسمّي ذا البرة لظهور شعر كثيف خشن على منخريه والبرة حلقة في أنف البعير ، بروت البعير وأبريته جعلت في أنفه برة ! الملجئون : الذين يطلبون حمايتنا .

63 ـ الساعي : الرجل الهميم .

64 ـ القرينة : التي تقرن إلى غيرها والمعنى متى نقرن إلى غيرنا بأي حبل مكان .. فإننا نقطع الحبل وندق عنق القرين إذ ليس لنا قرين وأصل القرينة الناقة والجمل تكون فيهما خشونة فيربط أحدهما إلى الآخر حتى يلين أحدهما .

65 ـ الذمار : حريم الرجل وما يتوجب على الرجل أن يحميه .

66 ـ خزازى : جبل أو موضع . رفدنا : أعطينا والمعنى إذا أوقدت الحرب في خزاز كنا الوحيدين في الإعانة والعطاء ..

67 ـ أراطي : مكان وقيل ماء . الجلة : العظام من الإبل . الخور : الغِزار الكثيرة الألبان والمفرد خوراء وخوارة . تسفّ : تأكل . الدرين : حشيش يابس قديم قلما تنتفع به الإبل .

70 ـ العرب تتفاءل باليمين وتتشاءم باليسار ! الأيمنين : أصحاب الميمنة فهم المتقدمون والمقدمون وأصحاب المشأمة وهم المتأخرون والمؤخرون والمعنى كنا في الحرب على الميمنة ، وكان بنو عمنا في الميسرة .

71 ـ صال : ارتفع على والمقصود غزا والصولة الهجوم .

72 ـ آبوا : رجعوا . النهاب : مفردها النهب : الغنيمة . السبايا مفردها سبية : المرأة المنهوبة . الأصفاد : الأغلال الواحد صفد أي حين انتصرنا لم نلتفت إلى الغنائم من أسلاب وسبايا فجعلنا (من باب السخرية) غنية أعدائنا النهب والسبي الذي وقع عليهم ! أما غنيمتنا فهم الملوك الذين وضعنا الأغلال والحديد في أيديهم وأعناقهم .

73 ـ إليكم : ابعدوا عنا إلى أقصى ما يكون من البعد . اليقين : الجد .

74 ـ الكتيبة من الكتب وهو اقتراب الأبعاض فيما بينها وجمع الشيئين وسميت الكتيبة لأنها تكتبت فاجتمعت والكتاب معناه أنه يجمع حرفاً إلى حرف وكلمة إلى كلمة . يطّعنّ : تتطاعن فيما بينها . يرتمينا : من الترامي فيما بين الكتائب ويمكن اعتداد هذا البيت ضمن الأبيات (المنصفات) ونضمّه إلى البيتين (41+42) .

75 ـ البيض مفردها بيضة وهي الحديد الذي يقي الرأس . اليلب : الدرع وقيل الديباج وقيل ترسة تصنع في اليمن من جلود الإبل وقيل اليلب جلود يخرز بعضها إلى بعض وتلبس تحت الدروع .

76 ـ السابغة : التامة من الدروع . الدلاص : اللينة أو الملساء التي تزل عنها السيوف . النجاد : حمائل السيف . الغضون : التكسّر .

78 ـ الجون : السُّود أي تسوّد جلودهم من صدأ الحديد .

79 ـ المتون : الأوساط . الغُدر : جمع غدير فشبّه الدروع في صفائها بالماء في الغدير وربما شبه تشنج الدروع بالماء في الغدير إذا لامست سطحه الرياح فصارت له طرائق ! وقوله : جَرَيْنا سناد لأن الياء إذا انفتح ما قبلها لا تلين فقوله جرينا مع أندرينا عيب الشعر والسناد : المخالفة بين الحركات التي تلي الإرداف في الروي .

80 ـ الأجرد من الخيل : القصير الشعر الكريم وطول الشعر هجنة . نقائذ مفردتها نقيذة والنقائذ ما استنقذت من قوم آخرين . الروع : القتال المروّع . افتلينا : اشتد عصبنا واندمجنا وقوينا .

83 ـ بيض كرام : نساؤنا . على آثارنا : خلفنا .

84 ـ البعل : الزوج وأصله في اللغة ما علا وارتفع ومنه قيل للسيد بعلاً ... والزرع الذي يروى بالمطر بعل أو بعلي.

87 ـ أي : إذا ما راحت النساء يمشين الهوينا (لا يعجلن في مشيهن) كما اضطربت متون الشاربينا أي يتثنين في مشيهن ويتمايلن كما يفعل السكارى وصف الصورة كناية عن نعمة النساء .

88 ـ يقتن : يقدمن العلف للجياد ، وكان الفارس لا يرضى أن يقوم الخدم بقوت الفرس . فإما أن يقدم القوت بنفسه لفرسه أو يكلف أهله بتقديمه .

90 ـ القلون مفردها قلة وهي الخشبة التي يلعب بها الصبيان يضربونها بالمقلاة وهي أطول من القلة .

92 ـ يدهرون : يدحرجون . الحزاورة مفردها الحزور : الغلام الذي شبّ وقوي . البطحاء : بطن الوادي أو المكان المتسع الذي يمرّ به السيل . الكران العود أو الصنج وربما أراد بكرين الكرات !!

94 ـ ابتلينا : امتحنا واعتدي علينا .

95 ـ شينا : لغة في شئنا . العاصمون : الذين يمنعون من اعتصم بهم ولاذ . العارمون : الأشداء الذين لا يقدر علينا أحد .

99 ـ الخسف : الظلم والنقصان .